

رَسَائِلُ الْجَاهِلِيَّةِ

الرِّسَالَةُ الْكَلَامِيَّةُ - كَشَافَاتُ النَّارِ الْجَاهِلِيَّةِ



مَرْكَزُ تَحْقِيقِ تَكْوِينِ عِلْمِ رَسُوْلِ

قَدَّمَ لَهَا وَأَيَّدَهَا وَشَرَحَهَا
الدَّكْتُورُ عَلِيُّ أَبُو مَسْلُومٍ

مَنْشُورَات

دَارُ رِوَايَةِ الْهَدْيِ

سَيِّدَنَا إِلَهَنَا حِطِّ

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأخيرة

2002 م

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إلكترونية

تطلب منشورتنا من :

دكتور و مكتبة الهلال الطباعة والنشر

بدر النجد - شارع مكهيل - بنهاية برج الضاحية - مكة حار و مكتبة الهلال

الهاتف: ٨٢٠٧٧٧ / ٨٢٠٧٧٧ - الفاكس: ٨٢٠٧٧٧ / ٨٢٠٧٧٧ - ج.ب. ١٥ / ٢١٠١٢٠ - الرياض

٢١٦ قسم ٨٢٢٥٢٦ - ٢٠٨ / ٢١٠١٢٠ - ٢١٦





مقدمات عامة

هذه إحدى عشرة رسالة من تراث الجاحظ الضخم الذي نعرف منه أسماء نحو مائتي مؤلف ، وصلنا منها ثلاثون كتاباً وحفظت أجزاء من خمسين ، وضاع سائره .

واخترنا هذه الرسائل لأسباب مختلفة : منها إصطباغها بصبغة كلامية لافتة وقد عقدنا النية على تبيان هذه الناحية عند الجاحظ ، وفي هذا السبيل ألفنا كتابنا « المناحي الفلسفية عند الجاحظ » وتتمة لتحقيق تلك النية رأينا من المناسب نشر آثاره الكلامية . ومن المؤسف حقاً ضياع القسم الأكبر من مؤلفات الجاحظ الكلامية . وربما هزونا ذلك الى مهاربتها من قبل خصومه الكثيرين من أهل السنة والجماعة والشيعية والخوارج والمرجئة الخ . . . لأنه في كتبه تلك يتقدمهم ويهاجم آراءهم مهاجمة لا هوادة فيها . لقد امتدت اليها أيديهم تمزيقاً وإتلافاً ، كما تناولتها سنتهم نقداً وتبخيساً وتشنيعاً .

ومنها الحاجة الى نشرها بشكل سهل المتناول ، ووضح الاقسام . وفي هذا السبيل أعدنا النظر بتقسيم فقرها ، لأن الطبقات السابقة لم يراع فيها دائماً توزيع الفقر حسب المعاني ، وربما رأينا الفقرة تنتهي وينتقل الى الفقرة التالية قبل انتهاء المعنى مما يسبب تشويش الكار القاريء . ثم أننا قمنا بعمل آخر في هذا السياق هو

وضع عناوين لاقسام النص ، هذه العناوين لم يضعها الجاحظ ، ولم نجد مثلها في أية طبعة سلفت . وقد فعلنا ذلك لنسهل على المطالع فهم النص والإحاطة به وملاحقة حركة أفكار الكاتب .

وثمة مهمة أخرى انجزناها في طبعتنا هذه ، هي شرح العبارات والافكار شرحاً فلسفياً لا لغوياً . والسبب هو ان هذه النصوص الجاحظية ليست بحاجة الى شرح لغوي لأن لغتها سهلة وعبارتها مشرقة واضحة، ويندر ان ترد فيها كلمة صعبة ، وإذا عثرنا على واحدة منها امكننا استقراء المعجم ، اما التعابير الدقيقة والمصطلحات الكلامية والفلسفية فتحتاج الى التوضيح والشرح ، وهذا ما فعلناه .

هذه الرسائل هي التالية : (١) صناعة الكلام . (٢) القيان . (٣) النساء . (٤) المسائل والجوابات في المعرفة . (٥) حجج النبوة . (٦) خلق القرآن . (٧) استحقاق الإمامة . (٨) رسالة في نفي التشبيه (٩) الرد على المشبهة . (١٠) بنو أمية او النابتة . (١١) الرد على النصارى

لقد نشر حسن السندوي رسائل منها هي النساء ، حجج النبوة ، خلق القرآن ، استحقاق الإمامة، النابتة ، مع رسائل اخرى تحت عنوان « رسائل الجاحظ » ، وقد تم طبعها في المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٣ ، دون ذكر المخطوطات التي اعتمد عليها .

وحقق شارل بلا ، المستشرق الفرنسي رسالة المسائل والجوابات في المعرفة ونشرها في مجلة المشرق سنة ١٩٦٩ من صفحة ٣١٦ الى صفحة ٣٢٥ . واعتمد على نسخة المتحف البريطاني رقم ١١٢٩ ونسخة استنبول رقم ١٣٥٨ .

وحقق عبد السلام هارون جميع هذه الرسائل مع رسائل اخرى معتمداً في قسم منها على مخطوطة داماد في استنبول ، وفي القسم الآخر على مختارات عبيد الله ابن حسان الموجودة على هامش كتاب الكامل للمبرد ، نشر القسم الاول بعنوان رسائل الجاحظ في جزأين هما الاول والثاني في مصر، مكتبة الخانجي سنة

١٩٦٥ . ونشر القسم الثاني في جزأين هما الثالث والرابع في مصر ، مكتبة الخانجي
سنة ١٩٧٩ . واعتمد في تحقيق كتاب «المسائل والجوابات في المعرفة» على نسخة
المتحف البريطاني والنسخة التيمورية .

والرسائل تدور حول ستة موضوعات هي : علم الكلام . المرأة والجمال ،
المعرفة ، النبوة ، الإمامة ، موقف الجاحظ من بعض الفرق والنصارى واليهود .

وسمينا هذه الرسائل بالكلامية ، واخترنا لها عنوان «الرسائل الكلامية»
- مع العلم أن الجاحظ خلف رسائل كلامية أخرى ضاعت - لأنه كان يعني
بعلم الكلام جميع الأبحاث التي تجمع الدين والفلسفة ، والمتكلم بنظره هو الذي
يحسن من كلام الدين على قدر ما يحسن من كلام الفلسفة ، وسوف نلقي هذا
الجمع بين الدين والفلسفة في جميع هذه الرسائل .



مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي



١ - مقدمة كتاب صناعة الكلام

يذكر الجاحظ في مستهل الكتاب المناسبة التي وضع فيها مؤلفه ، وهي رسالة وردته من متكلم سني يفضل علم الكلام ويعجب بمذهب النظام ويسدي شغفه بالنظر ويصبر الى تهذيب النحيل ، ويعلم موقفه من الفرق : فهو يناصر الشيعة العدا ، ويتعد عن المرجئة والناطقة والجبرية والمشبهة .

ويعرفه الجاحظ بأنه « متكلم جماعي ، ومتفقه سني ، ونظار معتزلي » .

اي انه يجمع بين مذهبي أهل السنة والعتزلة أو بتوسطهما : فيجيز علم الكلام ويرتفع عن العامة والخشوية الذين عطلوا العقل واخذوا بالتقليد والجبر ، وبذلك يمكن اعتباره رائداً من رواد الأشعرية سبق أبا الحسن الأشعري بقرن من الزمان .

ثم يعدد الجاحظ فضائل علم الكلام فيراه كنزاً ثميناً ينبغي الحرص عليه والضم إليه . وفي هذا رد على الذين بخسوه فضله واستصغروا شأنه وزعموا انه ليس بعلم ، وانه ضار لا نفع منه . من هؤلاء المحدثون الذين تزعمهم الإمام أحمد بن حنبل ، وحرموا علم الكلام ، واعتبروه بدعة من البدع .

ان علم الكلام يشبه الميزان الذي نزن به الأمور فنعرف نقصانها او رجحانها ، صحتها او غلطها . انه بمثابة الآلة التي يستخدمها كل علم لقياس الحق

وتبنيه من الباطل . وهو بذلك يشبه علم المنطق عند الفلاسفة .

وعلم الكلام يعرفنا ما احل الله لنا وحرم في تنزيله أوفي القرآن، وثبت وجود الله ، ويقدم الحجج على النبوة .

لهذه الاسباب كان علم الكلام جديراً بالتعظيم والذب عنه وافتدائه بكل غال وثمين ، إذ به يعرف الصغير والكبير ، والحقير والخطير . وبه يستدل على الخير من الشر . وهو يصنع في العقول صنيع العقل في الروح ، وصنيع الروح في الجسد .

وإذا كان علم الكلام ذا فضائل عظيمة الشأن فإنه لا يخلو من الآفات الكثيرة وهذه الآفات قسمان ظاهر وخفي ، والخفي لا يدرك الا بالعقول السليمة وادمان الفكر ودراسة الكتب وممارسة المناظرة .

من تلك الآفات الفرور ، والمغتر يرى انه احسن جميع الصناعات في حين لم يحسن الا بعضها ، ويرى نفسه فوق من خصمه وانه على حق بينما غيره على بطل ، وانه اذكى من خصمه ، ولهذا يكثر في صناعة الكلام الدخلاء والادعياء .

ومن تلك الآفات الخصومة بين المتكلمين ، فهم يتجادلون ويتشاجرون في المحافل فيرفعون اصواتهم ويحركون أياديهم ، ويروم كل واحد منهم التغلب على الآخر ، وحب الغلبة يفسد النية ويمنع من درك الحقيقة ويخرج بصاحبه عن الاعتدال ويحيد عن القصد .

ويستطرد الجاحظ من تعداد آفات علم الكلام الى عداوة الناس لهذا العلم وربما اعتبر هذه العداوة من أهم آفات صناعة الكلام . انه يلقى الظلم من معظم الناس الذين يبخسونه حقه ويزدرونه ويعرضون عنه . من هؤلاء جمهور الأدباء وذوو العقول الضعيفة والقصيرة النظر ، والعوام وخواصهم ، والملوك ومن اليهم .

ومن اعداء علم الكلام اصحاب الصناعات ، فاصحاب الحساب والهندسة يزعمون ان علم الكلام ليس علماً حقيقياً لأنه يقوم على الاجتهاد والحدس والتمويه

بينما العلم الحقيقي يقوم على الضرورة والطبيعة . ان هؤلاء لم يفهموا علم الكلام على حقيقته وقد بنوا حكمهم على الهوى لا على صحة العقل والعناية بالموضوع .

ومنم اعداء علم الكلام اصحاب الفتيا والاحكام ، لقد اجمع الحكام والرعية على تفضيل المفتي على المتكلم ومحضوه ثقتهم واغدقوا عليه المال ، على الرغم من أن علم الكلام هو الاسل وعلم الفتيا فرع منه والاصل اشرف من الفرع . ثم ان آلة المتكلمين أتم وأداهم اكمل ونظرهم اثقب وحفظهم أحضر .

وفي نهاية الرسالة يذكر الجاحظ معنى المتكلم ، وإن كلمة متكلم تشمل الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة واهل المذاهب الشاذة ، ولم يضع الجاحظ اهل السنة والجماعة في عداد الفرق الكلامية ، وربما كان السبب إحجامهم عن الاشتغال بعلم الكلام في عصر الجاحظ . لقد كان الإمام احمد بن حنبل معاصراً للجاحظ وزعيماً لاهل السنة والجماعة وكان موقفه من علم الكلام موقف الرفض والتبديع . ولم يقبلوا على علم الكلام الا مع ابي الحسن الاشعري (٩٣٥ م) الذي عاش بعد الجاحظ وكان في اول عهده معتزلياً ثم انشق عنهم وانحاز الى اهل السنة والجماعة وتأثر بخطاه من بعده أتباعه امثال الباقلاني (١٠١٣م) والجهوني (١٠٨٦م) والغزالي (١١١١م) .

ان موقف اهل السنة والجماعة المعادي لعلم الكلام هو الذي حمل الجاحظ على الدفاع عنه وتبيان فضائله واهميته في رسالته هذه . ولتكون رسالته اشد أثراً اشار في مطلعها الى شخص جماعي سني يجذب علم الكلام ويميل الى مذهب النظام احد شيوخ المعتزلة واستاذ الجاحظ نفسه ويلهج بفوائد هذا العلم وقيمته . ولم يسم الجاحظ هذا الشخص المتكلم الذي خالف اهل جماعته وتبنى موقفاً يعتبر ثورة او انقلاباً في داخل الجماعة ، وليته فعل ذلك ، اذاً لدلنا على تقدم متكلم سني رائد سبق الاشعري ، ولا زال الشك الذي قد يخالجننا بصحة وجوده .



٢ - مقدمة كتاب القيان

- في كتاب القيان، يعالج الجاحظ موضوع حجاب المرأة وسفورها من الناحيتين الدينية والفلسفية . من الناحية الدينية يرى ان الاسلام لم يمنع المرأة من الظهور للرجل ولم يحرم على الرجل النظر الى المرأة ، وفي سبيل ذلك يقدم أدلة عديدة وشواهد مختلفة يستقيها من القرآن والصحابة ورجال الاسلام . ومن الناحية الفلسفية يقول ان استمتاع الرجل بجمال المرأة امر طبيعي ، لأن جميع ما يحويه العالم خول ومتاع له ، وأقرب ما سخر له المرأة ، فإنها خلقت له ليسكن اليها . والنساء حمرث للرجال كالنبات للحيوان ، ولولا المحنة وتخليص المواليده لكانت القاحدة هي مشاعة النساء بين الرجال . واذا كان الشرع قد حرم المشاهدة للأسباب المذكورة ، فإنه لم يحرم النظر الى النساء ، وكل شيء لم يوجد محرماً في كتاب الله وسنة رسوله ، مباح مطلق .

وتطرق الجاحظ الى مسألة فلسفية محضة هي الجمال ، فحدد الجمال بأنه التمام والاعتدال وحاول تطبيق هذا التحديد على المرأة خاصة ، وفي هذا يتفق مع أرسطو الذي حدد الجمال بأنه المقدار والتوازن ، ولكنه يختلف عنه في كيفية إدراكه ، إن النظر والاحساس لا يكفيان لإدراك جمال الاشياء ، فلا بد من تدخل العقل الذي يصدر الحكم .

ان الاستمتاع بالجمال ليس محرماً ، هذا هو المبدأ العام الذي ينطلق منه الجاحظ . لقد أبيع الجمال للانسان أن وجدته : في المرأة او الطبيعة او في الفنون المختلفة . ويتوقف الجاحظ عند فن الغناء ليبين ان لا وجه لتحريمه لا في الكتاب ولا في سنة الرسول ولا في العقل . ان الغناء شعر مكسوف نغمياً . والشعر كلام موزون ، والكلام غير محرم ، وإذا كان الكلام غير محرم ، فإن وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريمه لعلته من العلل . وان الترجيع له لا يخرج به الى حرام ، وان وزن الشعر وكتاب العروض من كتاب الموسيقى فلا وجه لتحريمه ، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

ان دفاع الجاحظ عن الجمال والفن والدعوة للإقبال عليهما ، كانا رداً على موقف المتزمتين الذين اعتقدوا ان الاسلام لم يكن راضياً على الفن ، ولم يشجع عليه ، سواء كان شعراً او تصويراً او موسيقى او نحتاً . ان النبي لم يكن راضياً عن الفن الذي يسيء الى الدين ، او الذي يصطبغ بصبغة وثنية ، فالنحت يصنع التماثيل والاصنام والتصوير يرسم مخلوقات وآلهة ، والغناء يصد عن ذكر الله ، ويلهي الانسان ، والشاعر يهيم في كل واحد . ولكن النبي لم يحرم الفن الذي يخدم الدين او يتفق مع تعاليمه مهما كان نوعه ، وقد رد الجاحظ هذه الحجج قائلاً : ان الله سخر للانسان كل ما في العالم ، بما في ذلك الاستمتاع بالجمال المتمثل في المرأة ، والطبيعة والفنون . وإذا كان الفن محرماً لانه يلهي عن ذكر الله فقد نجد كثيراً من الاحاديث ، والمطاعم والمشارب ، والنظر الى الجنان والرياحين ، واقتناص الصيد ، والتشاغل بالجماع ، وسائر اللذات ، تصد وتلهي عن ذكر الله تعالى

ونعلم ان قطع الدهر بذكر الله من أمكنه ذلك أفضل ، إلا أنه إذا أدى الرجل الفرض ، فهذه الامور كلها له مباحة ، وإذا قصر عنه يلزمه المأثم .



٣ - مقدمة كتاب النساء

كتاب النساء يمت بصلة وثيقة الى كتاب القيان ، لأنه يعالج الموضوع ذاته تقريباً أي المرأة ، واذا كان الجاحظ في كتاب القيان ينظر الى المرأة كمصدر للذة الرجل ، يحق له الاستمتاع بجمالها دون حواجز وحجب ، فإنه في كتاب النساء يكرر الفكرة ذاتها ، ولكن مع نظرة اكثر تقديراً للمرأة وإعلاء لشأنها .

للمرأة بنظره أرفع من الرجل في عدة أمور : منها ان الرجل يخاطب يدها ويطلبها ويحبها ويفديها . ومنها ان الرجل قد يستحلف بالله والبيت الحرام وباله ورقيقه ، فيسهل عليه ذلك ، فإذا استحلف بطلاق زوجته ، تربد وجهه ، وطار الغضب في دماغه . ومنها « ان الله خلق من للمرأة ولداً من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولداً من غير أنثى » . يشير بذلك الى خلق المسيح .

والرجل ارفع من المرأة في أمور عدة ، وينبغي ان يكون الجاحظ قد ذكرها في كتابه ، ولكنها سقطت . وهذا ما يفهم من كلامه : « ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر ، فليس ينبغي لنا ان نقصر في حقوق المرأة ، وليس ينبغي لمن عظم حقوق الأبناء ان يصغر حقوق الامهات ، وكذلك الأخوة والاخوات والبنون والبنات » .

ويتهي الجاحظ الى التسوية بين الرجل والمرأة ويقول : « ولسنا نقول ولا

يقول أحد ان النساء فوق الرجال او دونهم بطبقة او طبقتين او بأكثر .

وينتقد الجاحظ أولئك الذين يحتقرون المرأة ويبخسونها حقوقها ، ويعلمن أنه ألف كتابه هذا للدفاع عن المرأة ومهاجمة من يزررون عليها . وبهذا يكون أقدم مفكر عربي نادى بمنح المرأة حريتها ، واعطائها حقوقها ورفع شأنها ويقول : « ولكننا رأينا ناساً يزررون عليهن اشد الزرابة ، ويحتقروهن اشد احتقار ، ويبخسونهن أكثر حقوقهن ، وان من العجز ان يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الاباء والاعمام ، إلا بأن ينكر حقوق الامهات والاحوال ، ولولا أن أناساً يفخرون بالجلد وقوة المنة وإنصراف النفس عن حب النساء ، حتى جعلوا شدة حب الرجل لامته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور ، لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب . »

وما تبقى من الكتاب يدور حول ما توفره المرأة من لذة للرجل ، لا تضارعها لذة أخرى يقول « تأملنا شأن الدنيا فرجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبته ، ثم إن الرجل يضحى بكل ما يملك من مال ونفيس ولا يضحى بمعشوقه ، ويمجد للمرأة بكل شيء حتى كأن المطر والصبغ ، والخضاب والكحل ، والتنف والقص ، والتحذيف ، وتجويد الثياب وقف عليهن . ولم نر الرجال يموتون من عشق أولادهم أو والديهم او مراكبهم ومنازلهم كما نراهم يموتون من عشق النساء . »

ويرى الجاحظ ان المرأة أشهى عند الرجل من الغناء : « وإذا خلا بمعشوقه لا يظن ان لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته ، بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال » وإذا صدر الغناء عن المرأة إزداد حسناً ، لأنها تمنحه جمالاً فوق جماله .

ويتطرق الجاحظ الى موضوع الحب فيرى انه على انواع ودرجات . فهناك حب القرابة ، وحب الاموال ، وحب المراتب الرفيعة ، وحب الرعية للائمة ، وحب المعروف ، وهناك حب المرأة الذي يمثل المرتبة الاولى ، ودرجات الحب أولاها

الحب وثانيتها الهوى وثالثتها العشق . ولم يتوسع الجاحظ في الحب ودرجاته كما توسع في كتاب القيان .

ويعود الجاحظ ثانية الى موضوع جمال المرأة . وإذا كان في كتاب القيان قد حدد الجمال ووضع فلسفته ، فإنه يحاول هنا ان يقدم تطبيقات له . إن جمال المرأة يعرف بتشبيهها بالشمس والقمر والغزاة . . . ولكن هذه الاشياء تقصر عن جمال المرأة ، لأن جمال المرأة أكمل . يقول في ذلك : « وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن احسن من الظبية واحسن من البقرة، واحسن من أي شيء تشبه ، ولكنهم اذا ارادوا القول شبهوها باحسن ما يجدون . ويقول بعضهم كأنها الشمس وكأنها القمر ، والشمس وان كانت هبة فالما هي شيء واحد . وهي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب المعجيب . . . » .

ويرى الجاحظ ان الرجال ابصر بجمال المرأة من النساء ، لأن المرأة تعرف من المرأة ظاهر الصفة ، واما الخصال التي تقع بموافقة الرجال ، فانها لا تعرف ذلك .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

ويقدم لنا الجاحظ وصفاً للمرأة الجميلة . إنها المرأة المجدولة ، والمجدولة هي المرأة التي تكون وسطاً بين السمينة والممشوقة مع جودة القد واعتدال المنكبين واستواء الظهر . . . » .

وفي الختام يخبرنا الجاحظ بأنه ألف هذا الكتاب في شيخوخته ، عندما اشتدت عليه العلة ، وضعفت قواه ، فاضطر الى اختصاره ، وقصر الكلام على ما بين الرجل والمرأة ، والتخلي عن بعض ابوابه مثل القول في الذكور والإناث في عامة أصناف الحيوان ، وراعى في تأليفه ما راعاه في سائر كتبه من الاقتصاد وعدم التطويل لكي لا يضجر القاريء ، ومن مزج الجهد بالهزل ، ليوفر له الفائدة واللذة معاً . ولا بد من الملاحظة هنا أن هذا الكتاب لم يصلنا كاملاً ، فقد سقط منه الكثير وعثت به يد الناسخين والمختارين ، فقدمت وأخرت فيه . ويبدو ان اقرب طبعته

الى الصحة طبعة السندويي . اما طبعة عبد السلام هارون فقد جعلت قائمة الكتاب
في وسطه . ولم تخل الطبعتان من أخطاء حاولنا اصلاحها قدر الإمكان .



مركز تحقيقات كتابية و تاريخية علوم اسلامی

٤ - مقدمة المسائل والجوابات في المعرفة

هذه الرسالة نشرها المستشرق الفرنسي شارل بلأبي مجلة المشرق ، وأورد في محاولة كشف انتاج الجاحظ « اسماها اربعة كتب أخرى هي : « كتاب المعارف » ، « كتاب المعرفة » ، « كتاب مسائل المعرفة » ، « كتاب المسائل » ، ولم يصلنا منها سوى هذا الجزء من الرسالة التي نشرها الآن ولكن كثرة كتبه حول المعرفة يدل على مدى إهتمامه بهذا الموضوع الذي تبوأ مقاماً رفيعاً وهاماً في الفلسفة الحديثة .

نجد في الكتاب عرضاً لنظريات ثلاث في المعرفة تشغل القسم الأول منه هي نظرية بشر بن المعتز (٨٢٥م) المعتزلي الذي يذهب الى ان جميع المعارف تقريباً مكتسبة وليست إضطرارية إلا ما « وجدته الحواس بغنة وورد على النفوس في حال عجز او غفلة ، فكان هو القاهر للحاسة والمتولي على القوة من غير ان يكون من البصر فتح ومن السمع اصغاء ومن الأنف شم ومن الفم ذوق ومن البشرة مس ، فإن ذلك الوجود فعل الله دون الانسان على ما طبع عليه البشر وركب في الخلق » . ولكن إذا وافق عمل الحواس قصد جاءت المعرفة الحسية اكتساباً لا اضطراراً . يلي نظرية بشر بن المعتز نظرية النظام (٨٤٥م) وهو شيخ آخر من شيوخ المعتزلة واستاذ للجاحظ . يقول النظام : ان المعارف ثمانية انواع ، سبعة منها باضطرار تشمل المعارف المتعلقة بالحواس الخمس ، والإخبار ، وقصد المخاطب . وواحد منها إكتساب هو الذي سبيله النظر والفكرة ، كالعلم بالله ورسوله وتأويل كتابه ، وعلم

الفتيا . . . والنظرية التالية هي نظرية معمر بن عباد السلمي (معاصر للنظام)
الذي توسع في تفريع المعرفة فجعلها عشرة انواع وذكر فيها نوعاً هاماً جديداً هو
معرفة الذات المباشرة دون الاستعانة بالحواس والعقل ، وهذه المعرفة أفاد منها ابن
سينا كثيراً فيما بعد .

وبعد هذا العرض لنظريات المعتزلة الذين سبقوا الجاحظ او عاصروه ، يعلن
الجاحظ موقفه ، فيرى ان آراءهم فاسدة ، ويتوقف عند قولهم ان معرفة الله مكتسبة
ليثبت انها كسائر ضروب المعرفة اضطرار . ويعني بالاضطرار عدم تدخل الارادة في
معرفة الاشياء ، ويستدل على ذلك بتعرف الطفل على الاشياء المحيطة به بفضل
التجارب المتتالية التي يمر بها منذ ولادته وحتى يبلغ ويميز .

إن هذه التجارب برأيه غير قصدية ، أي أنها تختلف عن تجارب البالغ التي
يرافقها التصميم والقصد أي الارادة . ان البالغ مذ سقط من بطن امه ، الى ان
يلبغ ، مقلب في الامور المختلفة ، ومصرف من خلال الحالات المعروفة التي تلقمه
الدنيا بما تقرر عليه من عجائبها . ويزداد في كل ساعة معرفة ، وتفيده الايام في كل
يوم م تجربة ، كما يزداد لسانه قوة وعظمه صلابة ، ولحمه شدة ، من أم تناغيه ،
وظئر تلهيه ، وطفل يلاهبه ، وطبيب يعالجه ، ونفس تدعوه ، وطبيعة تعينه او شهوة
تبعثه ، ووجع يقلقه ، كما يزداد الزمان من قوته ويشد من عظمه ولحمه ، ويزيده
الغذاء عظماً ، وكثرة الغضب والتقليب جلدأ ، فإذا درج وحبا وضحك ويكى وامكنه
ان يكر اناء او يكبه او يسود ثوباً ، او يضرب صبيأ ، فضرب دبره الخادم وانتهره
القيم فلا يزال ذلك دأبه ودأبهم حتى يفهم الاغراء والزجر والتعديبة والانتهار ، كما
يعرف الكلب اسمه اذا ألح عليه الكلاب به ، وكما يعرف المجنون لقبه ، وكما
يحضر الفرس من وقع السوط لكثرة وقعه بعد رفعه عليه .

هذا الوصف الجميل ، لعملية تعلم الانسان بالتجارب اللارادية ، يوضح
لنا ماذا يعني الجاحظ بقوله ان المعرفة اضطرار او طباع . ان المعرفة تتم بالطبع او
الغريزة لأن الجاحظ يعتبر عقل الانسان غريزة كسائر الغرائز ، تعمل دون ان تخضع

لإرادة صاحبها . أي ان الانسان لا يستطيع ان يسيطر على عمليات فكره ، وليس
للارادة سوى حصر الانتباه في الموضوع ، اما كيفية عمل العقل فخارجة عن نطاق
الارادة ، هذا ما يفسر لنا تشبيه الطفل بالكلب والمجنون ، والفرس الذين تسيرهم
الغرائز . ويتصرفون دون عقل او ارادة .

لقد ناقش المعتزلة الذين عاشوا بعد الجاحظ نظريته حول المعرفة ونجدهم
يوجهون اليها نقداً عنيفاً . كما يتضح في كتاب المغني الذي وضعه القاضي عبد
الجبار (١٠٢٥م) .

وفي الكتاب الذي نحن بصدده كلام حول موضوع آخر هو الحرية ، وهو
موضوع يضارع موضوع المعرفة في الامة ، وقد شغل بال الفلاسفة واحتل
حيزاً واسعاً في أبحاثهم . وهنا نلقي الجاحظ بصنع نظرية أصيلة وقيمة . ان
الانسان لا يكون حراً ومكلفاً ، إلا إذا كان مستطعماً ، والإستطاعة تفترض شروطاً
هي صحة الجسم واعتدال المزاج ، والمعرفة بالأمور موضوع الفعل ، وفي الانسان
قوتان تتصارعان هما العقل والشهوة ، وهو لا يكون حراً إلا إذا تساوت قوتها العقل
والشهوة ، وإذا غلبت عليه الشهوات فقد حرته ، وإذا سيطر العقل على الشهوة
فقد أيضاً حرته ، لأنه يصبح ملزماً بتنفيذ ما يمليه عليه المنطق والفكر .



٥ - مقدمة كتاب حجج النبوة

في حجج النبوة نجد الجاحظ يعالج « موضوعاً كلامياً طريفاً وعماماً : إنه يحاول أن يحمي الحجج التي تدل على النبوة . ويمهد لذلك بتعريف الحجج وأنواعها . فالحجة هي الدليل وهي نوعان ، عيان ظاهر وخبر قاهر . والعيان والخبر أصلاً الإستدلال ، والعقل هو المستدل ، فلا بد إذاً في كل إستدلال من عقل يستدل ومن عيان أو خبر يكونان عملة للإستدلال أو أصلاً له .

ويأسف الجاحظ لإغفال السلف هذا الموضوع . ان هذا الإغفال هو الذي ادى الى الشك في الدين والنبوة من قبل الزنادقة ، والدهريين ، والمجان ، وضعاف العقول ، والاحداث المغرورين .

ويرى الجاحظ ان الناس بحاجة ماسة الى الاخبار ، كما هم بحاجة الى الإبصار ، لأن الخبر أصل الإستدلال كما ان العيان أصل الاستدلال . والعقل الذي هو آلة المعرفة بدون الاخبار والعيان لا يدرك من العلم الا اليسير ، وفي مسألة النبوة ، تشتد حاجة الناس الى الاخبار ، لأن الاجيال اللاحقة لعصر النبي لم يهاينوا حجج النبوة ، فكان لا بد من ان يخبرهم بها الذين عاينوها .

ويتوقف الجاحظ عند قضية صحة الخبر ، ان الناس يكذبون كثيراً ، فكيف

نركن الى الاخبار التي يسوقونها عن النبي ؟ يجيب الجاحظ ، إن اختلاف طبائع الناس هو سندا ، في صحة الاخبار . ذلك أنه يستحيل أن يتفق الناس المختلفوا الطباع على تخرص الخبر الواحد ، ة ان الانسان يعلم ، انه اذا لقي البصريين ، فأخبروه أنهم قد عاينوا بمكة شيئاً ثم لقي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك ، أنهم صدقوا ، اذ كان مثلهم لا يتواطأ على مثل خبرهم ، على جهلهم بالغيب ، وعلى اختلاف طبائعهم ، وهمهم ، واسبابهم .

ويورد الجاحظ ثلاث حجج أخرى على النبوة ، هي الدعاء المستجاب ، وعجز العرب عن معارضة القرآن ، واجتماع محامد الاخلاق والأفعال في النبي ، لقد دعا النبي الله ان يجذب بلاد العرب ، عندما إشتد أذاهم عليه ، فحبس الله المطر حتى يبس العشب ، والشجر ، وماتت الماشية ، واشتد الجوع . ودعا الله ايضاً ان يمزيق ملك كسرى كما مزيق كتاب النبي ، فاستجاب الله ايضاً وقضى على دولة الفرس بعد زمن ، قصير ، على ايدي المسلمين .

أما عجز العرب عن معارضة القرآن ، رغم إتصافهم بالبلاغة ، واجتهادهم في تكذيب النبي وتحمديه ، فهو أهم معجزات النبي محمد وأكبر حجج نبوته . لقد قال لهم النبي : إن عارضتموني بسورة واحدة ، فقد كذبت في دعواي وصدقتم في تكذبي . فلم يستطيعوا ان يأتوا بسورة واحدة يعارضون فيها القرآن . ويتطرق الجاحظ الى سبب اختلاف معجزات الانبياء ، فيرجعه الى اختلاف اوضاع المجتمعات التي يظهر فيها الانبياء . ان قوم فرعون كانوا يعظمون السحر وكان السحر مستحكماً فيهم ، فأرسل الله موسى لیسفه سحرهم بعصاه السحرية التي تنقلب أفعى ساعة يشاء ، أي تحداهم في الأمر الذي به يعجبون ويزهون ويعتدون .

وكان الناس في عهد المسيح يهتمون بالطب ويقدرون الاطباء ، ويثقون بهم فتحداهم المسيح في ذلك إذ أبرأ المرضى وأحيا الموتى . وكان العرب ، قوم النبي محمد ، يجلون البيان ويتباهون بالبلاغة والفصاحة ، فتحداهم النبي محمد بالقرآن

معجزة البلاغة والبيان ليسين ضعفهم إزاءه . وهكذا كان السحر معجزة موسى ،
وكان الطب معجزة عيسى ، وكان القرآن معجزة محمد .

وأخيراً ثمة آية أخرى يعرفها جميع البشر وهي : « الاخلاق والافعال التي لم
تجتمع لبشري قط قبله ، ولا تجتمع لبشري بعده ، من حلم ووفاء ، وزهد وجود
ونجدة وصدق وتواضع وعلم وعفو وشجاعة ... »



مركز بحوث الحاسوب والعلوم الإسلامية



٦ - مقدمة كتاب خلق القرآن

كانت مسألة خلق القرآن من أشد المسائل إثارة للجدل بين المعتزلة وخصومهم . لقد ذهب المعتزلة الى أن القرآن مخلوق حادث بينما قال المحدثون أنه قديم . وحجة المعتزلة هي ان القرآن شيء من الأشياء وكل شيء عدا الله مخلوق ، ثم ان المعتزلة رفضوا القول بقديم صفات الله بما فيها صفة الكلام وتميزها عن الله ، لأن ذلك يؤدي الى القول بجواهر قديمة مع الله تشاركه في الوجود والقدم، مما يتعارض مع مبدأ التوحيد الذي يشكل صلب عقيدتهم .

اما المحدثون في عصر الجاحظ فكان يتزعمهم الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، وكانوا يناصبون المعتزلة العداة ويؤلبون عليهم العامة ، فاستعان المعتزلة في نزاعهم مع المحدثين بالسلطة القائمة المتمثلة بالخليفة العباسي المأمون ثم بالعتصم فالوائق . وكان هؤلاء الخلفاء قد قربوا المعتزلة واتخذوهم مستشارين في قصورهم وقضاة . فاقدم المأمون على ما سمي بحنة خلق القرآن . واصدر أمره بأن يستجوب المحدثون حول رأيهم في خلق القرآن . . فمن قال انه مخلوق خلي عنه وكرم ، ومن قال انه قديم تعرض للضرب والحبس والاهانة .

وفي هذه الرسالة بمالغ الجاحظ هذه المسألة ويملو لنا صورة عن حنة خلق

القرآن . ويستهلها بمقتطفات من رسالة تلقاها من شخص لم يذكر اسمه يسأله ان يكتب كتاباً « يقصد فيه الى حاجات النفوس وصلاح القلوب ومعتلجات الشكوك وخواطر الشبهات » ، ويبدو من كلام الجاحظ ان ذلك الشخص تواق الى الحق ميال للانصاف ، راغب عن التقليد ، قاصد الى محو الشكوك والشبهات من نفوس الناس حول مسألة خلق القرآن .

ويخبرنا الجاحظ انه الف كتاباً في نظم القرآن رداً على الرسالة التي تلقاها احتج فيها للقرآن ورد على الرافضة والمحدثين والحشوية والنظام ومن جاء بعده « ممن يزعم ان القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس بمرهان ولا دلالة » . ويفهم من هذا الكلام ان النظام والشيعة والحشوية يقولون ان نظم القرآن او تأليفه ليس معجزة او حجة على النبوة ، وان معجزته تكمن فيما انطوى عليه من معان واخبار بالغيب وانصراف الناس عن معارضته ، ولو ارادوا معارضته لافلحوا . والجاحظ يخالف النظام ومن يذهب مذهبه ويقول ان تأليف القرآن او بلاغته معجزة ولا يمكن معارضته . وقد بسط رأيه في كتاب حجج النبوة الذي نشره مع مجموعة رسائل الجاحظ الكلامية . ~~أما كتاب نظم القرآن فلم يصل اليها مع الأسف .~~

وكما انتقد الجاحظ النظام وفرقته إنتقد بعض شيوخ المعتزلة الآخرين أمثال معمر بن عباد وأبي كلدة وعبد الحميد وثمامة بن أشرس لقولهم بأن القرآن مخلوق على المجاز لا على الحقيقة . ان هؤلاء المتكلمين تركوا اصول مذهبهم او اغفلوها وعجزوا عن استخلاص النتائج الضرورية من المقدمات . وهذا لا يطعن في صحة اصول المعتزلة ولا يمكن أن نعزو خطأهم الى اصل مقالاتهم . فعلى اصل مقالاتهم يجب ان يقولوا ان القرآن جسم من الاجسام ، والجسم لا يكون الا من جسم ومن مخترع الاجسام ولا يحدث الا اختياراً وابتداعاً ، ويلزمهم ذلك القول بان القرآن مخلوق على الحقيقة . ولكنهم قالوا ان القرآن صوت وتقطيع ونظم وتأليف وليس جسماً ، والصوت عرض يتولد عن علة موجبة ولا يحدث الا من اجرمين كاصطكاك الحجرين وكقرع اللسان باطن الاسنان ومن هواء يضغط ، ولا يقوم بذاته . وما

كان هذا شأنه لا يكون مخلوقاً على الحقيقة بل على المجاز .

والقرآن في رأي الجاحظ على غير ما يقول به هؤلاء المتكلمون . انه جسم وصوت ودفو تأليف ودفو نظم وتقطيع ، وخلق قائم بنفسه مستغن عن غيره ، ومسموع في الهواء ومرئي في الورق ، ومفصل وموصل ، ذو اجتماع وافتراق ، ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء ، وكل ما احتملته الاجسام ووصفت به الاجرام . وكل ما كان كذلك فمخلوق في الحقيقة دون المجاز وتوسع اهل اللغة .

والقسم الثاني من الرسالة مخصص لعرض محاكمة الامام احمد بن حنبل : لقد جمع المعتصم الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمحصلين ، ولما حضر الامام احمد بن حنبل ليسأله عن رأيه في خلق القرآن احتج الامام احمد قائلاً : امتحنتني وأنت تعرف المحنة وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتني من جميع هذه الأمة . فاجابه المعتصم : اخطأت بل كذبت . فسؤالي لك ليس من المحنة ، بل خوفاً على الاسلام . ولولا ذلك لم يقيدك قبل الخليفة المأمون وبجسك . ثم قال له مهدداً لأن استحييك بحق احب الي من ان اقتلك بحق . ولكن الامام أحمد ظل يماند وينكر الحق . وسأله احمد بن ابي دؤاد رئيس القضاة : اليس لا شيء الا قديم او حديث ؟ اجاب نعم . قال : اوليس القرآن شيئاً ؟ قال : نعم . قال اوليس لا قديم الا الله ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن اذا حديث ! قال ليس انا متكلم . فقال الخليفة : أف لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة .

ثم قال احمد بن ابي دؤاد : اتزعم ان الله تعالى رب القرآن ؟ قال : لو سمعت احداً يقول ذلك لقلت ا قال : أما سمعت ذلك قط من حالف ولا سائل ولا من قاص ولا في شعر ولا في حديث ؟ وعندئذ ضربه الخليفة .

وقال الإمام احمد بن حنبل أن حكم كلام الله كحكم علمه . فكما لا يجوز ان يكون علمه محدثاً ومخلوقاً فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقاً ومحدثاً . فأجابه احمد بن ابي دؤاد : هذا غير صحيح لأن علم الله غير كلامه . فهو يستطيع ان يبدل

آية بآية ، وينسخ آية باخرى ، وان يذهب بالقرآن ويأتي بغيره ولكنه لا يجوز أن يبدل الله علمه . وفي القرآن آيات تبين ذلك .

وفهم من كلام الجاحظ التالي ان احمد بن حنبل اقر أخيراً بخلق القرآن . ولذا يوجه الجاحظ كلامه الى أتباع الإمام قائلا : « لقد كان صاحبكم هذا يقول : لا تقية الا في دار الشرك . فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد اصملها في دار الاسلام ، وقد اكذب نفسه . وان كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم . على انه لم ير سيفاً مشهوراً ولا ضرب ضرباً كثيراً ولا ضرب الا بثلاثين سوط مقطوعة الثمار مشعبة الاطراف حتى افصح بالاقرار مراراً . . . » .

يعني ان الإمام احمد بن حنبل عندما اقر بخلق القرآن لم يكن مكرها على ذلك وكان بوسعه تحمل الحبس والضرب .

وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الذين ترجعوا للإمام احمد بن حنبل او تحدثوا على محنته كابن الجوزي وابن تيمية يخالفون الجاحظ في مسألة إقراره بخلق القرآن ويقولون انه لم يغير موقفه نتيجة الضرب والحبس وأصر على قدم القرآن .



٧ - مقدمة كتاب إستحقاق الإمامة

يبحث الجاحظ في كتاب إستحقاق الإمامة نظرية الإمامة وشرح رأي الشيعة والخوارج ثم يبدي رأيه الخاص . ونجد في لائحة كتبه عناوين عدة رسائل حول هذا الموضوع ، منها « كتاب حكاية قول أصناف الزيدية » ، « وكتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة » ، « ورسالة في بيان مذاهب الشيعة » ومنتخبات من رسائل عدة . وقد نشرها السندوي في رسالة واحدة ، ونشرها عبد السلام هارون في ثلاث رسائل ، نقلاً عن هامش الكامل للمبرد ، تحت العناوين التالية : « من كتابه في مقالة الزيدية والرافضة » ، « من كتابه في إستحقاق الإمامة » ، « من كتابه في الجوابات واستحقاق الامامة » .

وقد آثرنا طبعة السندويي الموحدة ، على طبعة عبد السلام هارون المجزأة ، لأن تجهزة عبد السلام هارون إعتباطية ، إن مقالة « الزيدية والرافضة » و« إستحقاق الامامة » تتمم الواحدة منها الأخرى ، وترتبطان ارتباطاً وثيقاً ، من حيث الموضوع والمعاني ، ومن الخطأ اعتبارهما رسالتين مختلفتين . أما كتاب الجوابات واستحقاق الامامة ، فيعالج موضوع الامامة ، من وجهة نظر الخوارج والشيعة والجاحظ ، ومن العسير معرفة بدء الرسالة ونهايتها ، لأنها تخلو من المقدمة التي نعدها في كتب

الجاحظ .

- ينقسم الشيعة في رأي الجاحظ الى فرقتين اساسيتين هما الزيدية والرافضة .

إن علماء الزيدية يقدمون علياً على سائر الناس بصفات أربع توافرت فيه جميعاً ، هي القدم في الاسلام ، والزهد في الدنيا ، والفقہ في الدين ، والجهاد في سبيل الإسلام .

هذه الصفات اجتمعت في علي ولم تجتمع في غيره من أصحاب المراتب اي الصحابة ، وإن تفرقت في سواه ، « وأخذ كل واحد منها بنصيب فإنه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه » .

ولم يتسلم علي الخلافة بعد موت النبي مباشرة لاسباب يذكرها الزيدية ، منها كره كثير من الناس اياه لأنه وترهم بقتل أقربائهم ، ومنها حداثة سنه بالنسبة الى أبي بكر وعمر وعثمان ، والعرب يحترمون الاكبر سناً ، ومنها كره البعض ان تجتمع النبوة والملك في بني عبد مناف ، ومنها جهل معظم الناس لفضل علي . ومنها ذر قرن الردة عن الإسلام ، ومنها مطالبة الانصار بأن يكون منهم الامام . خاف علي إذا طالب بالامامة ، ان يحدث انشقاق بين المسلمين يهدد الدين ويقضي عليه ، فسكت وقبل بأبي بكر حرصاً على وحدة المسلمين وبقاء الإسلام .

وتقر هذه الطبقة من الزيدية إمامة المفضول مع وجود الافضل أي تقبل بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان ، رغم أفضلية علي عليهم ، وذلك لمصلحة الإسلام وللانشقاق من الفتنة .

ولكن طبقة أخرى من الزيدية لا تسلم بهذا المبدأ ، لم يتحدث عنها الجاحظ في هذه الرسالة ، ونحن نجد رأياً في رسالة أخرى كتبها أحد اعلامها . وهو صاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) بعد نحو قرن من وفاة الجاحظ . وهو يشدد على ان الإمامة لا يستحقها إلا الافضل ، ولا يجوز العدول فيها الى المفضول لعله من العلل . وبما ان الإمام علي أفضل الصحابة للخصال التي توافرت فيه دون غيره

لذا وجب ان يخلف النبي مباشرة .

وهذه الفرقة تحاول ان توفق بين الزيدية والامامية ، فهي تقول مع الإمامية ، ان النبي أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب ، وتقول مع الزيدية أن إقامة الامام تكون ، إما بالنص كما هو الحال بالنسبة لخلافة علي والحسن والحسين ، وإما بالدعوة والخروج بالسيف ، كما هو الحال بالنسبة ، لزيد بن علي ، انهم يخالفون الإمامية في عدم افتراض النص الجلي ، والعصمة في الإمام . ويخالفون معظم المعتزلة في عدم القول بالاختيار لإقامة الإمام .

وإذا كان القسم الأول من الرسالة مخصصاً لعرض آراء الزيدية في الإمامة ، فان القسم الثاني يعرض آراء الرافضة والخوارج ويناقشها . يرفض الجاحظ رأي الشيعة القائل أن إمامة علي بن أبي طالب كانت بنص وصية من النبي وحجته في ذلك هي : أن الأنصار لو علموا ان النبي أوصى بالخلافة لعلي لم يقولوا منا أمير ومنكم أمير ، وهم اكثرية الناس ، واشدهم امانة على دين الله ، وعلماً بالكتاب والسنة ، ولو كان قد سبق من رسول الله في ذلك أمرها ما كان أحد أعلم به منهم ، ولا اخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم .

إن إقامة الإمام بنظر الجاحظ لا تتركز الى نص او وصية او شرع . بل الى طبع الناس ، ان طبائع الناس وشهواتهم ، تدفعهم الى الشرور والهلاك ، ولا يقوى العقل على ردها . ومن ثم مست الحاجة الى قوة تخيف الناس تتمثل بالامام الذي يعاقب ويتوعد وينتقم ويحبس وينفي ، وفي ذلك يخالف الشيعة الذين يقولون ، ان الإمامة لا تبني على الإكراه والترهيب بل على الهداية والارشاد .

ويخالف الجاحظ الزيدية أيضاً ، في صفات الإمام ، أهم صفات الإمام ثلاث هي الذكاء والعلم والحزم ، وقد رأينا الزيدية يقولون بأربع هي القدم في الاسلام ، والزهد والفقه والجهاد . ان الإمام برأي الجاحظ يجب أن يشبه النبي قدر الامكان ، أي يأخذ بسيرته .

ويرفض الجاحظ رأي الحوارج القائل ان الإمامة يمكن الاستغناء عنها
وتعددتها : فقد يقيم الناس إماماً واحداً أو اكثر وقد لا يقيمون اي إمام ، ويقول لا
بد من امام يجمع طباع الشر الموجودة لدى الناس ، ولا ينبغي ان يقام اكثر من امام
واحد ، درءاً للخلاف والمنافسة بينهم .

هذه بعض آراء الجاحظ حول الامامة . وله آراء اخرى هامة . نجدها في
العثمانية والحكمين وغيرها . تكون مجتمعة نظرية أصيلة تسترعي الاهتمام .



مركز تحقيقات كميوتير علوم إيسوي



٨ و ٩ مقدمة رسالة في نفي التشبيه وكتاب الرد على المشبهة

الف الجاحظ كتاب الرد على المشبهة في عهد المعتصم ، ثم كتب رسالة الى القاضي محمد بن أبي دؤاد يطلب منه المساعدة على نشر الكتاب ، وشرح له الغرض من تأليفه ، وينوه ببعض خصائصه . لذا اعتبرنا الرسالة بمثابة مقدمة لكتاب الرد على المشبهة .

مركز تحقيقات علوم وادب اسلامی

في المقدمة - الرسالة - يحمل الجاحظ على العامة حملة شعواء وينعتهم بصفات قبيحة مثل السفلة والطفام والاراذل والاعمار والحشو . وسبب هذه الحملة هو قولهم بالتشبيه وعداؤهم للمتلذمين المعتزلة حتى أنهم اخافوهم واسقطوا شهادتهم . وهنا يذكر الجاحظ بفضيلة علم الكلام التي بسطها في كتابه « صناعة الكلام » ويردد بعض الجمل والافكار التي تضمنها ذلك الكتاب مثل « ولولا الكلام لم يقم لله دين ولم ينب عن الملحدين ولم يكن بين الباطل والحق فرق ، ولا بين النبي والمنتبي فضل ، ولا بانث الحجة من الخيلة ، والدليل من الشبهة . . . الخ » .

ان موقف العامة هذا من المعتزلة وما ينطوي عليه من ضغينة وتهجم هو الذي حدا بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي على محاربتهم وامتحان قادتهم وأئمتهم . والجاحظ يشير هنا الى حنة خلق القرآن التي استجوب فيها الأئمة والفقهاء

والمحدثون ، وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل رئيس المحدثين في عصره وكان يسأل الواحد منهم : هل القرآن قديم أو مخلوق ؟ فمن قال انه مخلوق رضي عنه وكرم . ومن قال انه قديم أهين وأبعد وربما سجن وعذب . وقد عرض الجاحظ شيئاً عن هذه المحاكمة المحنة في رسالة خلق القرآن .

وكانت نتيجة هذه المحنة ان تحول بعض قادة العامة الى الاعتزال ، بينما نافق آخرون ، وظلوا رغم تظاهرهم بالرضوخ على حالهم من الحق على المعتزلة والقول بالثبوت ، وهؤلاء هم الغالبية . وهؤلاء المنافقون لجأوا الى حيلة جديدة عندما اعوزتهم القوة والبطش وهي الجدل والكلام « فصاروا بعد السب يحفون ، وبعد تحريم الكلام يجالسون ، وبعد التصام يستمعون ، وبعد التجليح يدارون . . . » .

وهذا هو السبب الذي دفع الجاحظ الى تأليف كتاب الرد على المشبهة . انه يهدف الى كشف حجج هؤلاء المشبهة وتبيان مبادئها وتساقطها لكي لا يخدع باضاليهم أحد . وهم يعتمدون في حججهم على أي بحرفونها وروايات يحولونها عن معانيها . اما سلاح الجاحظ فكان يعتمد على فضح تلك الحجج « بالدلالات المختصرة والاشعار الصحيحة والأمثال السائرة ، والاستشهاد بالكلام المعروف والقياس على الموجود » .

وثمة صفة أخرى لذلك الكتاب هو انه جاء معتدل الطول « لم يفضل عن الحاجة ولم يقصر عن مقدار البغية » والسبب هو دره الملل عن نفس القاريء لأن الكتاب إن طال لا بد أن يسبب الضجر والسأم لمن يقرأه .

ويرجو الجاحظ القاضي الشاب ان يقرأ الكتاب ويحث على قراءته وبثه بين الناس لينتفع به العامة والخاصة . لقد كان باستطاعة الجاحظ الترويج لكتابه والدعاهة له ولكنه أثار أن تكون للقاضي اليد في ذلك والثواب على هذا الصنيع . ثم ان منزلة القاضي الرفيعة ترفع من شأن الكتاب في عيون الناس كافة .

وقبل كل هذا فان الكتاب يعبر عن الاعتزال وينصره ، والاعتزال هو مذهب

القاضي ، فيجب عليه نصرته مذهباً وهذا ما عناه الجاحظ بقوله مخاطباً القاضي
« وقد أغنيتم من العيلة وأنتم من الوحشة ، وجعتم الشمل ، واعدتم الالفه ،
ورددتم الظلامه ، واحييتم السنة ، وبرزتم التوحيد بعد اكتشاف ، وظهرتموه بعد
استخفاله ، واحتملتم عداوة الجميع ، ووترتم المطاعين في تقويتنا . »

ويبرر الجاحظ توجهه الى محمد دون والده احمد بن ابي دؤاد لتأييد الكتاب
ونصرة الاعتزال والضرب على ايدي المشبهة ، بقوله انه شاب ممتليء قوة وطموحاً
واكثر فراغاً من أبيه .

كما يبرر عدم توجهه الى المعتصم بقوله ان الثناء على القاضي يرجع على امير
المؤمنين ومديح الوزير يعود الى من اختاره .



اما كتاب الرد على المشبهة فقد جاء أقصر من الرسالة التي قدمت له .
لسيين :

الأول : هو ان الرسالة لم يسقط منها شيء على ما يبدو بينما سقطت اجزاء من
الكتاب لا ندري مقدارها .

والثاني : هو أن الجاحظ اعترف في الرسالة ان الكتاب جاء معتدل الطول ،
لم يشأ ان يطيله لكي لا يسأم منه القاريء .

والكتاب يبدأ بتحديد معنى التوحيد . التوحيد يعني ان الله الواحد ليس ذا
اجزاء ، ولا يشبه شيئاً ذا اجزاء . وكل من قال بتجزئة الواحد الحق او شبهه بشيء
ذي اجزاء لا يكون موحداً وان انتحل اسم التوحيد . ان التوحيد هو أهم مبادئ
المعتزلة الخمسة اعني التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد ركزوا على هذا المبدأ أبحاثهم .

ويحاول الجاحظ أن يسلط الضوء على أهم مقولات التوحيد من خلال رده على

المشبهة . فالتشبيه هو نقيض التوحيد برأيه وقد فشا بين أهل الحشو من العامة كما يستفاد من الرسالة التي قدم فيها للكتاب .

اهم مقولات المشبهة اثنتان هما (١) أن الله يرى بالعيون (٢) أن الله جسم .

وهم يعتمدون في المقولة الاولى على الآية التالية : ﴿ وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ﴾ (القيامة ٢٢ - ٢٣) التي تفيد ان الله يرى . ويجعلون هذه الآية تنسخ الآية التي تفيد عدم الرؤية ﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ (سورة الانعام الآية ١٠٣) . وهي تنسخها برأيهم لأن هذه الاخيرة عامة والآية الاولى خاصة والخاص ينسخ العام .

وكان رد الجاحظ يعتمد على تفسير مغاير للآية الاولى ﴿ وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ﴾ . هذا التفسير الذي تبناه المتقدمون من المفسرين أمثال مجاهد وأبي صالح والقائل ان معنى ناظرة هو انتظار ثواب الله .

كما يعتمد على آيات تنكر الرؤية مثل الآية : ﴿ يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فالخدمهم الصاحفة ﴾ . (النساء ١٥٣) ، فلو كانت الرؤية ممكنة لما استعظم الله طلب القوم .

ويعتمد ثالثاً على دليل عقلي . ان العقل يقول ان الله لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، فإذا كان مرثياً فقد أشبهه في اكثر الوجوه .

ويلخص الجاحظ رده المثلث على الشكل التالي : « واذا كان قولهم في النظر يحتمل ما قلتم (اي المشبهة) وما قال خصمكم ، مع موافقة ابي صالح ومجاهد في التأويل ، وكان ذلك اولى بنفي التشبيه الذي دل عليه العقل ، ثم القرآن : ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ (الشورى ، ١١) ، كان التأويل ما قال خصمكم دون ما قلتم .

أما مقولة المشبهة الثانية : إن الله جسم ، فهي تعتمد على آية قرآنية ودليل عقلي . الآية القرآنية هي التالية : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ (الفجر ، ٢٢) . التي تعني انه والملائكة في مكان محدود . والمحدود هو الجسم .

أما الدليل العقلي فيقوم على الزعم بأن الله جسم لأنه معقول ، ومتى اخبرنا عن شيء فقد جعلناه معقولاً ولا معقول إلا الجسم .

وجاء رد الجاحظ معتمداً على الحقيقة والمجاز في اللغة العربية . إن بعض الالفاظ ذات معنى حقيقي ومعنى مجازي . وهي تستعمل تارة في المعنى الحقيقي . وتارة في المعنى المجازي وهذه الآية : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ استعملت في المعنى المجازي ولا ينبغي الأخذ بمعناها الحقيقي الدال على المكان والمحدودية كما يدعي أهل التشبيه .

لقد كان الجاحظ رائداً في التأويل ، وتبعه كبار المفكرين أمثال الغزالي وابن رشد . وقد لجأ إليه ابن رشد ليوفق بين الفلسفة والدين في الأماكن التي يتعارضان فيها . وقد فسر التأويل بأنه اخراج الكلام من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي .



١٠ - مقدمة كتاب النابتة

عنوانها النابتة في طبعة عبد السلام هارون ، ورسالة في بني امية في طبعة السندوبي . ويعني بالنابتة فئة من الناس ظهرت في عصر الجاحظ (نبتت) وأعلنت تأييدها لبني امية . وقالت انه لا يجوز سب معاوية لان له صحبة مع النبي ، وسبه بدعة ، وبغضه مخالفة للسنة .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

وعدا تأييد معاوية وتحريم سبه قالت النابتة بأراء أهمها بنظر الجاحظ : التجوير والتشبيه وقدم القرآن . ومن باب التجوير زعمهم أن الله يعذب الابناء ليغيب الآباء وان الكفر والايمان مخلوقان في الانسان مثل العمى والبصر ، وان كل شيء بقضاء الله وقدره ، وان الانسان مجبر على اعماله لان اعماله كلها الصالح والطالح منها من خلق الله .

ومن باب التشبيه زعم النابتة ان الله جسماً وصورة وحداً ، وان الله يرى على هيئة الجسم والصورة ، ومن باب قدم القرآن ، زعم النابتة ان القرآن غير مخلوق من الله ويشير الى احمد بن حنبل دون ان يذكر اسمه كامام للنابتة ، وكرافض لفكرة خلق القرآن التي قال بها المعتزلة : « والعجب ان الذي منعه بزعمه أن يقول انه مخلوق ، انه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه غير مخلوق » . والدليل على انه

يعني به الإمام أحمد بن حنبل هو تفصيله لمحاكمة أحمد بن حنبل على يد المعتصم والقاضي أحمد بن أبي دؤاد في « كتاب خلق القرآن » .

يحمل الجاحظ حملة شعواء على النابتة من منطلق اعتزالي فهؤلاء بنظر المعتزلة يرتكبون أخطاء فادحة لقولهم بالجبر والتشبيه وقدم القرآن وتأيد معاوية او تحريم سبه بينما يقول المعتزلة بحرية الانسان في افعاله . وبأن الله لا يشبه شيئاً، وبأن القرآن مخلوق وبأن معاوية ارتكب آثاماً عديدة ذكرها الجاحظ في رسالته .

إن رسالة النابتة تقدم لنا صورة عن صراع مرير كان يدور بين المعتزلة تؤيدهم السلطة الحاكمة ، وبين اتباع الإمام أحمد بن حنبل الذين يسميهم الجاحظ الحشوية والنابتة والمحدثين والمشبهة والعامية . . .

وفي الرسالة كلام مقتضب على صراع من نوع آخر يحدث بين العرب والعجم والموالي ، تمثل بالحركة الشعوبية . ان الشعوبية دهوة سياسية عنصرية ، تنادي بأفضلية العجم على العرب ، وتهدد للقضاء على حكمهم . والجاحظ يقف في وجه هذه الدهوة ، ويدعو الى الانحاء بين الشعوب التي تتكون منها الامبراطورية العباسية ، ونبد العصبية والاحقاد ، لأن العصب العنصري يؤدي الى الشرور . وقد هاد مراراً الى معالجة هذا الموضوع في أماكن أخرى من مؤلفاته ولا سيما في البيان والتبين ومناقب الترك وجامعة جند الخلافة .

هذا انتقاد آراء النابتة ، تنطوي الرسالة على تقويم للاحداث التاريخية التي مرت على الأمة في صدر الاسلام والعصر الأموي . ويعتبر الجاحظ عصر النبي وأبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان عهد الالفه واجتماع الكلمة والتوحيد الصحيح ولم يحدث بدعة ، « ولا نزع يد من طاعة ولا حسد ولا غل ولا تأول » .

والفترة الثانية من خلافة عثمان كانت زمن الفتنة والتمرد والثورة والخلاف بين المسلمين . لقد اتهمه فريق منهم بالتفريط في اموال المسلمين وسوء اختيار العمال من أقربائه فثاروا عليه وحاصروه في منزله ومنعوا عنه الماء والقوت ثم اقتحموا المنزل

وقتلوه . ولم يجد من يدافع عنه لأن انصاره خذلوه ولم يبادروا للذب عنه .

وقد شجب الجاحظ قتل عثمان لأن دم الفاسق حرام كدم المؤمن ولا يحل قتل
الا من « ارتد بعد اسلام او زن بعد احصان ، او قتل مؤمناً على عمد ، او عدا
على الناس بسيفه » . وعثمان لم يقدم على أي فعل من هذا القبيل ، واذا كان قد
فسق لارتكابه بعض الخطايا او الاخطاء فالفسق لا يحل القتل . هذه الاحكام
الشرعية عرفها الثوار وذكرهم بها عثمان واحتج بها عليهم ، ورغم ذلك هجموا
عليه وعلى « ازواجه وحرمة وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره ، لا
يرى ان واحداً يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله » ، وكان بوسعهم
محاكمته والاقتصاص منه ومصادرة امواله .

هذا هو رأي الجاحظ في مصرع عثمان : اذا كان عثمان قد اترف بعض
الخطايا فإن ذلك لا يجعله كافراً يستحق القتل . ثم ان مصرعه أحدث فتناً دامية
بين المسلمين وعبر عن ذلك بقوله : « لا جرم لقد احتلبوا به دماً لا تطير رغبته ولا
تسكن فورته ولا يموت ثائره ولا يكمل طالبه وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم
له ؟ » .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

هذه الفتن ورثها الخليفة الذي ولي بعد عثمان ، أي الإمام علي بن ابي
طالب . ففي عهده « ما زالت الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل
وكوقائع صفين وكيوم النهروان وقبل ذلك يوم الزابوقة » حتى قتل الخليفة علي يد
الشقي عبد الرحمن بن ملجم الخارجي .

بعد مصرع علي احتزل الحسن بن علي الحرب وتخل معاوية عن الخلافة لتفرق
اصحابه عنه ، فاستبد معاوية بالملك ، وخالف الشورى وحول الخلافة ملكاً كسروياً
وارتكب من المعاصي ما خرج به الى الكفر . فقد قتل حجر بن عدي واطعم
عمرو بن العاص خراج مصر ، وباع يزيد الخليل ، واستأثر بالفيء واختار الولاية
على الهوى ، وعطل الحدود بالشفاعة والقرابة .

واربت مخازي يزيد الذي ولي بعد معاوية على جرائم والده ، فقد « غزا مكة ورمى الكعبة واستباح المدينة ، وقتل الحسين بن علي في اكثر اهل بيته مصابح الظلام واوتاد الاسلام » ، ومثل برأسه ، ان هذه الاعمال تدل على القسوة والحقد والنصب والنفاق واليقين المدخول والايمان المخروج وعدم الاخلاص للنبي .

وكرر عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الخجاج جرائم يزيد فعاودوا هدم الكعبة وغزوا المدينة واستباحوا الحرمات وحولوا قبلة واسط وأخروا صلاة الجمعة الى مغربان الشمس وزجروا الوعاظ ومنعوه من الارشاد والنهي عن الفساد في الأرض . وشرب ولائهم الشراب على المنابر ايام الجمع .

وقد توقف الجاحظ في تصفحه للتاريخ الاسلامي عند هذا الحد في رسالة الغابرة ، وتابع سرد وقائع العصر العباسي حتى زمنه - أي القرن التاسع الميلادي - في كتاب البيان والتبيين وغيره (انظر كتابنا : كشاف آثار الجاحظ) .



مركز تحقيقات وپژوهش‌های اسلامی



١١ - مقدمة كتاب الرد على النصارى

في هذا الكتاب يوسع الجاحظ ميدان بحثه ، ليشمل أديانا أخرى غير الاسلام . فهو يتناول الدين المسيحي ، وينتقل الى الدين اليهودي ، والى المجوسية في سياق رده على النصارى .

بيد أن نقطة انطلاقه لم تتغير ، فهي ذاتها سواء رد على الفرق الاسلامية أو رد على النصارى . هذه النقطة هي الاعتزال . وهذا ما يتضح من مقدمة الكتاب ونهايته . ففي المقدمة يحمده الله على مبدأ التوحيد الذي اهتدى اليه مع فرقته ، وكذلك مبدأ العدل . وهذان هما المبدأان الرئيسيان من مبادئ المعتزلة الخمسة ، حتى اطلق عليهم اسم اصحاب العدل والتوحيد . وفي النهاية يضع النصارى جنباً الى جنب مع اليهود والفرق الاسلامية المختلفة من شيعة وحشوية وناطقة ويرميهم بالتشبيه ويقبح مذاهبهم جميعاً .

والكتاب حسن التبريد لا تشوبه فوضى التأليف التي وسمت كتب الجاحظ الادبية . وهذه الخاصة نلغيناها في هذا الكتاب كما نلغيناها في سائر كتبه الفكرية الكلامية ، مثل صناعة الكلام والرد على المشبهة واستحقاق الامامة الخ . . . انها مقسمة تقسيماً جيداً واضح الاجزاء . وعلاوة على ذلك نرى الجاحظ يحافظ في هذه

الكتب على أسلوبه الأدبي الفصيح اللفظ المترادف العبارات ، المشرق المعاني .

نجد الكتاب مقسماً أقساماً ثلاثة : في القسم الأول يسرد مآخذ النصارى على المسلمين . في القسم الثاني يسرد الاسباب التي بوأت النصارى منزلة ارفع من منزلة اليهود لدى المسلمين . في القسم الثالث يرد على دعاوى النصارى او مآخذهم .

ان مآخذ النصارى على المسلمين عديدة ، وهي ترجع الى شيء واحد هو ادعاء المسلمين على النصارى اموراً لا يعرفونها فيما بينهم ولا يعرفونها من اسلافهم . وهذا الادعاء متمثل بآيات وردت في القرآن تتضمن معلومات عن النصرانية يخلو منها الكتاب المقدس ولا علم للنصارى بها .

فثمة آية تشير الى اعتقاد النصارى بالروحية هيسى وأمه مريم ﴿ وإذ قال الله يا هيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ﴾ (المائدة ، ١١٦) والنصارى لم يدعوا ابدأ ان مريم اله .

وهناك آيات قرآنية عن اليهود تدل على أنهم قالوا ﴿ بأن حُزْبًا مِنْ آلِ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة ، ٣٠) وان ﴿ يد الله مفلوكة ﴾ (المائدة ، ٦٤) ، وان ﴿ الله فقير ونحن اغنياء ﴾ (عمران ، ١٨١) . واليهود لا يعرفون هذا وهم على العكس ابعدوا عزيزاً عن دينهم وانكروا نبوته .

وورد في القرآن أن فرعون طلب من هامان ان يبني له صرحاً (الآية ٣٦ من سورة غافر) . وهذا خطأ كبير في الاخبار يدل على أخذ النبي العلم عن غير الثقات لان هامان لم يعش في زمن فرعون ، ولان فرعون لم يكن مجنوناً او ناقص العقل ليطلب بناء صرح يصعد فيه الى السماء .

وجاء في القرآن أن يحيى بن زكريا لم يكن له سمي من قبل . وهذا ما يعتبره النصارى غير صحيح لأنهم وجدوا في كتبهم اكثر من واحد يحمل هذا الاسم .

وتفيد بعض آيات القرآن ان الله لم يرسل نبياً من النساء ﴿ وما ارسلنا من

قبلك الا رجلاً نوحى اليهم ، فاسألوا اهل الذكر ان كتتم لا تعلمون ﴿ (النحل ، ٤٣ ، الأنبياء ، ٧) . اما اهل الذكر يعني اليهود والنصارى فيقولون ان هذا غير صحيح ، لأن الله بعث النساء بينات ، منهم مريم بنت عمران ، وحنة ، وسارة ، ورفقى .

ويقول القرآن ان عيسى تكلم في المهد ، والنصارى لا تدعي ذلك رغم تقديرها لعيسى ، ولا تعرف عن سلف أو يهود او مجوس او صابئة او هندوس . ولو كان ذلك صحيحاً لكان اعجوبة تفوق سائر اعاجيب عيسى ولا يعقل ان ينسأها النصارى او يهملوها .

ويركز الجاحظ في رده على مسألتين هما كلام عيسى في المهد، ونبوته ونبوة عزيز ، ويختصر في رده على المسائل الباقية .

اما مسألة كلام عيسى في المهد فينبغي الاقرار بها نظراً لورودها في القرآن بشكل واضح لا لبس فيه . ودليل النصارى على عدم صحتها لانهم لا يعرفونها من كتبهم ولم يعرفها اليهود والمجوس والهنود والخزر والديلم باطل ، لان الاناجيل الاربعة التي انتهت الى النصارى على ايدي يوحنا ومثى ومرقس ولوقا ليست صحيحة ولا تخلو من النسيان والتناقض ، ولان من استشهدوا بهم كاليهود والمجوس والهنود والديلم ، الخ . . . لا ينبغي التمويل عليهم اذ ان شهاداتهم مجروحة . فاليهود لا يعترفون بنبوة عيسى وينكرون جميع معجزاته فكيف يقرون بكلامه في المهد . وهو ليس في نظرهم سوى صاحب رقى ومداوي مجانين ومتطبب وصاحب حيل . وكان قبل اذعائه النبوة صياد سمك عاجزاً ، وكذلك القول في المجوس والهنود وسواهم : انهم لا يقرون بادل اعجوبة لعيسى .

اما مسألة نبوة المسيح فيرفضها الجاحظ رفضاً جازماً ولا يقبل تاويل النصارى او بعض المتكلمين المعتزلة كالنظام . لقد اجاز النظام ذلك قائلاً له : ليس في القياس فرق بين اتخاذ الولد على التبي والتربية وبين اتخاذ الخليل على الولاية

والمحبة . وعلى هذا الاساس قبل دعوى التوراة بأن اسرائيل بكر الله ونبوة اولاده ،
وقول المسيح في الانجيل : « انا اذهب الى ابي واتيكم واطهرهم » ...

اما الجاحظ فيعلن موقفه قائلاً : « اما نحن - رحمك الله - فبانا لا نجيز ان
يكون لله ولد ، لا من جهة الولادة ولا من جهة التبني ، ونرى ان تجوز ذلك جهل
عظيم واثم كبير ، لانه لو جاز ان يكون اباً ليعقوب لجاز ان يكون جداً ليهوسف ،
ولو جاز ان يكون جداً واثماً ، وكان ذلك لا يوجب نسباً ولا يوهم مشاكلة في بعض
الوجوه ولا ينقص من عظم ، ولا يحط من بهاء ، لجاز أيضاً ان يكون عمّاً
وخالاً ، لانه ان جاز ان يسميه من اجل المرجحة والمحنة والتأديب اباً ، جاز ان
يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد الخ ، ولجاز ان يجد له صاحباً
وصديقاً ، وهذا ما لا يجوز الا من لا يعرف عظمة الله وصغر قدر الانسان » .

ويستفاد من كلام الجاحظ هذا ان القول ببنوة المسيح او ابوة الله يقود الى
التشبيه الذي يعتبر بنظره ضلالاً واثماً ، ويحط من قدر الله وعظمته .

ويعزو الجاحظ خطأ النصارى واليهود الى سوء الترجمة وقلة معرفتهم بوجوه
الكلام في العربية . وهو يعني بذلك ان ترجمة التوراة والانجيل الى العربية ليست
دقيقة ، ولو كان النصارى واليهود متضلعين في العربية تضلعهم بالعبرانية « لوجدوا
لذلك الكلام وسواء تاويلاً حسناً وخرجاً سهلاً ووجهاً قوياً » .

وهذا مبدأ ينطبق على اليهود والنصارى كما ينطبق على المسلمين ، فلو حاولوا
ترجمة القرآن بالعبرانية لأخرجوه على معانيه .

ومن جهة أخرى ينحى الجاحظ باللائمة على التفسير والتأويل الذي يطلع به
المتكلمون والفقهاء . هذا التفسير كثيراً ما يجمد عن جادة الصواب سواء قام به
النصارى او المسلمون ، « فهذا باب قد غلظت فيه العرب انفسها وفصحاء اهل
اللغة اذا غلظت قلوبها ، وانحطت عقولها ، فكيف بغيرهم ممن لا يعلم
كعلمها ؟ » . ويضرب مثلاً على ذلك النظام الذي فسر كلمة خليل الله بمعنى

حبيبه ووليه . اما الجاحظ ففسرها بمعنى المحتاج اليه والمفتقر له . فابراهيم خليل الرحمن أي المحتاج اليه والمفتقر الى رحمته ، وهذا ينطبق على ابراهيم لأنه تعرض للمحن الكثيرة من قذف بالنار وذبح ابنه ، وعداوة قومه وفقد ماله الخ . . .

وثمة فرق بين خليل بمعنى الخلطة والصداقة و خليل بمعنى الخلطة والفقير ، ان تفسير الكلمة بالمعنى الأول يؤدي برأي الجاحظ الى ايجاد علاقة مشابهة بين الله والانسان ينتهي الى القول بالتشبيه ، والى الخط من قدر الله .

ويتابع الجاحظ مسألة بنوة المسيح فيرد تأويل من ذهب الى ان المسيح صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر قائلاً أن آدم وحواء اللذين خلقهما الله من غير ذكر وانثى احق بذلك .

كما يرد تأويل من يقول ان المسيح هو ابن الله لأنه رباه قائلاً : لقد رباه كما ربى موسى وداود وجميع الأنبياء فلم لا نقول عنهم انهم ابناء الله ؟ .

أما مسألة فقر الله التي ينكرها اليهود ويقولون نحن لا نعتقد بها أبداً فيرد عليهم الجاحظ بقوله انهم اساؤوا تفسير الآية القرآنية : لقد أراد الله ان يقول لليهود : آسوا فقراءكم واعطوا في الحق أقرباءكم من المال الذي اعطيتكم بامرئ اياكم وضمانكم فاعتده منكم قرصاً . . .

وكذلك الحال بالنسبة للآية ﴿ يد الله مغلولة ﴾ فهي لا تفيد ان يده مشدودة الى عنقه كما فهمها اليهود . ان اليد تعني هنا النعمة والافضال . وتتمها الآية التالية : ﴿ بل يدها مبسوطتان ينفق كما يشاء ﴾ (المائدة ، ٦٤) .

بقيت مسألة القول بأن عزيزاً ابن الله يؤكد الجاحظ قول بعض اليهود بها على أثر اعادته التوراة عليهم بعد دروسها وفريق من هؤلاء موجودون باليمن والشام وبلاد الروم .

وفي النهاية يتوقف الجاحظ عند مسألتين هامتين : احدهما قول النصراني : ان

المسلمين اذ يقولون ان المسيح روح الله وكلمته ملزمون بالقول بالوحيته ونبوته .
وجواب الجاحظ هو ان القول بان المسيح روح الله وكلمته لا يعني انه ذاته او انه إله
او انه ابنه . فلقد ورد في القرآن ايضاً ان جبريل الروح الأمين من روح الله ، كما
ورد ان آدم نفخ فيه من روحه الخ . . . وكذلك سمي الله القرآن روحاً تبعاً للآية
الكريمة ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ (الشورى ، ٥٣) .

والمسألة الاخيرة هي طبيعة المسيح . وفيها ينتقل الجاحظ من الدفاع الى
المهجوم فيطرح هذا السؤال على النصارى .

من هو المسيح : هل هو إله او انسان ، او إله وانسان معاً ؟

فان قالوا انه إله بادر الجاحظ الى الاعتراض قائلاً : كيف يكون إلهاً وهو
الموصوف بجميع صفات البشر فقد كان صغيراً ثم كبر وشب ، وكان يأكل ويشرب
وينجو ويبول الخ .

وان قالوا انه إنسان حمل به اللاهوت ، اجاب الجاحظ : اذن اصبح
اللاهوت جسماً . ان الغموض يكتنف حقيقة المسيح ، ولذا اختلف النصارى فيما
بينهم حول هذه المسألة وتشعبت بهم الطرق والمذاهب .

ولم يكتف الجاحظ بإيراد دعاوي النصارى واليهود والرد عليها ، بل عالج
ناحية هامة أخرى تسترعي الانتباه وتستحق التوقف عندها هي العلاقة بين المسلمين
واليهود والنصارى في العصر العباسي ، ووضاعهم الاجتماعية .

يقرر الجاحظ ان النصارى كانوا أحب الى عامة المسلمين من المجوس ،
واسلم قلوباً من اليهود ، واقل خطراً من الجميع . ويبحث الجاحظ عن اسباب
ذلك فيرى ان ثمة عداوة متأصلة بين المسلمين واليهود منذ عهد النبي محمد في
يثرب دعاها عداوة الجيران وهي « شبيهة بعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات
الحقد » . وذلك أن اليهود في يثرب حسدوا المهاجرين والانصار وكادوا لهم بينما
قدم نصارى الحبشة للمهاجرين المسلمين المساعدة عندما اشتدت عليهم وطأة

المشركين في مكة .

وقد ساعد على التقارب بين المسلمين والمسيحيين الآية الكريمة : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى . . ﴾ (المائدة ، ٨٢) .

وهناك سبب ثالث يذكره الجاحظ هو تنصر بعض ملوك العرب قبل الاسلام . لقد اعتنق الغساسنة والمناذرة ملوك الشام والعراق العرب النصرانية ، فكانت العرب تعظم ملوكها وتعظم دينهم .

يضاف الى ذلك العلاقات التجارية المزدهرة بين العرب ونصارى الروم والحبشة قبل الاسلام . لقد كانت للعرب رحلتان الى الشام في سبيل الاتجار رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، كما كانت لهم رحلات الى الحبشة . وفي الحبشة كان النجاشي يحسن وفادتهم ويكرمهم وكذلك كان يفعل قيصر الروم .

عدا ذلك كانت النصرانية متفشية بين قبائل العرب عدا مضر ، لقد غلبت النصرانية على لخم وغمسان والحارث بن كعب في نجران وقضاة وطى وربيعة ولا سيما تغلب وعبد القيس وابناء بكر وآل ذي الجدين خاصة .

بينما لم تغلب اليهودية على قبيلة عربية عدا اناساً من اليمانية وبعض اباد وربيعة ، ومعظم اليهود كانوا في يثرب وحبر وتبعا .

وهناك سبب آخر حجب النصارى الى المسلمين هو اعتقاد عامتهم ان النصارى اصحاب علم وفلسفة وطب وتنجيم . بينما حرم اليهود الفلسفة والكلام في الدين لأن ذلك يورث الشقاق والشبهة ، كما اعتبروا الايمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة .

ويلاحظ الجاحظ بهذا الصدد امرين : الاول هو ان اصحاب الفلسفة والعلم كانوا من اليونان امثال افلاطون وارسطو وبطليموس واقليدس وديمقراط وبقرراط ولم

يكونوا نصارى . وقد أخذ النصارى العلم والفلسفة عن هؤلاء ولم ينبغ منهم أحد يستحق الذكر . والثاني ان النصارى عندما تعاطوا هذه العلوم كثروا فيهم الزنادقة .

واخيراً يذكر الجاحظ سبباً هاماً عظم النصارى في قلوب العوام هو المراتب الرفيعة التي احتلوها لدى الحكام . لقد اتخذهم هؤلاء كتاباً واطباء مقربين . بينما لا تهمد اليهودي الا صبغاً او دباغاً او حجاماً او قصاباً او شعاباً .

ويحاول الجاحظ ان يعلل النجاسة في النصارى دون اليهود تعليلاً طبيعياً بيولوجياً . فاليهود على خلاف النصارى لا يتزوجون ولا يزوجون في الاقوام الأخرى ، ومناكحهم مقصورة عليهم ولهذا كانت « فحولة الاجناس لا تضرب ولا تضرب فيهم ، فلم ينجبوا في عقل ولا اسر ولا ملح ، وانك لتعرف ذلك في الخيل والابل والحمير والحمام » .

بعد تعداد الاسباب التي حبيت النصارى الى المسلمين دون اليهود يلقي الجاحظ الضوء على جوانب من اوضاع النصارى الاجتماعية في عصره . فيقول انهم يتمتعون بحياة عزيزة وكرامة . فيركبون البراذين والخيول ويمحيطون انفسهم بالخدم والحرس ، ويرتدون الثياب المختلفة الفاخرة ، « ويتسمون بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي ، ويمتنع كبارهم عن اعطاء الجزية ، ويسبون من يسبهم ويضربون من يضربهم » .

وكان القضاة يتساعون معهم في الاحكام التي يصدرونها بحقهم .

والنصارى يحثون على العفو والتسامح ، والزهد في اكل اللحوم ، وتفضيل الحبوب عليها ، كما يحثون على الرهينة بما فيها من تحريم النكاح وترك الولد .

ويشير الجاحظ الى تمسك النصارى بوحدة الزواج وعدم الطلاق ، ويعرفون بكثرة الانجاب حتى انهم « غلبوا الامم بالعدد وكثرة الولد » .

كما يشير الى تفشي الحضاه بين النصارى في بلاد الروم والحبشة .

وبلاحظ انهم على الرغم من عنايتهم بنظافة ثيابهم وحسن مظهرهم فهم
يأكلون لحم الخنزير ولا يفتسلون من الجنابة الخ

ان رسالة الجاحظ هذه تعتبر وثيقة هامة توضح العلاقات التي كانت تسود
المسلمين والمسيحيين واليهود في القرن التاسع الميلادي ، عصر الجاحظ ، لقد كانت
تلك العلاقة حسنة بين المسلمين والمسيحيين ، وسيئة بين المسلمين واليهود على
الصعيدين التاريخي والاجتماعي ، شرحها الجاحظ بأسهاب . وعلى الصعيد
العقائدي ، تسلط الرسالة الضوء على الجدل الكلامي الذي كان يحدث بين
اصحاب الاديان السماوية الثلاثة ، ذلك الجدل الذي يدور حول ما تضمنه القرآن
والانجيل والتوراة من معلومات متناقضة او اعتبرها كل فريق مناقضة لما جاء في
كتابه .



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات علوم و فنون اسلامی



[١ - رغبة متكلم سني في علم الكلام]

ذكرت - حفظك الله - تفضيلك صناعة الكلام ، والذي خصصت به مذهب النظام ، وشغفك بالمبالغة في النظر ، وصبايتك - بتهديب النحل ، مع أنيسك بالجماعة ، ووحشتك من الفرقة ، والذي تم عليه هزمك من إدامة البحث والتنقيب ومن حمل النفس على مكروهاها من التفكير ، ومن الانتساب اليهم والتعرف بهم . والذي عمها لك من الاحتساب في الأجر والرغبة في صالح الذكر ، والذي رأيت من النصب للرافضة والمارقة ، وطول مفارقة المرجئة والناطقة ، ولكل من اعترض عليهم ، وانحرف عنهم . والذي يخص به الجبرية وهم به المشبهة .

[٢ - فضيلة علم الكلام]

فيا أيها المتكلم الجماعي ، والمتفقه السني ، والنظار المعتزلي ، الذي سمت همته الى صناعة الكلام مع إدار الدنيا عنها ، واحتمل ما في التعرض للصوام من الثواب عليها ، ولم يقنعه من الأديان إلا الخالص الممتحن ولا من النحل الا الإبريز المهذب ، ولا من التمييز الا المحض المصفى . والذي رغب بنفسه عن تقليد الاغمار ، كما رغب عن إدهاء الإلهام والضرورة ، ورغب في ظلم القياس بقدر رغبته في شرف اليقين . إن صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهري ثمين ، وهو الكنز الذي لا يفنى ولا يبل ، والصاحب الذي لا يمل ولا يغفل ، وهو

العيار على كل صناعة ، والزماد على كل عبارة ، والقسطاس الذي به يستبان نقصان كل شيء ورجحانه ، والراوق الذي يعرف صفاء كل شيء وكدره ، والذي كل أهل علم عليه عيال ، وهو لكل تحصيل آلة ومثال .

إلا أنه ثغر والثغر محروس ، وحى المحمى ممنوع . والحرم مصون ، ولن تصونه إلا بإبتدال نفسك دونه ، ولن تمنعه إلا بأن تجود بمهجتك ومجهودك ، ولن تحرسه إلا بالمخاطرة فيه . والثواب على قدر المشقة ، والتوفيق على مقدار حسن النية .

وكيف لا يكون حرماً وبه عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل ، والحرام
المفصل ١٢

وكيف لا يكون ثغراً وكل الناس لأهله عدو ، وكل الأمم له مطالب .

وأحق الشيء بالتعظيم ، وأولاه بأن يحتل فيه كل عظيم ما كان مسلماً إلى معرفة الصغير والكبير ، والخير والخطير ، وأداة لإظهار الغامض ، وآلة لتخليص الغاشية ، وسبباً للإيجاز يوم الإيجاز والإطناب يوم الإطناب .

وبه يستدل على صرف ما بين الشرين من النقصان ، وعلى فضل ما بين الخيرين من الرجحان ، والذي يصنع في العقول من العبارة وإعطاء الآلة مثل صنيع العقل في الروح ، ومثل صنيع الروح في البدن .

وأي شيء أعظم من شيء لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية ، ولا شيء حجة ، ولم يفصل بين حجة وشبهة ، وبين الدليل وما يتخيل في صورة الدليل . وبه يعرف الجماعة من الفرقة ، والسنة من البدعة ، والشذوذ من الاستفاضة .

[٣ - آفات علم الكلام]

لصل منه : واعلم ان لصناعة الكلام آفات كثيرة، وضروباً من المكروه عجيبة،

منها ما هو ظاهر للعيون والعقول، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فإنه لا يظهر إلا لكل عقل سليم جيد التركيب، وذهن صحيح خالص الجوهر، ثم لا يدركه أيضاً إلا بعد إدمان الفكر، وإلا بعد دراسة الكتب، وإلا بعد مناظرة الشكل الباهر، والمعلم الصابر. فإن أراد المبالغة وبلغ أقصى النهاية، فلا بد من شهوة قوية، ومن تفضيله [على] كل صناعة، مع اليقين بأنه متى اجتهد أنجح، ومتى أدمن قرع الباب ولج.

فإذا أعطى العلم حقه [من الرغبة فيه، أعطاه حقه] من الثواب عليه.

[الفرور]

فصل منه : ومن آفات صناعة الكلام أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها، وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه حتى يرى المبتدئ أنه كالمتهى ويخيل إلى الغي أنه فوق الذكي. وأيضاً أنه يعرض عن أهله وينصب لأصحابه من لم ينظر في علم قط، ولم ينحس في أدب منذ كان، ولم يدرك ما التمثيل ولا التحصيل، ولا فرق ما بين الأهمال والتفكير.

وهذه الآفات لا تعترى الحساب ولا الكتاب، ولا أصحاب النحو والعروض، ولا أصحاب الخبر وحال السير، ولا حفاظ الآثار ولا رواة الأشعار، ولا أصحاب الفرائض، ولا الخطباء ولا الشعراء، ولا أصحاب الأحكام ومن يفتي في الحلال والحرام، ولا أصحاب التأويل، ولا الأطباء ولا المنجمين ولا المهندسين، ولا الذي صناعة ولا الذي تجارة، ولا الذي حلة ولا الذي مسألة.

[الخصومة]

فهم هذه البلية مخصوصون، وعليها مقصرون، فللصابر منهم من الاجر حسب ما خص به من الصبر. وهي الصناعة لا تكاد تظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها إلا مع حضور الخصم.

ولا يكاد الخصم يبلغ محبته منها إلا يرفع الصوت وحركة اليد ، ولا يكاد اجتماعهما يكون إلا في المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ، ولا تحتفل نفوسهما ، ولا تجتمع قوتها ، ولا تجرد القوة بمكنونها وتعطي أقصى ذخيرتها ، التي استخزنت ليوم فقرها وحاجتها ، إلا يوم جمع وساعة حفل . وهذه الحال داعية الى حب الغلبة .

وليس شيء أدمى إلى التغلب من حب الغلبة وطول رفع الصوت مع التغلب ، وإفساد التغلب طباع المفسد ، يوجبان فساد النية ، ويمنعان من درك الحقيقة . ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطأ جهة القصد .

[عداوة الناس]

وعلم الكلام بعد ملقى من الظلم ، متاح له الهضم . فهو أبداً محمول عليه وميخوس حظه وباب الظلم إليه مفتوح ، لا مانع له دونه . والعلم بما فيه من الدرر يخفي على أكثر العقلاء ، ويغض على جمهور الأدباء . وإذا كان ملقى من أكبر العقلاء ، ومخدولاً عند أكثر الأدباء ، فما ظنك بمن كان عقله ضعيفاً ونظره قصيراً ؟ بل ما ظنك بالظلم الغادر ، والغمر الجاسر ؟ فهذا سبيل العوام فيه ، وجهل عوام الخواص به ، وانحرافهم عنه ، وميل الملوك عليه ، وعداوة بعض لبعض فيه .

[ادعاء علم الكلام]

وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والادعياء ، قليلة الخالص والأصفياء والنجابة فيها غريبة ، والشروط التي تستحكم بها الصناعة بعيدة سحيقة ، ولدعي القوم من العجز ما ليس لصحيحهم ولردي الطباع في صناعة الكلام من ادعاء المعرفة ما ليس للمطبوع عليهم منهم ، بل لا تكاد تجده إلا مغموراً بالحشوة مقصوداً بمخاتل السفلة .

[٤ - مزاعم اصحاب الرياضة في علم الكلام]

ومن مظام صناعة الكلام عند اصحاب الصناعات أن اصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي ، وسبيل صواب الحدس ، وفي طريق التقريب والتمويه ، وأنه ليس العلم إلا ما كان طبيعياً واضطرارياً لا تأويل له ، ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ، ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة ، يزعمون أنه ليس بين علمهم بالشيء الواحد أنه شيء واحد وأنه غير صاحبه فرق في معنى الإثقان والاستبانة ، وثلج الصدور والحكم بغاية الثقة .

فصل منه : فلو كان هذا المهندس الذي أبرم قضيته ، وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته ، نظر في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة ، وطبيعة مناسبة ، وعناية تامة ، وأعاون صدق وقلة شواغل ، وشهوة للعلم ، ويقين بالاصابة ، لكان تهيّب الحكم أزين به ، والتوفى أولى به . فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام ما يعرفه المقتصد فيه ، والمتوسط له .

عل أنا ما وجدنا مهندساً قط ولا رأينا حاسباً يقول ذلك إلا وهو ممن لا يتوفى سرف القول ، ولا يشفق من لائمة المحصلين ، وقضيته قضية من قد عرف الحقائق ، واستبان العواقب ، ووزن الأمور كلها وعجم المعاني بأسرها ، وعلم من أين وثق كل واثق ، ومن أين خر كل مغرور .

عل أنهم يقرون أن في الحساب ما لا يعلم ، وأن في الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم . والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم ، وبذلك النقص في غرائزهم .

[٥ - فصل الكلام على الفتيا]

وأقول : إنه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل إلا أنهم قد رأوا إديبار الدنيا عن علم الكلام ، وإقبالها الى الفتيا والاحكام ، واجماع الرعية والراعي على

إغناء المفتي ، وعلم الفتوى فرع ، وإطباقهم على حرمان المتكلم ، وعلم الكلام أصل ، فلم يتركوا مع ذلك تكلفه ، وشحت نفوسهم عن ذلك الخط ، مخافة إدخال الضيم على علم الأصل ، وإشفاقاً من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع ، فكان الفقر والقلة أثر عندهم مع احكام الأصول ، من الغنى والكثرة مع حفظ الفروع ، فتركوا أن يكونوا قضاة ، وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا حكاماً وقنعوا بأن يحكم عليهم ، مع معرفتهم بأن آلتهم أتم ، وآدابهم أكمل ، وألسنتهم أهدى ، ونظرهم أنقى ، وحفظهم أحضر ، وموضع حفظهم أحسن .

[٦ - علم الكلام يشتمل على جميع الفرق]

والتكلم اسم يشتمل على ما بين الأزرقى والغالى وعلى ما دونها من الخارجى والرافضى ، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة ، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة .



مركز تحقيقات علوم ديني

هامش كتاب صناعة الكلام

- (١) يعني بصناعة الكلام علم الكلام ، وهو علم يبحث برأي الجاحظ في الدين والفلسفة (راجع حول معنى الكلام : كتاب المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، الباب الثالث ، الفصل الأول) . والمتكلم هو الذي يبحث في مسائل علم الكلام . ومذهب النظام هو مذهب ابراهيم بن سيار النظام استاذ الجاحظ واحد شيوخ المعتزلة الكبار ، قال بالكمون والظفرة ، والجزء الذي يتجزأ إلى ما لا نهاية الخ . . .
- النظر : التفكير ، هو اعمال العقل في المسائل الدينية ، وهدم الاكتفاء بالنقل كما يقول المحدثون .
 - النحل : جمع نحلة اي المذهب الديني كالشيعية والخواارج والمرجئة الخ . .
 - الجماعة : اهل السنة والجماعة .
 - الرافضة : احدى فرق الشيعة التي رفضت خلافة ابي بكر وعمر وعثمان ، وعرفت ايضا باسم الامامية .
 - المرجئة : فرقة اسلامية تقول بارجاء الحكم على مرتكب الكبيرة .
 - النابتة : فرقة من المسلمين اهدت معاوية الخليفة الاموي الاول ودالعت عن سياسته .
 - الجهرية : مذهب القائلين ان الإنسان جهر في أهماله . يعتبر الجهم بن صفوان مؤسس هذا المذهب (توفي عام ١٢٥ هـ) ولكن الجاحظ يعتبر نعاصره عبد الله بن الحسن (١٤٥ هـ) اعظم القائلين به (انظر المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، صفحة ٤٩ طبعة أول) .
 - المشبهة : مذهب الذين شبهوا الله بالاجسام المادية وبامكانية رؤيته في الدنيا . ويقول الجاحظ ان التشبيه فشا بين اهل السنة والجماعة والشيعة والنصارى الخ .
 - الخشوية : العامة ، ويطلق الجاحظ اسم الخشوية على فريق من اهل السنة والجماعة .
 - الالهام : الاتصال بالله كما يقول المتصوفة .
 - الضرورة : مذهب الطبيعيين القائلين بالتحتمية والسببية في الطبيعة

- القياس : مذهب الفلاسفة الاخذين بالمنطق الارسطي .

(٢) الجواهر : المعدن ، ولا يعني هنا الجواهر الفرد والذرة ، ولا ما يقوم بذاته .

- الحلال المنزل والحرام المفصل : ما ورد في القرآن من آيات اوحى بها الى النبي او نزلت

عليه من لدن الله ، وبينت ما يحل للانسان وما يحرم عليه من الأمور .

- خبير وخير ، شر وشر : ان الخير والشر موجودان على درجات متفاوتة ونسب مختلفة .

- يميز الملاحظ بين العقل والروح والبدن . العقل يؤثر في الروح ، والروح تؤثر في البدن .

- الربوبية : وجود ذات الله .

- الحججة : الدليل على وجود الله .

- السنة : ما أثر عن النبي من قول او فعل او تقرير .

- البدعة : كل ما لم يرد في السنة .

(٣) يعدد الجاحظ آفات علم الكلام أي الآفات التي تصيب المتكلمين فتفسد علمهم او تهلكه او

تشكل خطراً عليه . وهي الغرور ، والرغبة في التغلب على الخصوم ، وعداوة الناس

لأصحابه ، وأدعاء العلم .

- الحساب والكتاب : الموظفون الذين يشرفون على حسابات الدولة ودواوينها .

- اصحاب النحو والعروض : علماء النحو والشعر ، والعروض : علم الاوزان الشعرية وعللها .

- اصحاب الخبر وحال السير : المؤرخون الذين يسردون الاخبار عن الحوادث السالفة ويتمون

بسير او تراجم الرجال الذين خطوا التاريخ او اثروا في احداثه .

- اصحاب الفرائض : علماء المواريث من الحنفيين والفقهاء .

- اصحاب التأويل : المفسرون الذين يشرحون آيات القرآن .

- ذو العلة : الفيلسوف الذي يهتم بمعرفة العلة الأولى للكون . ومن الخطأ قراءتها ذي علة

كما وردت في طبعة عبد السلام هارون .

(٤) اصحاب الصناعات : اصحاب العلوم المختلفة او العلماء . ان رأيهم في علم الكلام خطير

جداً . فهم لا يعتبرونه علماً حقيقياً لأنه يفتقر الى الضرورة الطبيعية ويعتمد على الاجتهاد

والحدس والتسوية والتأويل . والجاحظ لا يوافقهم على هذا الرأي الذي يصدر عن جهل

بحقيقة علم الكلام كما يقول .

- الحدس : المعرفة المباشرة للشيء التي تتم دون تحليل عقلي .

- الحكومة : الحكم الصادر عن القاضي . واجراءات المحاكمة او المقاضاة .



[١ - مقدمة]

من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ، ومحمد بن خالد خذار خذاه ، وعبد الله بن أيوب أبي سمير ، ومحمد بن حماد كاتب راشد ، والحسن بن إبراهيم ابن رباح ، وأبي الخيار ، وأبي الرنال ، وخاقان بن حامد ، وعبد الله بن الهيثم بن خالد اليزيدي المعروف بمشرطة ، وعلك بن الحسن ، ومحمد بن هارون كبة ، وإخوانهم المستمتعين بالنعمة ، والمؤثرين للذة ، المتمتعين بالقيان وبالأخوان ، المعدين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة ، والراغبين بأنفسهم عن قبول شيء من الناس ، أصحاب الستر والستارات ، والسرور والمروات .

إلى أهل الجهالة والجفاء ، وغلظ الطبع ، وفساد الحس .

سلام على من وفق لرشده ، وآثر حظ نفسه ، وهرف قدر النعمة ، فإنه لا يشكر النعمة من لم يعرفها ويعرف قدرها ، ولا يزداد فيها من لم يشكرها ، ولا بقاء لها على من أساء حملها .

وقد كان يقال : حمل الغنى أشد من حمل الفقر ، ومؤونة الشكر أضعف من مشقة الصبر . جعلنا الله وإياكم من الشاكرين .

[٢ - القضاء العادل]

أما بعد ، فإنه ليس كل صامت عن حاجته مبطلاً في اعتقاده ، ولا كل ناطق بها لا

برهان له محققاً في انتحاله . والحاكم العادل من لم يعجل بفصل القضاء دون استقصاء حجج الخصماء ، [و] دون أن يحول القول فيمن حضر من الخصماء والاستماع منه ، وأن تبلغ الحجة مداها من البيان ، ويشرك القاضي الخصمين في فهم ما اختصها فيه ، حتى لا يكون بظاهر ما يقع عليه من حكمه أعلم منه بباطنه ، ولا بعلائية ما يفلج الخصام منه أطب منه بسره . ولذلك ما استعمل أهل الحزم والروية من القضاة طول الصمت ، وإنعام التفهم والتمهل ، ليكون الاختيار بعد الاختبار ، والحكم بعد التبين .

[٣ - موضوع الكتاب]

وقد كنا ممسكين عن القول بحجبتنا فيما تضمنه كتابنا هذا اقتصاراً على أن الحق مكثف بظهوره ، مبين عن نفسه ، مستغن عن أن يستدل عليه بغيره ، إذ كان إنما يستدل بظاهر على باطن ، وعلى الجوهر بالعرض ، ولا يحتاج أن يستدل بباطن على ظاهر .

وعلمنا أن خصماءنا وإن موهوا وزخرفوا ، خير بالغبين للفلج والغلبة عند ذوي العدل دون الاستماع منا ، وأن كل دعوى لا يفلج صاحبها بمنزلة ما لم يكن ، بل هي على المدعي كل وكرب حتى تؤديه إلى مسرة النجاح أو راحة اليأس .

إلى أن تفاقم الأمر وعيل الصبر ، وانتهى الينا عيب عصابة لو أمسكنا عن الإجابة عنها والاحتجاج فيها ، علماً بأن من شأن الحاسد تهجين ما يحسد عليه ، ومن خلق المحروم ذم ما حرم وتصغيره والظعن على أهله - كان لنا في الإمساك سعة . فإن الحسد عقوبة موجبة للحاسد بما يناله منه ويشينه ، من عصيان ربه واستصغار نعمته ، والسخط لقدره ، مع الكرب اللازم والحزن الدائم ، والتنفس صعداً ، والتشاغل بما لا يدرك ولا يحصى . وأن الذي يشكر فعل أمر محدود يكون شكره ، والذي يحسد فعل ما لا حد له يكون حسده . فحسده متسع بقدر تغير إتساع ما حسد عليه . لانا خفنا أن يظن جاهل أن إمساكنا عن الإجابة إقرار بصدق العضية ، وإن إغضاءنا لذي الغيبة عجز عن دفعها .

فوضعنا في كتابنا هذا حججاً على من هابنا بملك القبان ، وسبنا بمنادمة الإخوان ،

ونقم علينا إظهار النعم والحدث بها . ورجونا النصر إذ قد بدينا والبادي أظلم ، وكاتب الحق فصيح - ويروى « ولسان الحق فصيح » - ونفس المحرج لا يقام لها ، وصوله الحلیم المثالي لا بقاء بعدها .

فبينا الحججة في اطراح الغيرة في غير محرم ولا ريبة ، ثم وصفنا فضل النعمة علينا ، ونقضنا أقوال خصمائنا بقول موجز جامع لما قصدنا . فمهما أظننا فيه فللشرح والإفهام ، ومهما أدمجنا وطوينا فليخف حمله . واعتمدنا على أن المطول يقصر ، والمخلص يختصر ، والمطوي ينشر ، والأصول تنفرع ، وبالله الكفاية والعون .

[٤ - قانون السببية في الطبيعة]

إن الفروع محالة راجعة إلى أصولها ، والأعجاز لاحقة بصدورها ، والموالي تبع لأوليائها ، وأمور العالم ممزوجة بالمشاكلة ومنفردة بالمضادة ، وبعضها علة لبعض ، كالغيث علة السحاب والسحاب علة الماء والرطوبة ، وكالحب علة الزرع ، والزرع علة الحب ، والدجاجة علتها البيضة ، والبيضة علتها الدجاجة ، والإنسان علة الإنسان .

مركز تقيت كويتير علوم إسلامي

[٥ - كل ما في العالم مسخر للإنسان]

والفلك وجميع ما تحويه أقطار الأرض ، وكل ما ثقله أكتافها للإنسان خول ومتاع إلى حين . إلا أن أقرب ما سخر له من روحه وألطفه عند نفسه « الأني » ؟ فإنها خلقت له ليسكن إليها ، وجعلت بينه وبينها مودة ورحمة .

ووجب أن تكون كذلك وأن يكون أحق وأولى بها ، من سائر ما خول إذ كانت مخلوقة منه . وكانت بعضاً له وجزءاً من أجزائه ، وكان بعض الشيء أشكل ببعض وأقرب به قرباً من بعضه ببعض غيره . فالنساء حرث للرجال ، كما النبات رزق لما جعل رزقاً له من الحيوان .

[٦ - كل ما لم يجرمه الشرع محلل]

ولولا المحنة والبلوى في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل ، وتخليص المواليد من

شبهات الاشتراك فيها ، وحصول المواريث في أيدي الأعتاب ، لم يكن واحد أحق
بواحدة منهم من الآخر ، كما ليس بعض السوام أحق برعي مواقع السحاب من بعض ،
ولكان الأمر كما قالت المجوس : إن للرجل الأقرب فالأقرب إليه رحماً وسبباً منهم . إلا
أن الفرض وقع بالامتحان فخص المطلق ، كما فعل بالزرع فإنه مرعى لولد آدم ولسائر
الحيوان إلا ما منع منه التحريم .

وكل شيء لم يوجد محرماً في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فباح مطلق . وليس
على استباح الناس واستحسانهم قياس ما لم نخرج من التحريم دليلاً على حسنه ،
وداعياً إلى حلاله .

ولم نعلم للغيرة في غير الحرام وجهاً ، ولولا وقوع التحريم لزالَت الغيرة ولزمتنا
قياس من أحق بالنساء ، فإنه كان يقال : ليس أحد أولى بهن من أحد ، وإنما هن بمنزلة
المشام والتفاح الذي يتهداه الناس بينهم . ولذلك اقتصر من له العدة على الواحدة
منهن ، وفرق الباقي منهن على المقرين . غير أنه لما عزم الفريضة بالفرق بين الحلال
والحرام ، اقتصر المؤمنون على الحد المضروب لهم ، ورخصوه فيما تجاوزه .

مركز تفتيش كويت برعاية
مركز تفتيش كويت برعاية

[٧ - لم يعرف العرب الحجاب]

فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط
الحجاب بنظرة الفتنة ولا لحظة الخلسة ، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة ،
ويزدوجوا في المناسمة والمثافنة ، ويسمى المولع بذلك من الرجال الزير ، المشتق من
الزيارة . وكل ذلك بأعين الأولياء وحضور الأزواج ، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا
المنكر ، حتى لقد حسك في صدر أخي بثينة من جميل ما حسك من استعظام المؤانسة ،
وخروج العذر عن المخالطة ، وشكا ذلك إلى زوجها وهزه ما حشمه ، فكمننا لجميل عند
إتيانه بثينة ليقتلاه ، فلما دنا لحديثه وحديثها سمعاه يقول ممتحناً لها : هل لك فيما يكون
بين الرجال والنساء ، فيما يشفي غليل العشق ويطفىء نائرة الشوق ؟ قالت : لا .
قال : ولم ؟ قالت : إن الحب إذا نكح فسد ! فأخرج سيفاً قد كان أخفاه تحت ثوبه ،
فقال : أما والله لو أنعمت لي لملاته منك ! فلما سمعا بذلك وثقا بغيبه وركنا إلى عفاه ،

وانصرفا عن قتله ، وأباحاه النظر والمحادثة .

فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء ، في الجاهلية والإسلام ، حتى ضرب
الحجاب على أزواج النبي ﷺ خاصة .

وتلك المحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وبثينة ، وعفراء وعروة ، وكثير
وعزة ، وقيس ولبنى ، وأسما ومرفش ، وعبد الله بن عجلان وهند .

[٨ - طواف النساء بالكعبة هاربات]

ثم كانت ضباة ، من بني عامر بن قرط بن عامر بن صعصعة ، نمت عبد الله
ابن جدعان زماناً لا تلد ، فأرسل إليها هشام بن المغيرة المخزومي : ما تصنعين بهذا
الشيخ الكبير الذي لا يولد له ، قولي له حتى يطلقك . فقالت لعبد الله ذلك ، فقال
لها : إن أخاف عليك أن تتزوجي هشام بن المغيرة . قالت : لا أتزوجه . قال : فإن
فعلت فعليك مائة من الإبل تنحرمها في الحزورة وتنسجين لي ثوباً يقطع ما بين
الأخشين ، والطواف بالبيت هريانة . قالت : لا أطيقه . وأرسلت إلى هشام فأخبرته
الخبر فأرسل إليها : ما أسر ما سألك ، وما بكرشك ، وأنا أسر قريش في المال ،
ونسائي أكثر نساء رجل من قريش ، وأنت أجمل النساء فلا تأتي عليه . فقالت لأبن
جدعان : طلقني فإن تزوجت هشاماً فعل ما قلت ، فطلقها بعد استيثاقه منها ، فتزوجها
هشام فنحر عنها مائة من الجزر ، وجمع نساءه فنسجن ثوباً يسع ما بين الأخشين ، ثم
طافت بالبيت هريانة ، فقال المطلب ابن أبي وداعة : لقد أبصرتها وهي هريانة تطوف
بالبيت وإني لفلان أتبعها إذا أدبرت ، وأستقبلها إذا أقبلت ، فما رأيت شيئاً مما خلق الله
أحسن منها ، واضعة يدها على ركبها وهي تقول :

اليوم يبدو بمضه أو كله فما بدا منه فلا أحله
كم ناظر فيه فما يله أخشم مثل المعقب باد ظله

قال : ثم إن النساء إلى اليوم من بنات الخلفاء وأمهاهن ، فمن دونهن يظفن
بالبيت مكشفات الوجوه ، ونحو ذلك لا يكمل حج إلا به .

[٩ - عمر بن الخطاب لم يحرم السفور]

وأعرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعاتكة ابنة زيد [بن عمرو] ابن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر ، فمات عنها بعد أن اشترط عليها ألا تتزوج بعده أبداً ، على أن نحلها قطعة من ماله سوى الإرث ، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأفتاها بأن يعطيها مثل ذلك من المال فتصدق به عن عبد الله بن أبي بكر ، فقالت في مراثيته :

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبراً
فخجلت فأطرقت ، وساء عمر رضي الله عنه ما رأى من خجلها وتشورها عند
تعمير علي إياها بنقض ما فارقت عليه زوجها ، فقال : يا أبا الحسن ، رحمك الله ، ما
أردت إلى هذا ؟ فقال : حاجة من نفسي قضيتها .

هذا . وأنتم تروون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أغبر الناس ، وأن
النبي ﷺ قال له : « إني رأيت قصراً في الجنة فسألت : لمن هذا القصر ؟ فقيل : لعمر
ابن الخطاب . فلم ينعني من دحوه إلا لعروقي بغيرتك » . فقال عمر رضي الله عنه :
وعليك يغار يا نبي الله !

فلو كان النظر والحديث والدعابة يغار منها ، لكان عمر المقدم في إنكاره ، لتقدمه
في شدة الغيرة . ولو كان حراماً لمنع منه ، إذ لا شك في زهده وورعه وعلمه وتفقهه .

[١٠ - الحسن بن علي لم يحرم النظر إلى النساء]

وكان الحسن بن علي عليهما السلام تزوج حفصة ابنة عبد الرحمن ، وكان المنذر
ابن الزبير يهواها ، فبلغ الحسن عنها شيء فطلقها ، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه
وقالت : شهرني ! . . . وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها فتزوجها ،
فرقى المنذر عنها شيئاً فطلقها ، وخطبها المنذر فقيل لها : تزوجيه ليعلم الناس أنه كان
بعضهك . فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها ، فقال الحسن لعاصم : لنستأذن عليها
المنذر فندخل إليها فنتحدث عندها ، فاستأذناه ، فشاور أخاه عبد الله بن الزبير فقال :

دهها بدخلان . فدخلا فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن ، وكان أبسط للحدث . فقال الحسن للمنذر : خذ بيد امرأتك . فأخذ بيدها وقام الحسن وعاصم فخرجا . وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقي إليه المنذر .

وقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق : هل لك في العتيق ؟ فخرجا فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل إليها فتحدثا طويلاً ثم خرج ، ثم قال لابن أبي عتيق : هل لك في العتيق ؟ قال : نعم . فنزل بمنزل حفصة ودخل ، فقال له مرة أخرى : هل لك في العتيق ؟ فقال : يا ابن أم ، ألا تقول : هل لك في حفصة !!

وكان الحسن في ذلك العصر أفضل أهل دهره . فلو كانت محادثة النساء والنظر إليهن حراماً وعاراً لم يفعله ولم يأذن فيه المنذر بن الزبير ، ولم يشر به عبد الله بن الزبير .

[١١ - الحشوية ليسوا على حق في تحريم النظر إلى المرأة]

وهذا الحديث وما قبله يبطلان ما روت الحشوية من أن النظر الأول حرام والثاني حرام ، لأنه لا تكون محادثة إلا ومعها ما لا يحصى حده من النظر . إلا أن يكون حتى بالنظرة المحرمة النظر إلى الشعر والجاسد . وما تخفيه الجلابيب مما يحل للزوج والولي ويحرم على غيرها .

[١٢ - الشعبي لم يحرم النظر إلى النساء]

ودعا مصعب بن الزبير الشعبي ، وهو في قبة له مجللة بوشى ، معه فيها امرأته ، فقال : يا شعبي ، من معي في هذه القبة ؟ فقال : لا أعلم أصلح الله الأمير ! فرفع السجف ، فإذا هو بعائشة ابنة طلحة .

والشعبي فقيه أهل العراق وعالمهم ، ولم يكن يستحل أن ينظر إن كان النظر حراماً .

[١٣ - معاوية لم يحرم النظر إلى النساء]

ورأى معاوية كاتباً له يكلم جارية لامرأته فاختة بنت قرظة ، في بعض طرق

داره ، ثم خطب ذلك الكاتب تلك الجارية فزوجها منه ، فدخل معاوية الى فاخنة وهي متحشدة في تعبئة عطر لعرس جاريتها ، فقال : هوني عليك يا ابنة قرظة ، فلاني احسب الأبتناء قد كان منذ حين .

ومعاوية أحد الأئمة ، فلما لم يقع عنده ما رأى من الكلام موقع يقين ، وإنما حل محل ظن وحسبان ، ولم يقض به ولم يوجبه ، ولو أوجبه لحد عليه .

وكان معاوية يؤتى بالجارية فيجردها من ثيابها بحضرة جلسائه ، ويضع القضيب على ركبها ، ثم يقول : إنه لمتاع لو وجد متاعاً ! ثم يقول لصعصعة بن صوحان : خذها لبعض ولدك ، فإنها لا تحمل ليزيد بعد أن فعلت بها ما فعلت .

ولم يكن يعدم من الخليفة ومن بمنزلته في القدرة والثاني أن تقف على رأسه جارية تذب عنه وتروحه ، وتعاطيه أخرى في مجلس عام بحضرة الرجال .

[١٤ - أخبار عبد الملك بن مروان وسواه مع الجوارى]

فمن ذلك حديث الوصيفة التي أظلمت في كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وكان يسره ، فلما فشا ما فيه رجع على الحجاج باللوم ومثل :

ألم تر أن وشاة الرجا ل لا يتركون أديمأ صحبها
فلا تفش سرك إلا إلبك فإن لكل نصيح نصيحا
ثم نظر فوجد الجارية كانت تقرأ فنمت عليه .

ومن ذلك حديثه حين نعت فقال للفرزدق وجرير والأخطل : من وصف نعاساً بشعر ويمثل يصيب فيه ويمسح التمثيل ، فهذه الوصيفة له . فقال الفرزدق :

رماه الكرى في الرأس حتى كأنه أميم جلاميد تركن به وقرا
فقال : شدختني ويلك يا فرزدق ! فقال جرير :

رماه الكرى في الرأس حتى كأنه يبرى في سواد الليل قنبرة سقرا

فقال : ويلك تركتني مجنوناً ! ثم قال يا أخطئ فقل . قال :

رماء الكرى في الرأس حتى كأنه نديهم تسوي بين ندمائه حمرا
ثم لم يزل للملوك والأشراف إماء مختلفن في الحوائج ، ويدخلن في الدواوين ،
ونساء يجلسن للناس ، مثل خالصة جارية الخيزران ، وعتبة جارية ربيعة ابنة أبي
العباس ، وسكر وتركية جارية أم جعفر ، ودقاق جارية العباسية ، وظلوم وقسطنطينية
جارية أم حبيب ، وامرأة هارون بن جعبويه ، وحدونة أمة نصر بن السندي بن
شاهك . ثم كن يبرزن للناس أحسن ما كن وأشبه ما يتزين به ، ما أنكر ذلك منكر
ولا عابه عائب .

[١٥ - موقف المأمون من المرأة]

ولقد نظر المأمون الى سكر فقال : أحره أنت أم مملوكة ؟ قالت : لا أدري ، إذا
غضبت عليّ أم جعفر قالت : أنت مملوكة ، وإذا رضيت قالت : أنت حرة . قال :
فاكتبي اليها الساعة فاسألها عن ذلك . فكتبت كتاباً وصلته بهجنح طائر من الهدى كان
معها ، أرسلته تعلم أم جعفر ذلك ، فعلمت أم جعفر ما أراد فكتبت إليها : أنت
حرة . فتزوجها على عشرة آلاف درهم ، ثم خلا بها من ساعتها فواقعها وحمل
سبيلها ، وأمر بدفع المال إليها .

[١٦ - الإفراط في الغيرة على المرأة وذيلة] .

والدليل على أن النظر الى النساء كلهن ليس بحرام ، أن المرأة المعنسة تبرز للرجال
فلا محتشم من ذلك . فلو كان حراماً وهي شابة لم يحل إذا عنست ، ولكنه أمر أفرط فيه
المتعدون حد الغيرة الى سوء الخلق وضيق الفطن ، فصار عندهم كالحق الواجب .

[١٧ - من الخطأ التفريق بين الحرة والجارية]

وكذلك كانوا لا يرون بأساً أن تنتقل المرأة الى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك إلا
الموت ما دام الرجال يريدونها . وهم اليوم يكرهون هذا ويستسمجونه في بعض ،

ويعافون المرأة الحرة إذا كانت قد نكحت زوجاً واحداً ، ويلزمون من خطبها العار ويلحقون به اللوم ، ويميرونها بذلك ، ويتحفظون الأمة وقد تداوها من لا يحصى عنده من الموالي . فمن حسن هذا في الإماء وقبحه في الخرائر ولم يغاروا في الإماء وهن أمهات الأولاد وحظايا الملوك ، وغاروا على الخرائر . ألا ترى أن الغيرة إذا تجاوزت ما حرم الله فهي باطل ، وأنها بالنساء لضعفهن أولع ، حتى يغرن على الظن والحلم في النوم . وتغار المرأة على أبيها ، وتعادي امرأته وسريته .

[١٨ - الغناء]

ولم تزل القيان عند الملوك من العرب والعجم على وجه الدهر . وكانت فارس تعد الغناء أدباً والروم فلسفة .

وكانت في الجاهلية الجرادتان لعبد الله بن جدعان .

وكان لعبد الله بن جعفر الطيار جواريتان ، وغلّام يقال له « بديع » يتغنى ، فعابه بذلك الحكم بن مروان ، قال : وما عليّ أن آخذ الجهد من أشعار العرب وألقيه إلى الجوّاري فيترنن به وينشدنه بجلوقهن ونغمهن !
وسمع يزيد بن معاوية الغناء .

وإنخذ يزيد بن عبد الملك حيابة وسلامة ، وأدخل الرجال عليهن للسمع ، فقال الشاهر في حيابة :

إذا ما حن مزهرها إليها وحننت دونه أذن الكرام
واصفوا نحوه الأذان حتى كأنهم وما ناموا نيام
وقال في سلامة :

ألم ترها ، والله يكفيك شرها ، إذا طربت في صوتها كيف تصنع
ترد نظام القول حتى ترده إلى صلصل من حلقها يترجع

وكان يسمع فإذا طرب شق برده ثم يقول : أطيرا فتقول حباية : لا تطير ، فإن بنا إليك حاجة .

ثم كان الوليد بن يزيد المتقدم في اللهو والغزل ، والملوك بعد ذلك يسلكون على هذا المنهاج وعلى هذا السبيل الأول .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، قبل أن تناله الخلافة يتغنى . فما يعرف من غنائه .

أما صاحبي نزر سماداً لقرب مزارها ودها البعمادا
وله :

عاود القلب سماداً فقلا الطرف السهادا

[١٩ - عناصر الغناء]

ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسواً نغمياً : فما كان منه صدقاً
فحسن ، وما كان منه كذباً فقيح .

وقد قال النبي عليه السلام : « إن من الشعر لحكمة » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « الشعر كلام ، فحسنه حسن ،
وقبيحه قبيح » .

ولا نرى وزن الشعر أزال الكلام عن جهته ، فقد يوجد ولا يضره ذلك ،
ولا يزيل منزلته من الحكمة .

لهذا وجب أن الكلام غير محرم فإن وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً لعله من
العلل . وإن الترجيح له أيضاً لا يخرج إلى حرام . وإن وزن الشعر من جنس وزن
الغناء ، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى ، وهو من كتاب حد النفوس ، تحده

الألسن بحد مقنع ، وقد يعرف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن . فلا وجه
لتحريمه ، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام .

[٢٠ - الغناء غير محرم]

فإن كان إنما يحرمه لأنه يلهي عن ذكر الله فقد نجد كثيراً من الأحاديث
والمطاعم والمشارب والنظر الى الجنان والرياحين ، واقتناص الصيد ، والتشاغل
بالجماع وسائر اللذات ، تصد وتلهي عن ذكر الله . ونعلم أن قطع الدهر بذكر الله
لمن أمكنه أفضل ، إلا أنه إذا أدى الرجل الفرض فهذه الأمور كلها له مباحة ، وإذا
قصر عنه لزمه المأثم .

ولو سلم من اللهو عن ذكر الله أحد لسلم الأنبياء عليهم السلام . هذا
سليمان بن داود عليهما السلام ، الهاء عرض الخيل عن الصلاة حتى غابت
الشمس ، فعرقها وقطع رقابها .



[٢١ - الحكم الجمالي]

وبعد فإن الرقيق نجارة من التجارات تقع عليه المساومات والمشاركة
بالثمن ، ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفا العلق : ويتأملاه تأملاً بيناً يجب فيه
خيار الرؤية المشترط في جميع البياعات . وإن كان لا يعرف مبلغه بكيل ولا وزن
ولا عدد ولا مساحة ، فقد يعرف بالحسن والقبح . ولا يقف على ذلك أيضاً إلا
الثاقب في نظره ، الماهر في بصره ، الطب بصناعته ، فإن أمر الحسن أدق وأرق من
أن يدركه كل من أبصره .

وكذلك الأمور الوهمية ، لا يقضى عليها بشهادة إحصاء العين ، ولو قضى
عليها بها كان كل من رآها يقضي ، حتى النعم والحمير ، يحكم فيها لكل بصير
العين يكون فيها شاهداً وبصيراً للقلب ، ومؤدياً إلى العقل ، ثم يقع الحكم من
العقل عليها .

وأنا مبين لك الحسن . هو التمام والاعتدال . ولست اعني بالتمام تجاوز مقدار الاعتدال كالتزيادة في طول القامة ، وكثافة الجسم أو عظم الجارحة من الجوارح ، أو سعة العين أو الفم ، مما يتجاوز مثله من الناس المعتدلين في الخلق ، فإن هذه الزيادة متى كانت فهي نقصان من الحسن، وإن عدت زيادة في الجسم .

والحدود حاصرة لأمر العالم ، ومحيطة بمقاديرها الموقونة لها ، فكل شيء خرج عن الحد في خلق ، حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور ، فهو قبيح مذموم .

وأما الاعتدال فهو وزن الشيء لا الكمية ، والكون كون الأرض لا استواؤها .

ووزن النفوس في أشباه أقسامها . فوزن خلقه الإنسان اعتدال محاسنه وألا يفوت شيء منها شيئاً ، كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير الأفتس ، والأنف العظيم لصاحب العين الضيقة ، والذقن الناقص والرأس الضخم والوجه الفخم لصاحب البدن المجدع النضوء، والظهر الطويل لصاحب القطنين القصيرتين، والظهر القصير لصاحب القطنين الطويلتين ، وكسعة الجبين بأكثر من مقدار أسفل الوجه .

ثم هذا أيضاً وزن الأنية وأصناف الفرش والوشى واللباس ، ووزن القنوات التي تجري فيها المياه .

وإنما نعني بالوزن الاستواء في الحرط والتركيب .

[٢٣ - النظر إلى المرأة حلال وما سوى ذلك حرام]

فلا بد مما لا يمنع الناظر من النظر إلى الزرع والغروس والتضرع في خضرته والاستنشاق من روائحه . ويسمى ذلك كله له حلاً ما لم يمد له يداً . فإذا مد يداً إلى مثقال حبة من خردل بغير حقها فعل ما لا يحل ، وأكل ما يحرم

عليه .

وكذلك مكالة القيان ومفاكتهن ، ومغازلتهن ومصافحتهن للسلام ، ووضع اليد عليهن للتقليب والنظر ، حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم .

وقد استثنى الله تبارك وتعالى اللمم فقال : ﴿ الذين يمتنعون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾ . قال عبد الله بن مسعود ، وسئل عن تأويل هذه الآية فقال : إذا دنا الرجل من المرأة فإن تقدم ففاحشة ، وإن تأخر فلمم . وقال غيره من الصحابة : القبلة واللمس ، وقال آخرون : الإتيان لهما دون الفرج .

وكذلك قال الأعرابي حين سئل عما نال من عشيقته ، فقال : ما أقرب ما أحل الله مما حرم الله !

[٢٤ - الحكم على الظاهر لا الباطن]

فإن قال قائل : فيما روي من الحديث : « فارقوا بين أنفاس الرجال والنساء » ، وقال : « لا يجزل رجل بامرأة في بيت وإن قيل حموها ، ألا إن حموها الموت » وإن في الجمع بين الرجال والقيان ما دعا إلى الفسق والارتباط والعشق ، مع ما ينزل بصاحبه من الغلظة التي تضطر إلى الفجور وتحمل على الفاحشة ، وأن أكثر من يحضر منازل القيان إنما يحضر لذلك لا لسماع ولا ابتياع .

قلنا : إن الأحكام إنما تقع على ظاهر الأمور ، ولم يكلف الله العباد الحكم على الباطن ، والعمل على النيات ، فيقضى للرجل بالإسلام بما يظهر منه ولعله ملحد فيه ، ويقضى أنه لأبيه ولعله لم يلد له الأب الذي ادعى إليه قط ، إلا أنه مولود على فراشه ، مشهور بالانتماء إليه . ولو كلف من يشهد لرجل بواحد من هذين المعنيين على الحقيقة لم تقم عليه شهادة . ومن يحضر مجالسنا لا يظهر نسباً عما ينسبونه إليه ، ولو أظهر ثم أخضينا له عليه لم يلحقنا في ذلك إثم .

والحسب والنسب الذي بلغ به القيان الأثمان الرغبية إنما هو الهوى . ولو اشترى على مثل شرى الرقيق لم تجاوز الواحدة منهن ثمن الرأس الساذج . فأكثر من بالغ في ثمن جارية فبالعشق ولعله كان ينوي في أمرها الريبة ، ويجد هذا أسهل سبيلا إلى شفاء غليله ثم تعذر ذلك عليه فصار إلى الحلال وإن لم ينوه ويعرف فضله ، فباع المتاع وحل العقد وأثقل ظهره بالعبية حتى ابتاع الجارية .

ولا يعمل عملاً ينتج خيراً غير إغرائه بالقيان وقيادته عليهن ، فإنه لا ينجم الأمر إلا وغايته فيهن العشق ، فيموق عن ذلك ضبط الموالي ومراعاة الرقباة وشدة الحجاب ، فيضطر العاشق إلى الشراء ، ويحصل منه الفرج ، ويكون الشيطان المدحور .

والعشق داء لا يملك دفعه ، كما لا يستطاع دفع عوارض الأدواء إلا بالحمية ، ولا يكاد ينتفع بالحمية مع ما تولد الأغذية وتزيد في الطباع بالازدياد في الطعم .

ولو امكن أحداً أن يجتني من كل ضرر ويقف عن كل هذاء ، للزم ذلك المتطبيب في آفات صحته ، ونحل جسمه وضوى لحمه ، حتى يؤمر بالتخليط ، ويشار عليه بالعناية في الطيبات . ولو ملك أيضاً صرف الأغذية واحترس بالحمية ، لم يملك ضرر تغير الهواء ولا اختلاف الماء .

وأنا واصف لك حد العشق لتعرف حده :

هو داء يهيب الروح ويشتمل على الجسم بالمجاورة ، كما ينال الروح الضعف في البطش والوهن في المرء يهيكه . وداء العشق وعمومه في جميع البدن بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم . وصعوبة دوائه تأتي من قبل اختلاف علله ، وأنه يتركب من وجوه شتى ، كالحصى التي تعرض مركبة من البرد والبلغم . فمن قصد لعلاج أحد الخلطين كان ناقصاً من دائه زائداً في داء الخلط الأخر ، وعلى حسب قوة أركانه يكون ثبوته وإبطاؤه في الانحلال . فالعشق يتركب من الحب والهوى ،

والمشاكلة والإلف ، وله ابتداء في المساعدة ، ووقوف على غاية ، وهبوط في التوليد الى غاية الإنحلال ووقف الملل .

والحب اسم واقع على المعنى الذي رسم به ، لا تفسير له غيره ؛ لأنه قد يقال : إن المرء يحب الله ، وإن الله جل وعز يحب المؤمن ، وإن الرجل يحب ولده ، والولد يحب والده ويحب صديقه وبلده وقومه ، ويجب على أي جهة يريد ولا يسمى ذلك عشقاً . فيعلم حينئذ أن اسم الحب لا يكتفى به في معنى العشق حتى تضاف إليه العلة الأخر إلا أنه ابتداء العشق ، ثم يتبعه حب الهوى فرجما وافق الحق والاختيار ، وربما عدل عنهما . وهذه سبيل الهوى في الأديان والبلدان وسائر الأمور . ولا يميل صاحبه عن حجته واختياره فيما يهوى . ولذلك قيل : « عين الهوى لا تصدق » ، وقيل : « حبك الشيء يعمي ويصم » - يتخذون أديانهم أرباباً لأهوائهم . وذلك أن العاشق كثيراً ما يعشق غير النهاية في الجمال ، ولا الغاية في الكمال ، ولا الموصوف بالبراعة والرشاقة ، ثم إن سئل عن حجته في ذلك لم تقم له حجة .

ثم قد يجتمع الحب والهوى ولا يسمىان عشقاً ، فيكون ذلك في الولد والصديق والبلد ، والصنف من اللباس والفرش والدواب . فلم نر أحداً منهم يسقم بدنه ولا تتلف روحه من حب بلده ولا ولده ، وإن كان قد يصيبه عند الفراق لوحة واحتراق .

وقد رأينا وبلغنا عن كثير ممن قد تلف وطال جهده وضناه بداء العشق .

فعلم أنه إذا أضيف الى الحب والهوى المشاكلة ، أعني مشاكلة الطبيعة ، أي حب الرجال النساء وحب النساء الرجال ، المركب في جميع الفحول والإناث من الحيوان ، صار ذلك عشقاً صحيحاً . وإن كان ذلك عشقاً من ذكر لذكر فليس إلا مشتقاً من هذه الشهوة ، وإلا لم يسم عشقاً إذا فارقت الشهوة .

ثم لم نره ليكون مستحكماً عند أول لقياه حتى يعقد ذلك الإلف ، وتغرسه

المواظبة في القلب ، فينبت كما تنبت الحبة في الأرض حتى تستحکم وتشتد وتثمر ، وربما صار لها كالجذع السحوق والعمود الصلب الشديد وربما انعقد فصار فيه بوار الأصل . فإذا اشتمل على هذه العلة صار عشقاً تاماً .

ثم صارت قلة العيان تزيد فيه وتوقد ناره ، والانقطاع يسعره حتى يذهل العقل ويهتك البدن ، ويشغل القلب عن كل نافعة ، ويكون خيال المشوق نصب عين العاشق والغالب على فكرته ، والباطل في كل حالة على قلبه .

وإذا طال العهد واستمرت الأيام نقص على الفرقة ، واضمححل على المطاولة ، وإن كانت كلومه وندوبه لا تكاد تعرف آثارها ولا تدرس رسومها .

فكذلك الظفر بالمشوق يسرع في حل عشقه . والعلة في ذلك أن بعض الناس أسرع إلى العشق من بعض ، لاختلاف طبائع القلوب من الرقة والقسوة ، وسرعة الإلف وإبطائه ، وقلة الشهوة وضعفها .

وقل ما يظهر المشوق عشقاً إلا عداً بدائه ، ونكت في صدره وشغف فؤاده . وذلك من المشاكلة ، وإجابة بعض الطبائع بعضاً ، وتوقان بعض الأنفس إلى بعض ، وتقارب الأرواح . كالنائم يرى آخر ينام ولا نوم به فينمى ، وكالمتائب يراه من لا تتأوب به فيفعل مثل فعله ، قسراً من الطبيعة .

وقل ما يكون عشق بين اثنين يتساويان فيه إلا عن مناسبة بينهما في الشبه في الخلق والخلق وفي الظرف ، أو في الهوى أو الطباع . ولذلك ما نرى الحسن يعشق القبيح ، والقبيح يحب الحسن ويختار المختار الأقبح على الأحسن ، وليس يرى الاختيار في غير ذلك فيتوهم الغلط عليه ، لكنه لتعارف الأرواح وازدواج القلوب .

[٢٦ - اللذات التي توفرها القينة]

ومن الأفة عشق القيان على كثرة فضائلهن ، وسكون النفوس إليهن ، وأنهن يجتمعن للإنسان من اللذات ما لا يجتمع في شيء على وجه الأرض .

واللذات كلها إنما تكون بالحواس ، والمأكول والمشروب حظ لحاسة الذوق لا يشركها فيه غيرها . فلو أكل الإنسان المسك الذي هو حظ الأنف وجدته بشما واستقذره ، إذ كان دماً جامداً . ولو تنسم أرواح الأطعمة الطيبة كالقواكه وما أشبهها عند انقطاع الشهوة ، أو ألح بالنظر الى شيء من ذلك ، عاد ضرراً . ولو أدل من سمعه كل طيب وطيب لم يجد له لذة .

فإذا جاء باب القيان اشترك فيه ثلاثة من الحواس ، وصار القلب لها رابعاً . فللمعين النظر الى القينة الحسنة والمشهية إذ كان الحدق والجمال لا يكادان يجتمعان لمستمتع ومرتع ، وللسمع منها حظ الذي لا مؤونة عليه ، ولا تطرب آتته إلا إليه .

وللمس فيها الشهوة والحنين إلى الباه . والحواس كلها رواد للقلب ، وشهود عنده .

وإذا رفعت القينة عقيرة حلقها تفني حدق إليها الطرف ، واصفى نحوها السمع ، وألقى القلب إليها الملك ، فاستبق السمع والبصر أيهما يؤدي الى القلب ما أفاد منها قبل صاحبه ، فيتوافيان عند حبة القلب فيفرغان ما وعياه ، فيتولد منه مع السرور حاسة اللمس ، فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لذات لا تجتمع له في شيء قط ، ولم تؤد إليه الحواس مثلها . فيكون في مجالسته للقينة أعظم الفتنة ، لأنه روي في الأثر : « إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة » . وكفى بها لصاحبها فتنة ، فكيف بالنظر والشهوة إذا صاحبها السماع ، وتكافئتها المغازلة .

[٢٧ - القينة لا تخلص الحب]

إن القينة لا تكاد تخلص في عشقها ، ولا تناصح في ودعها ، لأنها مكتسبة ومجسولة على نصب الحبال والشرك للمتربطين ، ليقتمموا في أنشطتها ، فإذا شاهدها المشاهد رامت باللحظ ، وداعبته بالتبسم ، وضالته في أشعار الغناء ، ولمجت باقتراحاته ، ونشطت للشرب عند شربه ، وأظهرت الشوق الى طول مكثه ،

والصباية لسرعة هودته ، والحزن لفراقه . فإذا أحست بأن سحرها قد نفذ فيه ، وأنه قد تعقل في الشرك ، تزيهدت فيما كانت قد شرعت فيه ، وأوهمت أن الذي بها أكثر مما به منها ، ثم كاتبت تشكو إليه هواء ، وتقسم له أنها مدت الدواة بدمعتها ، وبلت السحابة بريقها ، وأنه شجبها وشجوها في فكرتها وضميرها ، في ليلها ونهارها ، وأنها لا ترهد سواه ، ولا تؤثر أحداً على هواء ، ولا تنوي انحرافاً عنه ، ولا ترهد له بل لنفسه ، ثم جعلت الكتاب في سلس طومار ، وختمته بزعفران ، وشدته بقطعة زهر ، وأظهرت ستره عن موالها ، ليكون المغرور أوثق بها . وألحت في اقتضاء جوابه ، فإن أجبت عنه ادعت أنها قد صيرت الجواب سلوتها ، وأقامت الكتاب مقام رثته ، وأنشدت :

وصحيفة تحكي الضمير م مليحة نغماتها
جاءت وقد فرح الفؤاد بطول ما استبطناتها
لمضحكت حين رأيتهما وبكيت حين قرأتهما
عيني رأيت ما أنكرت فتبادرت هجرتهما
أظلم ، نفسي في يديتك في حياها وولاهها
ثم تغنت حيثل :

بات كتاب الحبيب ندماني محدثي تارة وريحاني
أضحكتني في الكتاب أوله ثم نمادي به فأبتكاني

ثم تمجنت عليه الذنوب ، وتغابرت على أهله ، وحمته النظر إلى صواحبها ، وسفته أنصاف أقداحها ، وجشته بفضوض تفاحها ، ونحية من ريحانها ، وزودته عند انصرافه خصلة من شعرها ، وقطعة من مرطها ، وشظية من مضرايها ، وأهدت إليه في النيروز تكة وسكراً ، وفي المهرجان خاتماً وتفاحة ، ونقشت على خاتمها اسمه ، وأبدت عند العثرة رسمه ، وخطته إذا رأته :

نظر المحب إلى الحبيب نعيم وصدوده خطر عليك عظيم

ثم أخبرته أنها لا تنام شوقاً إليه ، ولا تتهنأ بالطعام جداً به ، ولا تحمل - إذا غاب - الدموع فيه ، ولا ذكرته إلا تنفست ، ولا هتفت باسمه إلا ارتاحت ، وأنها قد جمعت قنينة من دموعها من البكاء عليه ، وتنشد عند موافاة اسمه بيت المجنون :

وأهوى من الاسماء ما وافق اسمها وأشبهه ، أو كان منه مدانيا
وعند الدعاء به قوله :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليل غيرها فكأنما
أطار ليل طائراً كان في صدري

وربما قادها التمويه الى التصحيح ، وربما شاركت صاحبها في البلوى حتى تأتي الى بيته فتمكنه من القبلة فما فوقها ، وتفرشه نفسها ان استحس ذلك منها ، وربما جمعدت الصناعة لترخص عليه ، وأظهرت العلة والتأثت على الموالى ، واستباحت من السادة ، وادعت الحرية احتيالاً لأن يملكها ، وإشفاقاً ان يحتاجه كثرة ثمنها ، ولا سيما اذا صادفته حلو الشائل ، رشيقي الإشارة ، عذب اللفظ ، دقيق الفهم ، لطيف الحس ، خفيف الروح . فإن كان يقول الشعر ويتمثل به أو يترنم كان أحلى له عندها .

وأكثر أمرها قلة المناصحة ، واستعمال الغدر والخيلة في استعطاف ما يحويه المربوط والانتقال عنه . وربما اجتمع عندها من مربوطيها ثلاثة أو أربعة على أنهم يتحامون من الاجتماع ، ويتغابرون عند الالتقاء ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للآخر بالآخرى ، وتغمز هذا بذلك ، وتعطي واحداً سرها والآخر حلايتها ، وتوهمه أنها له دون الآخر ، وأن الذي تظهر خلاف ضميرها . وتكتب اليهم عند الانصراف كتاباً على نسخة واحدة ، تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقيين وحرصها على الحلوة

به دونهم .

فلو لم يكن لإبليس شرك يقتل به ، ولا علم يدعو اليه ، ولا فتنة يستهوي بها
إلا القيان ، لكفاه .

وليس هذا بدم لمن ، ولكنه من فرط المدح . وقد جاء في الأثر : وخير
نساءكم السواحر الخلابات .

وليس يحسن هاروت وماروت ، وعصا موسى ، وسحرة فرعون ، إلا دون ما
يحسنه القيان .

ثم إذا منعهم الزنى غلبه عليهم مخارج بيوت الكشاشنة ترميهم في حجور
الزناة . ثم من أمهات أولاد من قد بلغ بالحب لمن أن غفروا لمن كل ذنب ،
وأغضوا ممن على كل عيب .

وإذا كن في منزل رجل من السوقه هذرمن ، وإذا انتقلن الى منازل الملوك
زال العذر . والسبب فيه واحد ، والعلة سواء .

[٢٨ - اسباب مهتك القيان]

وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب
الأهواء ، وتتعلم بالألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي تنشأ من لذن مولدها إلى أوان
وفاتها بما يصد عن ذكر الله من هو الحديث ، وصنوف اللعب والاخانيث ، وبين
الخلعاء والمجان ، ومن لا يسمع منه كلمة جد ولا يرجع منه الى ثقة ولا دين ولا
صيانة مروة .

وتروي الحاذقة ممن أربعة آلاف صوت فصاعداً ، يكون الصوت فيما بين
البيتين إلى أربعة أبيات ، عدد ما يدخل في ذلك من الشعر إذا ضرب بعضه
ببعض هشرة آلاف بيت ، ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ولا ترهب [من]
عقاب ، ولا ترهب في ثواب ، وإنما بنيت كلها على ذكر الزنى والقيادة ، والعشق

والصبوة ، والشوق والغلطة .

ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها منكبة عليها ، تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش وانشادهم مراودة . وهي مضطرة الى ذلك في صناعتها ، لأنها ان جفتها تفلتت ، وإن أهملتها نقصت ، وإن لم تستغد منها وقفت . وكل واقف فالى نقصان أقرب . وإنما فرق بين أصحاب الصناعات وبين من لا يحسنها التزيد فيها ، والمواظبة عليها . فهي لو أرادت الهدى لم تعرفه ، ولو بغت الغفلة لم تقدر عليها ، وإن ثبتت حجة أبي الهذيل فيها يجب على المتفكر زالت عنها خاصته ، لأن فكرها وقلبها ولسانها وبدنها ، مشاغيل بما هي فيه ، وعلى حسن ما اجتمع عليها من ذلك في نفسها لمن يلى مجالستها عليه وعليها .

[٢٩ - المقين]

ومن فضائل الرجل منا أن الناس يقصدونه في رحله بالرغبة كما يقصد بها للخلفاء والعظماء فيزار ولا يكلف الزيارة ، ويوصل ولا يحمل على الصلة ، ويهدى له ولا تقتضى منه الهدية ، وتبيت العيون ساهرة والعيون ساجدة ، والقلوب واجفة ، والأكباد متصدحة ، والأمان واقفة ، على ما يحويه ملكه وتضمه يده ، مما ليس في جميع ما يباع ويشترى ، ويستفاد ويقتنى ، بعد العقد النفيسة . فمن يبلغ شيئاً من الثمن ما بلغت حبشية جارية عون ، مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار .

ويرسلون الى بيت مالها بصنوف الهدايا من الأطعمة والأشربة ، فإذا جاءوا حصلوا على النصر وانصرفوا بالحسرة ، ويحتني مولاها ثمرة ما غرسوا ، ويتمل به دونهم ، ويكفي مؤونة جواريه .

فالذي يقاسيه الناس من عيلة العيال ، ويفكرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم ، وصعوبة خدمتهم ، [هو] عنه بمنزل : لا يهتم بغلاء الدقيق ، ولا عوز السوق ، ولا عزة الزيت ، ولا فساد النيذ ، قد كفي حسرته إذا نزر ، والمصيبة فيه اذا حمض ، والفجيمة به اذا انكسر .

ثم يستقرض إذا أضر ولا يرد ، ويسأل الحوائج فلا يمنع ، ويلقى أهدأ
بالإعظام ، ويكفي إذا نودي ، ويفدى إذا أدهى ، ويحيا بطرائف الأخبار ، ويطلع
على مكنون الأسرار ، ويتغايير الربطاء عليه ، ويتبادرون في بره ، ويتشاحون في
وده ، ويتفاخرون بإيثاره .

ولا نعلم هذه الصفة إلا للخلفاء : يعطون فوق ما يأخذون ، وتحصل بهم
الرخائب ، ويدرك منهم الغنى .

والمقين يأخذ الجواهر ويعطي العرض ، ويفوز بالعين ويعطي الأثر ، ويبيع
الريح الهابة بالذهب الجامد ، وפלذ اللجين والمسجد . وبين المرابطين وبين ما
يريدون منه خرط القتاد ، لأن صاحب القيان لو لم يترك إعطاء المرهوط سؤله عفة
ونزاهة ، لتركه حذقاً واختياراً ، وشحا على صناعته ، ودفعاً عن حریم ضيعته ، لأن
العاشق متى ظفر بالمعشوق مرة واحدة نقص تسعة أعشار عشقته ، ونقص من بره
ورفده بقدر ما نقص من عشقه . فما الذي يحمل المقين على أن يبیک جاريتيه ،
ويكسر وجهه ويصرف الرهبة عنه .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

ولولا أنه مثل في هذه الصناعة الكريمة الشريفة لم يسقط الغيرة عن جواربه
ويعنى بأخبار الرقباء ، ويأخذ أجرة المبيت ويتأدم قبل العشاء ، ويعرض عن
الغمزة ، ويغفر القبلة ، ويتخالف عن الإشارة ، ويتعاضى عن المكاتبه ، ويتناسى
الجارية يوم الزياره ، ولا يعاتبها على المبيت ، ولا يفض ختام سرها ، ولا يسألها
عن خبرها في ليلها ، ولا يعبا بأن تقفل الأبواب ، ويشدد الحجاب ، ويعد لكل
مرهوط حدة على حدة ، ويعرف ما يصلح لكل واحد منهم ، كما يهيز التاجر
أصناف تجارته فيسعرها على مقاديرها . ويعرف صاحب الضياع أراضيه لمزارع
الخصر والحنطة والشعير . فمن كان ذا جاه من الربطاء اعتمد على جاهه وسأله
الحوائج . ومن كان ذا مال ولا جاه له استقرض منه بلا عهنة . ومن كان من
السلطان بسبب كفت به عادية الشرط والأهوان ، وأعلنت في زيارته الطبول
والسراني ، مثل سلمة الفقامي ، وحمدون الصحنائي ، وهلي الفامي ، وحجر

الثور ، وفقحة ، وابن دجاجة ، وحفصويه ، وأحمد شعرة ، وابن المجوسي ،
وابراهيم الغلام .

فأي صناعة في الأرض أشرف منها !

ولو يعلم هؤلاء المسمون فرق ما بين الحلال والحرام لم ينسبوا إلى الكشخ
أهلها ، لأنه قد يجوز أن تباع الجارية من المملوء فيصيب منها وهو في ذلك ثقة ، ثم
يرتجعها صاحبها بأقل مما باعها به فيحصل له الربح ، أو تزوج ممن يثق به ويكون
قصده للمتعة .

فهل على مزوجة من حرج ، وهل يفر أحد من سعة الحلال إلا الحائض
الجاهل ، وهل قامت الشهادة بزناه قط في الإسلام على هذه الجهة .

هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سميناها في صدرها . فإن
كانت صحيحة فقد أدينا منها حق الرواية ، والذين كتبوها أولى بما قد تقلدوا من
الحجة منها . وإن كانت منحولة فمن قبل الطفيليين ، إذ كانوا قد أقاموا الحجة في
أطراح الحشمة ، المرتبطين ليسهلوا على المقينين ما صنعه المقترفون .

فإن قال قائل : إن لها في كل صنف من هذه الثلاثة الأصناف حظاً وسيباً فقد
صدق . وبالله سبحانه التوفيق .



هامش رسالة القيان

- (١) يذكر الجاحظ أسماء عدد من طلاب اللذة المشهورين في عصره الذين ينحلهم هذه الرسالة . وهو يفعل ذلك كعادته في كثير من رسائله . ويبدو أن الدافع الذي حمله على النحل هنا هو رغبته في عدم تحمل مسؤولية الآراء التي سيوردها في تضاعيف الرسالة لأنه يدرك أنها تلقى معارضة عنيفة من جانب اصحاب الحديث وهؤلاء كانوا يناصرونه العداوة ويضيقون عليه وعلى سائر المعتزلة المعروفين بمهولهم العقلانية والتحررية . وهو ينعتهم هنا بالجهل وغلظ الطبع وفساد الحس . بينما ينعت اصحاب اللذة بالمرودة والعمى وطلب المتعة بالقيان والاطعمة والاشربة . ولتلاحظ هذه الديباجة التي نلّفها في كثير من آثار الجاحظ ، وما بها من تقطيع جميل .
- (٢) يلخص الجاحظ شروط القضية العاقل وهي عدم التصريح في إصدار الاحكام ، وسماع حجج الخصمين ، واشراك الخصمين في فهم ما اختصاصاً ليه . وهو يوجه كلامه الى القارئ الذي يطلب منه أن يكون قاضياً عادلاً يحكم في الخصومة بين الجاحظ ومعارضيه في القضية التي سوف يعرضها .
- (٣) الاسباب التي حدثت الجاحظ على كتابة هذه الرسالة هي تهجم خصومه عليه ورميهم اياه بملك القيان ومنادمة الاخوان والتحدث عن النعم . ويشير عدة مسائل فلسفية منها استثناء الحق عن الدليل لأنه مبین بنفسه ، والاستدلال على الباطن بالظاهر وعلى الجوهر بالعرض ، والتفريق بين الحجة والبرهان .
- (٤) القرار السببية في الطبيعة يجعل الجاحظ فيلسوفاً طبيعياً . وقد عرض هنا مفهومه الواسع للسببية ولعلاقة الكائنات بعضها ببعض .
- (٥) كل ما في العالم مسخر للإنسان . والانثى هي متاع الرجل إذ خلقت له ليسكن اليها لأنها جزء منه (يشير الجاحظ هنا الى قصة خلق حواء من آدم الواردة في القرآن) .
- (٦) الأصل هو الاباحة والشروع في غيرات الطبيعة ثم كان التحريم والتخصيص (او انه صفة

الخاصة) في الشرع وهذا ينطبق على المراعي كما ينطبق على النساء « وكل » شيء لم يوجد محرماً في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله « مباح مطلق » . ان شيوخ النساء يذكرونا باللاطون وشيوخ الأرض والرزق يذكرونا بماركس .

(٧) يشير الجاحظ مسألة الحجاب ويسبق دهاة السفور بأكثر من ألف سنة . ويكفي أن نعلم كيف ألبرت هذه المسألة مجدداً في العالم العربي مع قاسم أمين وغيره في النصف الأول من القرن العشرين . ولا تزال ، لنذكر مدى تحرر الجاحظ .

(٨) يربط الجاحظ طواف النساء بالبيت في موسم الحج مكشفات الوجوه بخبر ضباة بنت هاجر زوجة عبد الله بن جدعان ثم زوجة هشام بن عبد الملك . وهو امر غريب حقاً .

(٩) عمر بن الخطاب المشهور بغيرته على النساء المبحر السفور ٢٢ .

(١٠) الحسن بن علي لم يجرم النظر الى النساء ومهادنتهن .

(١١) الخشوية ليست على حق في تحريمها النظر الى النساء . والخشوية احدى فرق اهل السنة والجماعة .

(١٢) الشعبي لم يجرم النظر الى النساء .

(١٣) لإباحة معاوية واحتجاج الجاحظ بها لراهه بثران الدهشة لأن ابا عثمان كان يكره معاوية ويرميه بالضلال والفساد (انظر رسالة الثابتة) .

(١٤) اخبار عبد الملك بن مروان والجاحظ والفرزدق وجريرو والاضطل دليل على ثقافة الجاحظ الأدبية الواسعة .

(١٥) خبر المأمون وسكر الجارية يبين مكانة الجوارى في المجتمع العباسي وتصور الخلفاء وطريقة عتقهن .

(١٦) التماذي في الغيرة على المرأة والافراط له يؤدي الى سوء الخلق وضيق الفطنة . فأية لظنة ومنطق في السماح للمرأة المغنية بالبروز للرجال وتحريم ذلك على غيرها .

(١٧) وانعدام المنطق يتضح ايضاً في استباح الناس للمرأة الحرة اذا انتقلت الى اكثر من زوج بينما لا يرون الأمر قبيحاً اذا صدر عن الأمة على الرغم من ان الاماء اصبحن امهات الاولاد والملوك .

(١٨) الغناء من علوم الفلسفة والادب . واخبار القيان التي يسردها الجاحظ تدل على منزلة الموسيقى وتأثيرها . لنلاحظ هنا اطلاع الجاحظ على علوم الفرس واليونان والعرب .

(١٩) الغناء مؤلف من شعر ونغم او هو الشعر المكسور نغماً . ولذا ينطبق على الغناء ما ينطبق على الشعر من احكام . واذا كان الشعر غير محرم فينبغي ان يكون الغناء غير محرم ايضاً .

(٢٠) الحجة التي تقول ان الفناء محرم لأنه يلهي عن ذكر الله ساقطة ، لأن كثيراً من الأعمال والاطعمة ، والجنان والجماع يلهي عن ذكر الله فلم لم محرم ٢ .-

(٢١) الحكم على جمال المرأة صعب ، وهو لا يقوم على شهادة العين ، ولا بد من اشتراك القلب والعقل أيضاً في ادراك الجمال ثم يتولى العقل اصدار الحكم . وهذه نظرية اصيلة في علم الجمال .

(٢٢) محمد الحسن بالتمام والاعتدال ذكرنا بتحديد ارسطو

(٢٣) النظر الى المرأة حلال اما ما سوى ذلك من مد الأيدي لحرام ، ويلحق بالنظر الحديث والمفاكحة والمغازلة والمصالحة للسلام . ويلحق بالأيدي اللمس : القبلة واللمس .

(٢٤) الاحكام تقع على ظواهر الأمور لا على بواطنها . هذا مبدأ خطير اذا اخذ به في مسائل الدين والاخلاق . وقد ضرب الجاحظ تطبيقاً له مثلين : الحكم على ايمان المرء وحسب نسيبه . فنحن نحكم في هاتين المسألتين على الظاهر لا على الباطن لاننا لا ندرى ما في قلب الانسان وما اذا كان من صلب والده ام لا . وحسب هذا الأساس لا ينبغي أن نحكم على سوء نية الرجل اذا ما رأيناه مجتمعاً بامرأة .

(٢٥) العشق داء لا يمكن دفعه بصيب الروح . ويؤثر به الجسم ويتركب من اربعة اشياء هي الحب والهوى والمشاكلة والالفة . الحب هو اول درجات العشق ، والهوى يحتل الدرجة التي تلي الحب ويتصف بعدم موافقة الحق احياناً ، ويكون الحب والهوى في الصديق والبلد واللباس والمقتنيات وغيرها . ولكي يصبح الحب والهوى عشقاً يلزم ان يضاف اليهما المشاكلة أي الجنس ، وهوى العشق بعدئذ بالالفة . ولكنه يضعف في حالتين الأولى طول العهد والثانية الظفر بالمشوق . والعشق يقوم على المناسبة بين الرجل والمرأة في الخلق أو الخلق أو الطبع . ونلاحظ مهارة الجاحظ في التحليل النفسي لعاطفة العشق .

(٢٦) اللذات التي توفرها القينة ثلاث : لذة النظر الى جمالها ولذة سماع غنائها ولذة الجنس .

(٢٧) القينة لا تخلص في حبها ، وتمارس الوان الخداع لاستمالة الرجل اليها واصطفاه وقد برع الجاحظ في وصف تصرفاتها لبلوغ غايتها تلك .

(٢٨) الاسباب التي تؤدي الى فساد اخلاق القيان او عدم هفتن هي التربية السيئة في الصغر ، نشأتهن بين الخلفاء وحفظهن آلاف الاشعار في الزنا والصبوة الخ .

(٢٩) أوضاع القينين الممتازة في عصر الجاحظ يحاول أن يصفها ويحللها . انهم يبيعون القيان بالائتمان المربحة (١٢٠ الف دينار للواحدة) وهم من اصحاب الجاه يقصدهم الناس لقطبها حاجاتهم وينزلون اليهم ويقدمون لهم الهدايا الخ ..



[١ - الحب والنواحه]

قال أبو عثمان :

إنما لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو أصل الهوى ، والهوى الذي يتفرع منه العشق ، والعشق الذي يبيح له الإنسان هل وجهه أو يموت كمداً إلى فراشه ، وأول ذلك إدخال الضيم على مروهته واستشعار الدلة لمن أطاف بمشيقته ، ولم نطنب مع ذلك في ذكر ما يتشعب من أصل الحب من الرحمة والبرقة وحب الأموال النفيسة والمراتب الرفيعة وحب الرعية للأئمة وحب المصطنع لصاحب الصنيفة مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته في العواقب ، احتجنا إلى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصباية والمخالفة على قوة العزيمة ، ليجعل ذلك القدر جنة دون من حاول العطن على هذا الكتاب وسخف الرأي الذي دعا إلى تأليفه والاشادة بذكره ، إذ كانت الدنيا لا تنفك من حاسد باغ ، ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ، ومن منافس مقصر ، كما أنها لا تنفك من ذوي سلامة متسلم ومن عالم متعلم ، ومن عظيم الخطر حسن المحضر شديد المحاماة عن حقوق الأدباء قليل التسرع إلى أعراض العلماء . وإنما العشق إسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب ، وليس كل حب يسمى عشقاً . وإنما العشق إسم للفاضل عن ذلك المقدار كما أن السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جوداً والبخل إسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصاداً ، والجبن إسم لما قصر عن المقدار الذي يسمى

شجاعة .

وهذا القول ظاهر على السنة الأدباء مستعمل في بيان الحكماء وقد قال عمرو ابن الزبير : والله إني لأعشق الشرف كما تعشق المرأة الحسناء . وذكر به عن الناس رجلاً كان مدفوعاً محروماً ومنحوس الحظ ممنوعاً فقال : ما رأيت أحداً عشق الرزق عشقه ولا أبغضه الرزق بغضه . فذكر الأول عشق الشرف وليس الشرف بامرأة ، وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسم جامع لجميع الحاجات . وقد يستعمل الناس كناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون ان يظهروا المعنى بالبين اللفظ إما تنويهاً وإما تفصيلاً ، كما سمو المعزول عن ولايته مصروفاً ، والمنهزم عن عدوه منحازاً ، نعم حتى سمي بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً ، وسمى عامل الخراج المتعدي بحق السلطان مستقصياً .

[٢] - المرأة أهم موضوعات الحب

ولما رأينا الحب من أكبر أسباب جماع الخير ورأينا البغض من أكبر أسباب الشر ، اجتنبنا ان نذكر أبواب السبب الجالب للخير ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب للشر ، حتى نذكر أصولها وعللها الداعية إليهما والموجة لكونها . فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطليبه ، ووجدنا شقوة الطالب المكدي وغمه في وزن سمادة الطالب المنجح وسروره ، ووجدنا العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف كان موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أبهج .

فان زعم زاعم أن موقع لذة الظفر بالعدو المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته ! قلنا : إنا قد رأينا الكرام والحلماة وأهل السؤدد والعظماة ربما جادوا بفضلهم من لذة شفاء الفيظ ويعدون ذلك زيادة من نبل النفس وبعد الهمة وعلو القدر ، ويجودون بالنفيس من الصامت والناطق وبالشمين من العروض ، وربما خرج من جميع

ماله وأثر طيب الذكر على الغني واليسر ، ولم نر نفس العاشق تسخو بمشوقه ولا يهود لشقيق نفسه ولا لوالد ولا لولد بار ولا لذي نعمة سابقة بخاف سلبها وصرف إحسانه عنه بسببها ، ولم نر الرجال يهبون للرجال إلا مالا بال له في جنب ما يهبون للنساء ، حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والتف والقص والتحذيف والحلق ونحوه الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدتها مما لم يتكلفوه إلا هن ، ولم يتقدموا فيه إلا من أجلهن ، وحتى كأن الحيطان الرفيعة والأبواب الوثيقة والستور الكثيفة والخصيان والظؤورة والحشوة والحواضن لم تتخذ إلا للهن والاحتفاظ بما يجب من حفظ النعمة فيهن .

فصل منه: وباب آخر وهو أنا لم نجد أحداً من الناس عشق والديه لا ولده، ولا من عشق مراكبه ومنزله، كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام. قال الله تعالى: ﴿ هُوَ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ فقد دل تبارك وتعالى على جملة أصناف ما خوهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ، ولم نر الناس وجدوا بشيء من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ، ولقد قدم ذكرهن في هذه الآية على قدر تقدمهن في قلوبهم .

[٣ - المرأة احب من الغناء]

فان قال قائل : فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغني المصيب فينقله ذلك إلى طبع الصبيان وإلى أعمال المجانين فيشق جيبه وينقض جبوته ويفدي غيره ويرقص كما يرقص الحدث الغرير والشاب السفيه ، ولم نجد أحداً فعل ذلك عند رؤية معشوقه ؟

قلنا : أما واحدة فإنه لم يكن ليدع التشاغل بشمها وبرشفتها وباحتضانها وتقبيل قدميها والمواضع التي وطئت عليها ويتشاغل بالرقص المبين لها والصراخ الشاغل عنها . فأما حل الحبوة والصراخ عند رؤية الحبيبة فإن هذا ما لا يحتاج إلى

ذكره ، لوجوده وكثرة استعمالهم له ، فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظن أن لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته ، بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال . وعلى أن ذلك الطرب مجتاز غير لابت وطاقن غير مقيم ، ولذة المتعاشقين راكدة أبداً ومقيمة غير طاعنة . وعلى أن الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن ، والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي اشهى ، وكذلك الصوت الناعم الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة . وكم بين أن تفدي إذا شاع فيك الطرب مملوكك وبين أن تفدي أمتك ؟ وكم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فم تشتهي أن تصرف وجهك عنه ! وعلى أن الرجال دخلاء على النساء في الغناء ، كما رأينا رجالاً ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح . وبعد ، فأما أحسن وأملح وأشهى وأغنج ! أن يغنيك فحل ملتف اللحية كثر العارضين أو شيخ متخلع الأسنان مغضن الوجه ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالداً فاقبلت أسمى كالعجول أبادر
 أم تغنيك جارية كأنها ياقية نرجس أو كأنها ياسمينه أو كأنها خرطت
 من باقوته أو من فضة مجلوة بشعر هكاشة بن محسن :

من كف جارية كأن بناها من فضة قد طرقت هنا
 وكان بناها إذا نطقت به ألت على يدها الشمال حسابا

فصل منه : فأما الغناء المطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء وإنما ينبغي أن تغني بأشعار الغزل والتشبيب والعشق والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الأشعار وبين شيب الرجال ومن أجلهن تكلفوا القول في التشبيب . وبعد فكل شيء وطبقه وشكله ولفقه حتى تخرج الأمور موزونة معتدلة ومتساوية مخلصه . ولو أن رجلاً من أدمت الناس وأشدهم تخليصاً لكلامه ومحاسنه لنفسه ثم جلس مع امرأة لا تزن بمنطق ولا تعرف بحسن حديث ثم كان يعشقها بما كان الناتج بينهما من الأحاديث والمتلاحح بينهما من المعاني والألفاظ إلا ما كان يجري بين دغفل بن حنظلة

ويبين ابن لسان الحمرة ، وإنما هذا على قدر تمكن الغزل في الرجل .

[٤ - فضل المرأة على الرجل]

فصل منه : والمرأة أيضاً أرفع حالاً من الرجل في أمور ، منها : أنها التي تمخطب وتراد وتمشق وتطلب ، وهي التي تفدى وتحمى . قال عنبسة بن سعيد للحجاج بن يوسف : أبغدي الأمير أهله ؟ قال : والله إن تعدوني إلا شيطاناً والله لربما رأيتني أقبل رجل إحداهن .

[٥ - حب السلطان]

فصل منه : وإنما يملك المولى من عبده بدنه ، فأما قلبه فليس له عليه سلطان . والسلطان نفسه وإن ملك رقاب الأمة فالتناس يختلفون في جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ، ومنهم من يطيع بالرهبة ، ومنهم من يطيع بالمحبة ، ومنهم من يطيع بالديانة . وهذه الأصناف وإن كان أفضلها طاعة الديانة فإن تلك المحبة ما لم يمازجها هوى لم يقو صاحبها على قوة العشق . وفي الأثر المستفيض والمثل السائر : إن كان الهوى يعمي ويصم . فالعشق يقتل .

[٦ - حب الزوجة]

فصل منه : وما يستدل به على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالله الذي لا شيء أعظم منه وبالمشي إلى بيت الله وبصدقة ماله وعتق رقيقه فيسهل عليه ولا يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تبرد وجهه وطار الغضب في دماغه ويمنع ويعصي ويغضب وبأى وإن كان المحلف سلطاناً مهيباً وإن لم يكن يجبهها ولا يستكثر منها وكانت نفسها نبيحة المنظر دقيقة الحسب خفيفة الصداق قليلة النشب ، وليس ذلك إلا لما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات في صدور الأزواج .

[٧ - حب الولد]

فصل منه في ذكر الولد : وباب آخر وهو أنا لو خيرنا رجلاً بين الغنى أيام

حياته ، وبين أن يكون ممتعا بالبهاء أيام حياته ، لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم . وليس شيء مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده أبقى ذكرا ولا أجل خطراً من أن يكون للرجل ابن يكون ولي بناته وسائر صورة حرمه وقاضي دينه ومحبي ذكره ، مخلصاً في الدعاء له بعد موته وقائماً بعده في كل ما خلفه مقام نفسه ، فمن أقل أسفا على ما فارق ممن خلف كافيا مجربا وحائطا من وراء المال موفورا ومن وراء الحزم حاميا ولسلفه في الناس محييا . وقال رجل لعبد الملك بن مروان وذكر ولدأ له : أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك . ونظر شيخ وهو عند المهلب إلى بنيه قد أقبلوا فقال : أنس الله بكم الاسلام فوالله إن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم لاسباط ملحمة . وليست النعمة في الولد المحيي والخلف الكافي بصغيرة .

فصل منه : وباب آخر ، وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولداً من غير أنثى ، فانقض بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح في بطن مريم من غير ذكر .

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

[٨ - حب القرابة]

فصل منه في ذكر القرابات : وأما أنا فإني أقول : إن تباغض الأقرباء عارض دخيل وتحابهم واحد أصيل ، والسلامة من ذلك أعم والتناصر أظهر والتصديق في المودة أكثر ، فلذلك القبيلة تنزل معاً وترحل معاً وتحارب من ناوأها معاً ، إلا الشاذ النادر ، كخروج غني وباهلة من هظفان ، وكنزول عبس في بني عامر . وما أشبه ذلك . وإلا فإن القرابة يد واحدة على من ناوأهم وسيف واحد على من عاداهم ، وما صلاح شأن العشائر إلا بتقارب ساداتهم في القدر وإن تفاوتوا في الرياسة والفضل ، كما قال في الأثر المستفيض : لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا تقاربوا هلكوا . وحال العامة في ذلك كحال الخاصة .

[٩ - الحاجة الطبيعية الى الرئيس]

فصل منه : وقضية واجبة إن الناس لا يصلحهم إلا رئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قلوبهم عن ضعيفهم ، وقليل لهم نظام أقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم ، إذ قد علم الله سبحانه وتعالى أن صلاح عامة البهائم في أن يجعل لكل جنس منها فحلاً يوردها الماء ويصنّفها وتتبعه إلى الكلا ، كالعير في العانة والفحل في الأبل والمجمنة ، وكذلك النحل العسالة والكرامي ، وما يجمي الحجور في المروج إلا الحصان ، فجعل منها رؤساء متبوعة وأذنانا تابعة ، ولو لم يقم الله للناس التوزعة من السلطان والحماة من الملوك وأهل الحيطة عليهم من الأئمة لعادوا نشرًا لا نظام لهم ومستكئين لا زاجر لهم ، ولكان من هزبوا من قدر قهره ، ولما زال الشر راكداً والمهرج ظاهراً حتى يكون التغابن والبوار ، وحتى تنطمس منهم الآثار ، ولكانت الأنعام طعاماً للسباع وكانت عاجزة عن حماية أنفسها جاهله بكثير من مصالح شأنها ، فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجها إلى الاستمتاع بها ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة في صونها والدفاع عنها . وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوها بالحراسة لها والذبياد عنها ويرد قلوبها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها وظالمها عن مظلومها وسفيعها عن حلِيمها ، فلولا السائس ضاع المسوس ولولا قوة الراعي هلكت الرعية .

فصل منه : وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الإمام بالامامة ، وبالسلمة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون الألفة ويصلح شأن الجماعة ، وإذا كانت الجماعة انتهت الأعداء وانقطعت الأهواء .

[١٠ - المساواة بين الرجل والمرأة]

فصل منه : ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ، ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزرابة ويحتقروهن أشد الاحتقار ويبخسونهن أكثر حقوقهن ، وإن من المعجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والاعمام إلا بأن ينكر حقوق الامهات

والأحوال ، فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ، ولولا أن ناساً يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب .

[١١ - درجات العشق ودوامه]

فصل منه في ذكر العشق : ورجلان من الناس لا يعشقان عشق الأعراب : أحدهما الفقير المدقع فإن قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه ، والملك الضخم الشأن لأن في الرياسة الكبرى وفي جواز الأمر والنهي وفي ملك رقاب الأمم ما يشغل شطر قوي العقل عن التوغل في الحب والاحترق في العشق

فصل منه : كثيراً ما يعتري العشق المحبين غير المحترفين كالرجل تكون له جارية وقد حلت من قلبه محلاً وتمكنت منه تمكناً ولا يبحث أصل ذلك الحب الغضبية تعرض وكثرة التأذي بالخلاف يكون منها فيجد الفترة عنها لبعض هذه الحالات التي تعرض فيظن أنه قد سلا أو يظن أنه في عزائه عنها على فقدتها محتملاً بيها إن كانت أمة أو طلاقها إن كانت زوجة ، فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول وذلك الأذى أن ينسى ، فتتحرك له الدفائن ويشمر ذلك الغرس فيتبعها قلبه ، فإما أن يسترجع الأمة من مبتاعها بأضعاف ثمنها أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت ، فإن تصبر وأمكنه الصبر لم يزل معذباً ، وإن أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العقاب والنكس . فليحذر الحازم الفترة يجدها في حب حبيبه والغضبية التي تنسيه عواقب أمره .

فصل منه : قال إبراهيم بن السندي : حدثني عبد الملك بن صالح قال : بينما عيسى بن موسى قد خلا بنفسه ، وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع إذمرت به جارية كأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها جارية وكأنها قضيب فضة ، فتحركت نفسه وخاف أن تحذله قوته ثم طمع في القوة لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله : لو عجز كيف يكون حاله ؟ فلما فكر

فتر ، فأقبل كالمخاطب لنفسه فقال : إنك لتجلسيني هذا المجلس وتحمليني على هذا المركب ثم تحذليني هذا الخذلان وتغشيبي مثل هذا الذل ! ولولا حيرة الخجل لاستعمل ما يقتل ، وذلك أنه حين رأى ان أبلغ الخجل في توهيمها أن العجز لم يكن من قبله أن يقول لها : تعرضين لي وأنت تفلت ثم لا تروجين بأدبك ولا تستهدفين لسيدك ولا تعينين على نفسك حتى كأنك عند عبد يشبهك أو سوقة لا يقدر إلا على مثلك ، أما لو كنت من بنات ملوك العجم لالفاك سيدك على أجود صنعة وعلى أحسن طاعة ، إذ كل رجل ينسبط للتمتع مع التفل .

فصل منه : ولم أسمع ولم أقرأ في الأحاديث المولدة في شأن العشاق وما صنع العشاق في القلوب والأكباد والأحشاء والزفرات والحنين وفي التدليه والتوليه ، ومتى تسعد الدمعة ومتى يعترى العين الجمود .

[١٢ - فضل الرجل على المرأة]

فصل منه : ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة ، وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات ، وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات ، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم .

[١٣ - الاماء احب من الحرائر]

فصل من احتجاجه للإماء : قال بعض من احتج لليلة التي من أجلها صار أكثر الإماء أحظى عند الرجال من أكثر المهيبرات أن الرجل قبل أن يملك الأمة قد تأمل كل شيء منها وعرفه ما خلا حظوة الخلوة ، فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة ، والحررة إنما يستشار في جمالها النساء ، والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهم قليلا ولا كثيرا ، والرجال بالنساء أبصر ، وإنما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة ، وأما الخصائص التي تقع بموافقة الرجال فإنها لا تعرف ذلك ، وقد تحسن المرأة أن تقول كأن أنفها السيف وكأن عينا غزال وكان

عنقها ابريق فضة وكان ساقها جمارة وكان شعرها العناقيد وكان أطرافها المداري ،
وما أشبه ذلك . وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض .

[١٤ - صفات المرأة الجميلة]

فصل منه : وقد علم الشاعر وعرف الواصف أن الجارية الفاتحة الحسن
أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شيء تشبه به ، ولكنهم إذا
أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ، ويقول بعضهم : كأنها الشمس وكأنها
القمر والشمس وإن كانت هببة فلأنها هي شيء واحد ، وفي وجه الجارية الحسناء
وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب ، ومن يشك أن عين المرأة
الحسنة أحسن من عين البقرة، وأن جيدها أحسن من جيد الظبية ، والأمر فيها بينهما
متفاوت ، ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم .

فصل منه : ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة
هذا الأمر يقدمون المجدولة . والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينة
والممشوقة ، ولا بد من جودة القدم وحسن الخطر واعتدال المنكبين واستواء الظهر ،
ولا بد من أن تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيصة ، وإنما يريدون بقولهم
مجدولة : جودة العصب وقلة الاسترخاء وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول .
ولذلك قالوا : خصانة وسيفانة وكأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها قضيب
خيزران . والثني في مشيها أحسن ما فيها ، ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة
وذاات الفضول والزوائد ، على أن النحافة في المجدولة أعم ، وهي بهذا المعنى
أعرف ، وهي بهذا المعنى تحب على السمان الضخام وعلى المشقوقات والقضاف ،
كما تحب هذه الأصناف على المجدولات . وقد وصفوا المجدولة بالكلام المنشور
فقالوا : اعلاها قضيب وأسفلها كتيب .

[١٥ - عيوب الكتاب]

فصل منه : كنا نحب أن يخرج هذا الكتاب تاماً ويكون للاشكال الداخلة فيه

جامعا ، وهو القول فيها للذكور والإناث في هامة أصناف الحيوان وما أمكن من ذلك حتى يحصل ما لكل جنس من الخصال المحسوسة والملموسة ، ثم يجمع بين المحاسن منها والمساويء حتى يستبين لقاريء الكتاب نقصان المقبول من رجحان الفاضل بما جاء في ذلك من الكتاب الناطق والخبر الصادق والشاهد العدل والمثل السائر ، حتى يكون الكتاب هريبا أعرابيا وسنياً جامعياً ، وحتى يجتنب فيه العويص والطرق المتوعرة والألفاظ المستنكرة وتلزيق المتكلفين وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين وحتى ينظر من لا يعلم مقادير ما استخزنها الله من المنافع وخشاها من البراهين وألزمها من الدلالة عليه وأنطقها به من الحججة له فممنع من ذلك فرط الكبرية وإفراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة ، فلما وافق هذا الكتاب منا هذه الحال وألقى قلوبنا على هذه الأشغال ، اجتنبنا أن نقصد من جميع ذلك الى فرق ما بين الرجل والمرأة ، فلما اهتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على أبواب يكثر حدها وتبعد غايتها ، فرأينا والله الموفق ان نقتصر منه على ما لا يبلغ بالمستمع الى السامة وبالمألوف الى مجاوزة القدر . وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ المجهود ، وللصبر غاية وللإحتمال نهاية ، ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحاً ببعض الهزل . على أن الكتاب إذا كثر هزله سخط كما أنه إذا كثر جدده ثقل ، ولا بد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط القاريء وينفي النعاس عن المستمع . فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا فليعلم أن قصدنا في ذلك إنما كان على جهة الاستدعاء لقلبه والاستمالة لسمعه وبصره . والله تعالى نسأل التوفيق .

- (١) موضوع الكتاب هو الحب ودرجاته وانواعه ولا سيما حب النساء . وقد تقيد الجاحظ بهذا الموضوع فتكلم على حب النساء القوي المسمى عشقاً كما تكلم على حب الاقرباء ، وحب الزوجة والولد، وحب السلطان، من الرحمة، ويبدو مشوجساً من النقد الذي يتظره بسبب معالجته العشق فيبادر الى القول ان مثل هذا النقد لن يصدر الا عن حاسد باغ وقائل متكلف وسامع طاعن ومنافس مقصر . ويحدد العشق محمداً موجزاً بقوله إنه اسم لما فضل عن المقدر الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقاً . وقد حدد الجاحظ العشق في كتاب القيان بصورة أوسع وأدق .
- (٢) المرأة اهم موضوعات الحب لأنها توفر للرجل اكبر قسط من اللذة . فلذة الظهر بالمدى مثلاً ليست باحسن من لذة الظهر بالمحسوب . وحب الآباء للاولاد او الوالدين لا يميم الرجل كحب المرأة الخ . . . وما بلغت الانتباه ذكر الجاحظ لاساليب التجميل التي عرفتھا المرأة في عصره وهي : العطر والصبغ والحضاب والكحل والتضاربفص والتحذيف والحلق وتجهيد الثياب وتنظيفها . . ثم ذكر الوسائل المستعملة للمحافظة على المرأة وخدمتها : الحيطان الربيعية والابواب الوثيفة والستور الكثيفة والحضبان ، والظفورة والحشوة والحواضن .
- (٣) المرأة والغناء ما تناول الشعر الغزلي ، والرجال دخلاء هل النساء في الغناء يعني أن المرأة اقدر على الغناء من الرجل واكثر موافقة له .
- (٤) من الامور التي تكون فيها المرأة ارفع من الرجل انها تخطب وتراد وتعشق وتطلب وتفسدى ومحسى . يعني ان الرجل هو الذي يخطبها ويطلب يدها ويقديها ويحميها .
- (٥) من انواع الحب حب الرحمة للامام او السلطان . والجاحظ لا ينسى الاسباب الاخرى التي تحمل الرحمة على طاعة السلطان وهي الرهبة والرغبة والرهبة والديانة . ولكنه يفضل عليها المحبة . وهي نظرة صحيحة تستحق الانتباه والتنويه .
- (٦) من انواع الحب : الحب المتبادل بين الرجل الزوج وزوجته . وهذا الحب هو الذي يحمل

الرجل على عدم الاقدام على طلاق زوجته او التخلي عنها .

(٧) من الوان الحب حب الولد : فمن اكبر النعم على الرجل ان يرزق ولدأ يقضي دينه ويحيي ذكوره ويقوم بعده في كل ما خلفه مقام نفسه . وهو حب قوي يستولي على النفس .

(٨) ويذكر الجاحظ لونا آخر من الحب هو الذي يقوم بين الاقرباء . وهو حب اصيل وطيد ، وعليه يبنى النظام القبلي . إن رأي الجاحظ هذا هام جداً من الوجهتين الاجتماعية والسياسية .

(٩) الكلام على الرئيس يبدو خارجاً عن الموضوع ، ولكنه قد يكون استطراداً للكلام على حب الاقرباء . إن السبب الذي يجر القبائل الى النزاع والاحقاد هو اختلاف ساداتها وتعدد هم ومن ثم مست الحاجة الى رئيس واحد يجمع الشمل ويكفي الرعية ويحميها من عدوها ويمنع قوتهم عن ضميرهم . وضرورة وجود الرئيس سنة طبيعية فصلاح عامة البهائم ان يكون لها فحل يوردها الماء ويصدرها وتتبعه الى الكلا كالعير في العانة والفحل في الابل والنحل والكراكي الخ . . وينبغي الملاحظة كيف يرجع الجاحظ كل شيء الى المبدأ الطبيعي الذي انطلق منه في جميع آرائه الفلسفية . وقد عالج الجاحظ مسألة الامام او الرئيس والضرورة الطبيعية لاقامته في كتاب استحقاق الامامة .

(١٠) ليست المرأة ارفع من الرجل ولا الرجل ارفع من المرأة ، ابها متساويان . هذه خلاصة رأي الجاحظ . وكل من يزرى على المرأة او يخنقها او يبخسها حقها يرتكب خطأ فادحاً .

(١١) عودة الى العشق ودوافعه . اثنان يكون عشقهما ضعيفاً هما الفقير والمملك لانها يكونان مشغولين عن المرأة الأولى بالركض وراء الرزق ، والاخر بشؤون الحكم . واذا تمكّن العشق من قلب احدهم فلن يزول ابداً . وكان ينبغي ان يوضع هذا الفصل بعد الفصل الأول لأنه تنمة له . وهذا ما يدفعنا الى القول ان أقسام الكتاب . تقدم لها واخر هل خلاف الأصل .

(١٢) يشير الجاحظ الى كلام له على تفضيل الرجل على المرأة ، ولكن هذا الكلام غير مثبت في هذا الكتاب ويبدو انه سقط .

(١٣) يعود الجاحظ الى موضوع جمال المرأة الذي طرقه في رسالة القيان . أن هذا الجمال يصعب تحديده لما ينطوي عليه خلفها من الحس الغريب والتركيب المعجيب . والرجال ادري بجمال المرأة من النساء .

(١٤) يقدم الجاحظ مثالا للمرأة الجميلة التي يدعوها المجدولة . والمجدولة هي المرأة المعتدلة الجسم والتي ليست سمينة ولا محشوفة مع اعتدال المنكبين واستواء الظهر الخ . . . وهذا

تطبيقاً لتحديد العام الذي اعطاه للجمال بانه التمام والاعتدال .
(١٥) في الختام يذكر الجاحظ حسنات الكتاب ومساوئه . ويمتدح من المساويء او التخصير
بالمرض الذي يعان منه ، وضعف قواه في سن الشيخوخة . وهذا دليل على انه الف الكتاب في
الشيخوخة .



مركز بحوث كميبيوتر علوم إسدري



بالله نستعين وعليه نتوكل وما توفيقنا إلا بالله .

[١ - رأي بشر بن المعتمر : المعرفة إرادية]

اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها تبايناً مفرطاً ، فزعم قوم أن المعارف كلها فعل الفاعلين ، إلا معرفة لم يتقدمها سبب منهم ولم توجبها علة من أفعالهم ، ولم يرجعوا إلى معرفة الله ورسوله والعلم بشرائعه ولا إلى كل ما فيه الاختلاف والمنازعة وما لا تعرف حقائقه إلا بالتفكر والمناظرة دون درك الحواس الخمس ، فزعموا أن ذلك أجمع فعلهم على الأسباب الموجبة والعلل المتقدمة ، وجعلوا مع ذلك سبيل المعرفة بصدق الأخبار كالعلم بالأمصار النائية والأيام الماضية كبدر وأحد والخنق وغير ذلك من الوقائع والأيام ، وكالعلم بفرغانة والأندلس والصين والحبشة ، وغير ذلك من القرى والأمصار ، سبيل الاكتساب والاختيار ، إذ كانوا هم الذين نظروا حتى عرفوا فصل ما بين المجيء الذي لا يكذب [فيه] مثله والمجيء الذي يمكن الكذب في مثله ، فزعموا أن جميع المعارف سبيلها سبيل واحد ووجوه دلائلها وعللها متساوية ، إلا ما وجدت الحواس بفتة وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة ، فكان هو القاهر للحاسة والمستولي على القوة ، من غير أن يكون من البصر فتح ومن السمع إصغاء ومن الأنف شم ومن الفم ذوق ومن البشرة مس ، فإن ذلك الوجود فعل الله دون الإنسان على ما طبع عليه البشر وركب عليه

الخلق .

[٢ - جميع العلوم من فعل الانسان وكسبه]

قالوا : فإذا كان درك الحواس الخمس ، إذا تقدمته الأسباب وأوجبته العلة ، فعل المتقدم فيه والموجب له ، ودرك الحواس أصل المعرفة وهو المستشهد على الغالب والدليل على الخفي ، وبعد صحته تصح المعارف وبعد فساده تفسد ، فالذي تستخرجه الأذهان منه وتستشهد عليه كعلم التوحيد والتعميد والتجوير وغامض التأويل وكل ما أظهرته العقول بالبحث وأدركته النفوس بالفكر من كل علم وصناعة ، كالحساب والهندسة والصباغة والفلاحة ، أجدر أن يكون فعله والمنسوب الى كسبه .

[٣ - المعرفة الحسية من فعل الانسان وإرادته]

قالوا : فالدليل على [أن] درك الحواس فعل الإنسان على ما وصفنا واشتراط [نا] من إيجاب الأسباب وتقدم العلة أن الفاتح بصره لو لم يفتح لم

يدرك ، فلما كان البصر قد يوجد مع عدم الإدراك ولا بعدم الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك دليلاً على أن الإدراك إنما كان لعللة الفتح ولم يكن لعللة البصر ، لأنه لو كان لعللة صحة البصر كانت الصحة لا توجد أبداً إلا والإدراك موجود ، فإذا كانت الصحة قد توجد مع عدم الإدراك ولا بعدم الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك شاهداً على أنه إنما كان لعللة الفتح دون صحة البصر .

وقالوا : ولأن طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتى جعلها الفاتح بالفتح

حاملة ، ولأن الفتح علة الإدراك ومقدمة بين يديه وتوطئة له ، وليس الإدراك علة للفتح ولا مقدمة بين يديه ولا توطئة له ، فواجب أن يكون فعل الفاتح لأن السبب إذا كان موجباً فالمسبب تبع له .

[٤ - معرفة الله من فعل الانسان وليست اضطرارية]

... ثم قالوا بعد الفراغ من درك الحواس في معرفة الله ورسله وكل ما فيه الاختلاف والتنازع : إن ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون يحدث من الإنسان لعله النظر المتقدم ، أو يكون يحدث على الابتداء لا عن علة موجبة وسبب متقدم ، فإن كانوا أحدثوه على الابتداء فلا فعل أولى بالاختيار ولا أهدى من الاضطرار منه ، وإن كان إنما كان لعله النظر المتقدم كما قد دللنا في صدر الكلام على أن درك الحواس لفعل الإنسان إذا تقدم منه سببه ، فالعلم بالله وكتبه ورسله أجدر أن يكون فعله ، إذ كان من أجل نظره علم ومن جهة بحثه أدرك ، فهذا جمل دلائل هؤلاء القوم ورئيسهم بشر بن المعتز .

ثم هم بعد ذلك مختلفون في درك الحواس إلا ما اعتمد إدراكه بعينه وقصد إليه بالفتح والارادة ، لأن الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة ما كان فعل الفاتح ، فكيف يجوز أن يكون الإدراك فعله من غير قصد ؟ ولو جاز أن يكون الفتح فعل الإنسان من غير أن يكون أراده وقصد إليه ، ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق ، لأنه كان لا يجوز أن يكون ذهب الحجر إذا لم يدفعه ولم يقصد إليه ولم يخطر له على بال ، فعله ، فكذلك الإدراك إذا لم يخطر على باله ولم يقصد إليه ولم يتعمده ، لا يكون فعله .

[...] وليس على المخبر عن خصمه والواصف مذهب غيره أن يجعل باطلهم حقاً وفاسدهم صحيحاً ، ولكن عليه أن يقول بقدر ما تحتمله النحلة وتتسع له المقالة ، وعليه أن لا يحكي عن خصمه ويخبر عن مخالفه إلا وأدل منازله أن لا يعجز عما بلغوه ولا يعيا عما أدركوه .

[٥ - رأي النظام]

[...] وقد زعم آخرون أن المعارف ثمانية أجناس ، واحد منها اختيارٌ وسبعة منها اضطرار ، فخمسة منها درك الحواس الخمس ، ثم المعرفة بصدق الاخبار كالعلم بالقري والأمصار والسير والأثار ، ثم معرفة الإنسان اذا خاطبه صاحبه أنه موجه بكلامه إليه وقاصد به نحوه ، وأما الاختيار فكالعلم بالله ورسله وتأويل كتابه والمستنبط من علم الفتيا وأحكامه وكل ما كان فيه الاختلاف والمنازعة وكان سبيل علمه بالنظر والفكرة . ورئيس هؤلاء أبو اسحق .

[٦ - رأي معمر]

وزعم معمر أن العلم عشرة أجناس ، خمسة منها درك الحواس ، والعلم السادس كالسير الماضية والبلدان النائية ، والسابع علمك بقصد المخاطب إليك وإرادته إليك عند المحاوراة والمنازعة ، وقبل ذلك وجود الإنسان لنفسه ، وكان يجعله أول العلوم ويقدمه على درك الحواس وكان يقول : « ينبغي أن يقدم وجود الانسان لنفسه على وجوده لغيره » وكان يجعله علماً خارجاً من درك الحواس لأن الإنسان لو كان أعمى لأحس نفسه ولم يحس [صورته] ولو كان أصم لأحس نفسه ولم يحس صوته ولو كان أخشم لأحس نفسه ولم يحس رائحته ، وكذلك سبيل المذاقات والملامس ، فلما كان المعنى كذلك وجب أن يفرد من درك الحواس ويجعل علماً ثامناً

على حاله وقائماً بنفسه ، ثم جعل العلم التاسع علم الانسان بأنه لا يخلو من أن يكون قديماً أو حديثاً ، وجعل العلم العاشر علمه بأنه محدث وليس بقديم .

[٧ - فساد هذه الآراء]

[...] ولست ألو بهذا الكلام والإيجاز في الإدخال على بشر بن المعتمر في درك الخواس ثم على أبي إسحاق في ذلك وفي غيره مما ذكرت من مذاهبه وتركه قياس ما بنى عليه إن شاء الله لتصير إلى الكلام في المعرفة فإني إليه أجريت وإياه اعتضدت ، ولكنني أحببت أن أبدي فساد أصولهم قبل فروجهم ، فإن ذلك أقبل للداء وأبلغ في الشفاء وأحسم للعرق وأقطع للمادة وأخف في الموزنة على من قرأ الكتاب وتدبر المسألة والجواب ، وبالله ذي المن والظول نستعين .

[٨ - الرد على النظام]

مركز تحقيقات كويتيون سعوديون

فصل منه : يقال لهم : حدثونا عن العلم بالله ورسله ، وتأويل كتبه وعن علم القدر وعلم المشيئة والأسماء والأحكام ، أباكتساب هو أم باضطرار ؟

فإن زعموا أنه باكتساب ، قيل لهم : أوليس اعتقاد خلاف ذلك أجمع باكتساب ؟

فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب ، [أ] فليس كل واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب ؟

فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : أوليس كل واحد منهما ساكن القلب إلى مذهبه واختياره

فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : فما يؤمن المحق من الخطأ وليس سكون

القلب وثقته علامة للحق لأن ذلك لو كان علامة لكان المبطل محقاً إذ كان فيه قد يجهد من السكون والثقة ما لا يجهد المحق ؟ قلنا : وما معنى خلافه إلا أن يكون المبطل شاكاً أو يكون عارفاً بتقصيره أو يكون مكثراً لوهم بجده ؟ فإذا لم يكن كذلك فلا فرق بين المعقودين .

فإن قالوا : إن فرق ما بينهما أن سكون قلب المحق حق في عينه وسكون قلب المبطل باطل في عينه ، قلنا : أوليس ذلك غير محول لسكون المبطل عن الثقة الى الاضطراب ولا مغيره الى الاكتراث ؟

فإن قالوا ذلك ، قيل لهم : فما يؤمن المحق أن يكون سكونه أيضاً باطلاً في عينه إذ كان سكونه لا ينفصل من سكون المبطل ، ولئن كان الفرق بينهما ظاهر الاجتهاد والعبارة ، فمن أظهر اجتهاداً من الرهبان في الصوامع والخوارج في بذل النفوس

فإن قالوا : الفرق بينهما أن المحق قد استشهد الضرورات والمبطل لم يستشهدها ، قلنا : فهل يجوز أن يكون عنده نفسه قد استشهد الضرورات أو لم يستشهدها ، حتى لو سأله سائل فقال : « ما يؤمنك من الخطأ ؟ » - لقال : « استشهادي الضرورات ؟

فإن زعموا أن المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات لأن ذلك هو علامة الحق والفيصل بينه وبين الباطل ، قلنا : وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قط أو نظر في شيء إلا وأول نظره إنما هو هل أصل الاضطراب ؟ لأن المفكر لا يبلغ من جهله أن يستشهد الخفي ، بل من شأن الناس أن يستدلوا بالظاهر على الباطن إذا أرادوا النظر والقياس ، ثم هم بعد ذلك يخطئون أو يصيبون ، قلنا : فينبغي أن يكون كل مبطل في الأرض قد علم حين يقال له : « ما يؤمنك أن تكون مبطلاً ؟ » أنه لم يستشهد الضرورات وأنكر أصله الذي قاس عليه واستنبط منه ضرورة ، وأنه إنما قال بالعسف أو

بالتقليد ، وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنهم على خطأ أو يكونوا شكاكاً أو يكونوا عند أنفسهم مستشهادين للضرورات وإن كانوا قد تركوا ذلك عند بعض المقدمات ، فإن كانوا قد علموا أنهم لم يستشهدوا للضرورات وإن كانوا شكاكاً فيها فليس على ظهر الأرض مغطىء إلا وهو عالم بموضع خطئه أو شك فيه ، أو كانوا عند أنفسهم مستشهادين للضرورات ، فما يؤمنكم أن تكونوا كذلك ؟

فإن قالوا : « ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا ، قلنا : أو لستم - معشر أبي إسحق النظام - تختلفون في أمور كثيرة وقد كنتم يؤمنكم أن تكونوا على باطل ؟ » ، أن تقولوا : « استشهادنا للضرورات » ، على باطل ؟ - قال : « لآي مستشهد للضرورات » ، فهل يخلو أمركم من أحد وجهين : إما أن تكونوا صادقين على أنفسكم أو كاذبين عليها ، فإن كنتم صادقين فقد صار قلب المحق كقلب المبطل إذ كان كل واحد [منهما] عند نفسه مستشهداً للضرورات ، وإن كنتم كاذبين فهل منكم حق إلا وهو يلقى الخصم بمثل دعواه في استشهاد الضرورات ؟ وهل منكم واحد على حباله محقاً [كان] أو مبطلاً إلا وجوابه لنا مثل جواب صاحبه ؟ فإذا كانت القلوب قد تكون عند أنفسنا مستشهادة للضرورات وهي غير مستشهادة لها وكون القلب كذلك هو علامة الحق . فما الفرق بين قلب المحق والمبطل ؟ ومع ذلك إننا وجدنا صاحبكم قبلكم ووجدناكم بعده قد رجعتن عن أقاويل كثيرة بعد أن كان جوابكم لمن سألكم : « ما يؤمنكم أن تكونوا على باطل ؟ » أن تقولوا : « استشهادنا للضرورات » ، ونحن لو سألناكم عما رجعتن عنه ، فقلنا لكم : « لعلكم على خطأ ولعلكم من هذه الأقاويل على غير » لم يعد جوابكم استشهاد الضرورات .



[٩ - الحرية] والاستطاعة

[...] ثم إنى واصف قولي في المعرفة ومجيب خصمي في معنى الاستطاعة وفي

أي أوجهها يحسن التكليف وتثبت الحججة ومع أيها يسمع التكليف وتسقط الحججة .

فاول ما أقول في ذلك أن الله - جل ذكره - لا يكلف أحداً فعل شيء ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر زائل الحججة ولن يكون العبد كذلك إلا وهو صحيح البنية معتدل المزاج وافر الأسباب مخلى السرب عالم بكيفية الفعل حاضر النوازع ومعدل الخواطر عارف بما عليه وله ، ولن يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال المعدودة والحالات المعروفة التي عليها مجاري الأفعال ومن أجلها يكون الاختيار ولها يحسن التكليف ويجب الفرض ويجوز العقاب ويحسن الثواب ، ولو كان الإنسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً لكان من لا سلم له للصعود مستطيعاً ، ولن يكون أيضاً مع ذلك كله للفعل مختاراً وله في الحقيقة دون المجاز مستطيعاً إلا وجميع أوامره في وزن جميع زواجره ، حتى إذا قابلت بين مرجوئها وخوفئها ، وبين تقديم اللذة وخوف الأخرى وبين تعجيل المكروه وتأجيل العاقبة وجدئها في الجذب والدفع وفي القبض والبسط سواء ، ولا يكون أيضاً كذلك إلا وبفاؤه في الحال الثانية معلوم لأن الفعل حارس والطباع محروسة والنفس عليها موقوفة ، فإن كان الحارس أقوى من طباعها كان ميل النفس معه طباعاً ، لأن من شأن النفس الميل إلى أقوى الحارسين وأمتن السيين ، ومتى كانت القوتان متكافئتين كان الفعل اختياراً ومن حد الغلبة خارجاً ، وإن كانت الغلبة تختلف في اللين والشدة وبعضها أخفى وبعضها أظهر - كفسار الإنسان من وهج السموم إذا لم يحضره دواهي الصبر وأسباب المكث وهو من لب الحريق أشد نفرة وأبعد وثبة وأسرع حركة ، ومتى قويت الطبيعة على العقل أوهنته وغيرته ، ومتى توهم وتغير تغيرت المعاني في وهمه وتمثلت له على غير حقيقتها ، ومتى كان كذلك كان عن إدراك ما عليه في العاقبة [أبعد] وزينت له الشهوات ركوب ما في العاجلة ، ومتى أيضاً فضلت قوى عقله على قوى طباعه أوهنت طباعه ، ومتى كانت كذلك آثر الحزم والأجلة على

اللذة العاجلة طبعاً لا يمتنع منه وواجباً لا يستطيع غيره ، وإنما تكون النفس مختارة في الحقيقة ومجانبة لفعل الطبيعة إذا كانت أخلطها معتدلة وأسبابها متساوية وهللها متكافئة ، فإذا عدل الله تركيبه وسوى أسبابه وعرفه ما عليه وله ، كان الإنسان للفعل مستطيعاً في الحقيقة وكان التكليف لازماً له بالحجة .

ولولا أنك محتاج الى التعريف بأن الأمور المنهي لا بد له من التسوية والتعديل لما قال الله تعالى ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، ولو جاز أن يعلم موضع غيرها ورشدها من غير أن يسويها ويبيئها لكان ذكر التسوية فضلاً من القول ، والله يتعالى عن هذا وشبيهه علواً كبيراً .

[١٠ - معرفة الله تتم بواسطة الرسل]

[. . .] فصل في جواب من يسأل عن المعرفة بأضطرار هي أم باكتساب :

قلنا : إن الناس لم يعرفوا الله إلا من قبل الرسل ولم يعرفوه من قبل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان ، على أنا لا نشك أن رجالاً من الموحدين قد عرفوا وجوهاً من الدلالة على الله بعد أن عرفوه من الرسل ، فتكلفوا من ذلك ما لم يجب عليهم وأصابوا من غامض العلم ما لا يقدر عليه عوامهم ، ومن غير أن يكونوا تكلفوا ذلك لشك وجدوه أو حيرة خالفوها ، لأن أهلام الرسل مقنعة ودلائلها واضحة وشواهدا متجلية وسلطانها قاهر وبرهانها ظاهر .

[١١ - العلم بصدق الرسل اضطراري]

فإن قالوا : أبأكتساب علموا بصدق الرسل أم بإضطرار ؟ قلنا : بإضطرار .

فإن قالوا : فخيرونا على من هابن النبي ﷺ وحجته والنتهي وحيلته كيف

يعلم صدق النبي من كذب المتنبي وهو لم ينظر ولم يفكر ؟ فان قلت انه نظر وفكر فقد رجعت الى الاكتساب ، وان قلت انه لم ينظر ولم يفكر ، فلم عرف الفصل بينهما دون أن يجهله ، وكيف علم ذلك وهو لا يعرف الحجة من الحيلة ؟ وما يؤمنه ان يكون مبطلاً إذ كان لم ينظر في أمور الدنيا ولم يختبر معانيها حتى يعرف الممتنع من الممكن وما لا يزال يكون بالاتفاق مما لا يمكن ذلك فيه ، وكيف ولم يعرف العادة ومجرى الطبيعة ، وإلى أين تبلغ الحيلة وأين تعجز الحيلولة ، وعند أي ضرب تسقطان وعلى أي ضرب تقومان ، ولم عرف صدق النبي حين عاين شاهده وأبصر أعاجيبه من غير امتحان وتعقب لمعانيها دون أن يعقد صدق المتنبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخدعه وحيلته ؟ بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكره فيها وتقليب لأمرها ، والدنيا بأسرها دلالة عما عرف صدق النبي حين أبصر دلالتها من غير تفكير فيها وتقليب لأمرها ، وقد علمنا أن الدنيا دالة كما أن شواهد النبي دالة ، ومتى كان ظاهر أحدهما يغني عن التفكير كان الآخر مثله ، إذ لم يكن في القياس بينهما فرق ولا في المقبول فصل ؟ قلنا : إن تجارب البالغ قبل أن يهجم على دلالات الرسل تأتي على جميع ذلك ، ولعمري لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري [الأمور] وتصريف الدهور وعلقات الدنيا والتجربة لتصريف أمورها ، لما وصل الى معرفة صدق النبي إلا بعد مقدمات كثيرة وترتيبات منزلة لأن مشاهد الشواهد إنما يضطره المشاهدة لها إذا كان قد جرب الدنيا وعرف تصرفها وعادتها قبل ذلك ، ولو لم يكن جربها قبل ذلك حتى عرف منتهى قوة بطش الإنسان وحيلته وعرف الممكن من الممتنع وما يمكن كونه بالاتفاق مما لا يمكن ، لما عرف ذلك .

[١٢ - تجارب الطفل غير قصدية]

فإن قالوا : وكيف جرب ذلك وعقله وأتقنه وحفظه ، وهو طفل خريبر وحدث صغير ، لأن غير البالغ طفل إلى أن يبلغ وحين بلغ فقد هجم على النبي

وشواهدة أو هجم عليه النبي بشواهدة إما بخبر مفتح أو بعيان شاف ، ففي آية
الحالين جرب وعرف وميز وحفظ : أقسى حال الطفولة والغرارة - وهذا غير معروف
في التجربة والعادة ، والذي عليه ركبت الطبيعة - أم في حال البلوغ والتمام - وحال
البلوغ هي الحال التي [فيها] أبلغه الله الرسالة وقاده الى رؤية الحجة واستماع
البرهان ومخرج الرسالة ؟ فإن كان الأمر كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل
إلى العلم بصدق النبي وقد أراه برهانه وأسمعه حجته ، حتى تمكث بعد
ذلك دهوراً يمتحن الدنيا ويتعقب أمورها ويعمل التجربة فيها ، فإن كان ذلك
كذلك فلم سميتوه بالفأ وليس في طاقته بعد العلم بفصل ما بين النبي
والمتنبي ؟ - قلنا : إن التجربة على ضربين : أحدهما [أن] يقصد الرجل إلى
امتحان شيء ليعرف خبره كما عرف منظره ، والأخر أن يهجم على علم ذلك من
غير قصد ، وقد يسمى الانسان مجرباً قاصداً أو هاجماً ، فيزعم أن البالغ مذ
سقط من بطن أمه الى أن يبلغ مقلب في الأمور المختلفة ومصرف في خلال
الحالات المعروفة التي تلقىه الدنيا بما تورد عليه من عجائبها ، ويزداد في كل
ساعة معرفة وتفسيده الأيام في كل يوم تجربة ، كما يزداد لسانه قوة وعظمه صلابة
ولحمه شدة ، من أم تناغيه وظئر تلهيه وطفل يلاعبه وطبيب يعالجه ونفس تدعوه
وطبيعة تعينه وشهوة تبعثه ووجع يقلقه ، كما يزيد الزمان في قوته ويشد من عظمه
ولحمه ويزيده الغذاء عظماً وكثرة الغضب والتقلب جلدأ ، فإذا درج وحبا وضحك
وبكى وأمكته أن يكسر إناء أو يكبته أو يسود ثوباً أو يضرب صبيأ [فضرب] دبره
الحادم وانتهره القيم ، فلا يزال ذلك دأبه ودأبهم حتى يفهم الإغراء والزجر
والتعديبة والانتهار ، كما يعرف الكلب اسمه إذا ألح عليه الكلام به وكما يعرف
المجنون لقبه وكما يحضر الفرس من وقع السوط لكثرة وقعه بعد رفعه عليه .

[١٣ - البالغ يعرف النبوة ضرورة لأنه استحكمت عنده العلم بأسس التمييز

بين الرسول الصادق والمتنبي الكاذب]

[. . .] فإذا استحكمت هذه الأمور في قلبه وثبتت في عقله وصحت في معرفته فهو حيث يشاء بالغ محتمل وعند ذلك يستخر الله سمعه للخبر المثلج أو بصره لمعاينة الشاهد المقنع على يدي الرسول الصادق ، ولا يتركه هماً ولا يذعه مفلاً ، وقد عدل طبعه وأحكم صنعه ووفر أسبابه ، فلا يحتاج عند معاينته رسولاً يجي الموق ويبرىء الأكمه والأبرص ويفلق البحر ، إلى تفكير ولا تمثيل ولا امتحان ولا تجربة ، لأنه قد فرغ من ذلك أجمع ، واستحكم عنده العلم الذي أدب به وهىء له وأورد عليه ، فإن كان لم يكن لذلك عامداً ولا إليه قاصداً ولا به معنياً ، وإنما هو عبد عباه سيده ورشحه مولاه وهىءه مخالفه لأمر لا يشعر به من مصلحته ولا يخطر على باله من الصنع له حين هذا به وقاده إليه وهىءه له ، فإذا وردت عليه دعوى رسوله ، وأتمته تشهد له بإحياء الموق وخلق البحر وبكل شيء قد عرف عجز البشر عن فعله والقوة عليه ، علم بتجاربه المتقدمة لعادة الدنيا أن ذلك [ليس] من صنع البشر وأن مثله لا يقع اتفاقاً وأن الحيل لا تبلغه ، فلا يمتنع من رؤية البرهان وفهم الدعوى أن يعلم أن الرسول صادق وأن الراد عليه كاذب .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

[. . .] ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بد لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له ، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضاباً ، ولكن بمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايقي فيه إلا تنزيله وترتيبه ، وكل كلام أتيت على فرعه ولم تخبر عن أصله فهو خداج لا غناء عنده وواهن لا ثبات له .

هامش المسائل والجوابات في المعرفة

- (١) يبدو ان الديباجة القصيرة « بالله نستعين وعليه نتوكل وما توليقنا الا بالله » ليست للجاحظ ، وهي من صنع الناسخ على الأرجح . والدليل على ذلك اختلافها الشديد عن أسلوب الجاحظ وتعبيره .
- والفقرة الاولى يعرض فيها رأي بشر بن المعتز وأتباعه في المعرفة . وبشر بن المعتز احد شيوخ المعتزلة (٢٢٦ هـ) من الطبقة السادسة ، كان شاعراً ومتكلماً شديداً للنقد للمحشوية والشيعية . وخلاصة رأيه ان المعرفة في معظمها اكتساب من فعل الانسان سواء كان مصدرها الحواس أو الاخبار أو معرفة الله ورسوله . الوجوه الإدراك الحسي
- (٢) يذهب بشر بن المعتز أيضاً الى أن جميع العلوم الفلسفية والكلامية كالنوحيد والتعديل والتجويز والتأويل ، والعقلية كالحساب والهندسة والصياغة والفلاحة مكتسبة ، والسبب في ذلك هو ان اصلها الإدراك الحسي .
- (٣) البرهان على ان المعرفة الحسية مكتسبة هو انها تتم بفعل ارادي . لفتح الجفن مثلاً حركة إرادية لولاء لم يحدث الابصار . وهذا رأي لا يقره الجاحظ ولا الحقيقة العلمية .
- (٤) ان معرفة الله مكتسبة ايضاً ينظر بشر بن المعتز والدليل على ذلك هو ان تلك المعرفة تتم بعد التفكير والنظر أو ابتداء ، فلذا كانت تتم بعد التفكير تكون مكتسبة ومن فعل الانسان اذ هي نتيجة ارادته وبحثه ، واذا كانت تتم ابتداء فهي أولى بالاختيار وابتداء من الاضطرار . يذكر الجاحظ مبداً ينبغي أن يعتمد المرء في موقفه من آراء الذين يخالفونه . يجب ان يحكي الرأي المخالف كما هو دون ان يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً .
- (٥) في هذه الفقرة يلخص مذهب استاذهم ابراهيم بن سيار النظام (١٦٠ - ٢٣١ هـ) في المعرفة . ومع احترامه اياه نراه يخالفه في كثير من آرائه كاهجاز القرآن والاجماع والامامة بينما يجعل سائر المعارف وهددها سبعة اضطرارية . اما الجاحظ فيجعلها كلها اضطرارية او طبعياً .
- (٦) يسرد الجاحظ أنواع المعارف عند شيخ ثالث من شيوخ المعتزلة هو المعتز بن عباد السلمي (٢٢٠ هـ) وهي عشرة اجناس خمسة منها راجعة الى الحواس الخمس ،

(٧) المشبهة ما زالوا كثيراً ، وهم يسمرون عقيدتهم وينافقون ولا ينبغي ان يثق بهم القاضي ليقف عن ملاحظتهم .

(٨) المشبهة تحولوا الى الكلام بمدحهم للدفاع عن عقيدتهم ، كما لجأوا الى الاقناع والجدل بدل البطلان والصولة عندما يتسوا من نصرة الحشوة العامة والولاية الفسفة .

(٩) يهمل الجاحظ الى غرضه من هذه المقدمة . فيعلن انه وضع كتاباً في الرد على المشبهة ويعني ذلك انه الف الكتاب قبل كتابة الرسالة والهدف من الكتاب الرد على أقوال المشبهة وتبيان مبالغتهم . وخرج المشبهة تعتمد على تحريف أي من القرآن ، أو تغيير بعض الروايات .

(١٠) يحاول الجاحظ أن يبرر صغر الكتاب . ان الكتاب جاء معتدل الطول لكي يخف على القاريء فلا يمل منه . و في سبيل تزيين حجته هذه يستشهد بأقوال عدد من المفكرين والائمة امثال علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وواصل بن عطاء وغيرهم .

(١١) يطلب الجاحظ من محمد بن ابي دؤاد قراءة الكتاب ثم نشره بين الناس ليتفهموا به ، وليزيد الكتاب شرفاً ورفعة .

(١٢) يذكر الجاحظ مبدأ هام من مبادئ المعتزلة ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتمثل بقوله : « حرام على كل متكلم عالم وفقه مطاع ، وخطيب مفوه ان كان عنده من الأمر شيء الا ان يأتيكم به ويدكركم بما عنده » لأن ذلك من عندكم انفق والناس اليه أسرع والقلوب اليه اسكن وهو في العيون أعظم .

(١٣) لم توجه الجاحظ الى محمد بن ابي دؤاد دون والده ؟ لأنه شاب طموح وقوي ولأنه أكثر فراهياً من والده . ولا ينبغي الاعتراض على ذلك بأنه حدث تنقصه التجربة . فان حدة ذهنه ووفرة ارادته تعوضه عن التجارب الكثيرة في الزمن الطويل . وتأييد رأيه هذا يعتمد كعادته الى سوق الامثال العديدة عن التاريخ العربي والشواهد الشعرية التي فضلت الشباب على الشيوخ .

(١٤) يذكر الجاحظ الرابطة التي تربط الجاحظ بالقاضي وهي الاعتزال ونفي التشبيه .

(١٥) يشير الجاحظ الى الزمن الذي كشفت فيه الرسالة وهو عهد الخليفة العباسي المعتصم ويشير عليه .

(١٦) معنى التوحيد : يشير الجاحظ الى اختلاف الناس في معنى التوحيد . ولكنه يفهم بالتوحيد نفي التجزئة عن الواحد أي الله ، وعدم تشبيهه بشيء ذي اجزاء . لم يشرح الجاحظ ما يعني بالتجزئة ، وربما كان يريد الوحدة المطلقة على نحو ما شرحها معاصره الفيلسوف الكندي في رسالته « الفلسفة الأولى » .

(١٧) لا يمكن أن نسمي موحداً من يقول ان الله يرى بالعين . وقوله يوجد ببعض الحواس يعني انه يدرك ببعض الحواس . ويشير الجاحظ هنا الى العلاقة بين الشيء والاسماء الدالة عليه . لقد يكون الشيء واحداً وتكون اللفاظ الدالة عليه كثيرة . والمهم هو المعنى او الشيء لا

الاسم .

(١٨) لا يمكن أن ندعو موحداً من يقول ان الله جسم . لأنه اذا قال أنه جسم كان حادثاً ومخلوقاً ومتحركاً وساكناً ، وحاجزاً وقسواً ، وبالياً وفانياً ، وزائداً وناقصاً . فهذه الصفات جميعاً هي قوام الجسمية ولوازمتها .

(١٩) يرفض الجاحظ تعليل المشبهة لقولهم بان الله جسم . لقد جمعوا الله جسماً ليخرجوه من باب العدم وليكون معقولاً لأنه في نظرهم لا معقول سوى الجسم ، ويسخر من قولهم انه جسم لفظ أي بلا شكل لأنه لا جسم بلا شكل طويل أو عريض أو مدور أو مثلث أو مربع الخ . . .

(٢٠) الجدل حول معنى الآية : ﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الا بصار ﴾ والآية ﴿ وجوه يومئذ ناظرة ، الى ربها ناظرة ﴾ المشبهة يقولون ان الاولى عامة والثانية خاصة والخاص ينسخ العام . وهذه الآية الاخيرة تفيد ان الله يرى بالعين .

(٢١) رد الجاحظ على تأويل هاتين الآيتين : ينفي فهم كلمة ناظرة بمعنى المنتظرة ثواب الله ، كما شرحها كبار المفسرين ، وانسجماً مع الآيات العديدة التي تنفي امكانية الرؤية بالعين ، وأخذاً بالمنطق العقلي الذي ينفي التشبيه عن الله ، أي ان الله لا يشبه بشيء .

(٢٢) ينفي اتخاذ القرآن قاصباً وحكماً في جسم الخلف في الشؤون الدينية . هذا المبدأ خطير جداً ، ولكنه ينطوي على مخاطر . وقد نوهي به عندما اشتد الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية في معركة صفين إذ ربح انصار معاوية المصاحف على الرماح وقالوا : لنحكم كتاب الله فيها بينما . فأجاب علي : كلمة حق أريد بها باطل . ان كتاب الله وحده لا يكفي للحكم فلا بد من العقل الذي يفهم معاني التنزيل ويحكم على ضوءها .

(٢٣) الجدل حول الآية ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ والآية ﴿ والله في السماوات والأرض ﴾ . . . المشبهة فهموا معها انه في مكان وكل ما هو في مكان محدود وكل محدود جسم .

(٢٤) رد الجاحظ على المشبهة في تفسير الآيتين السابقتين اصلاء : للكلام معنى حقيقي ومعنى مجازي . وينبغي هنا الأخذ بالمعنى المجازي لا الحقيقي . والمعنى المجازي لا يعني ان الله جسم او محصور في مكان .



[١ - موضوع الكتاب]

الحمد لله الذي هرفنا نفسه وعلمنا دينه وجعلنا من الدعاء إليه والمحتجين له ، فنحن نسأله تمام النعمة والعون على أداء شكره وأن يوفقنا للحق برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه والمرغوب إليه فيه ، وصلى الله على محمد وسلم .

ثم إننا قائلون في الأخبار ومخبرون عن الآثار ، ومفرقون بين أسباب الشبهة وأسباب الحجة ، ثم مفرقون بين الحجة التي تلزم الخاصة دون العامة ، ومخبرون عن الضرب الذي يكون الخاصة فيه حجة على العامة ، وعن الموضوع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ، ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ، ولم خفي وأصله قوي ، وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه ، وعن الحاجة إلى رواية الآثار وإلى سماع الأخبار ، وعن أخلاق الناس وآبائهم ومذاهب أسلافهم ، وعن سير الملوك قبلهم وما صنعت الأيام بهم ، وعن شرائع أنبيائهم وأعلام رسلهم ، وعن أدب حكمائهم وأقوال أئمتهم وفقهائهم ، وعن حالات من غاب عن أبصارهم في دهرهم ، ولم كان الإخبار على الناس أخف من الكتمان ، ولم كان الصمت أثقل عليهم من الكلام ، وما الضرب الذي يقدرون على كتمانهم وطيه والضرب الذي لا يقدرون إلا على إذاعته ونشره ، ولم اجتمعت الأمم على الصدق في أمور واختلفت في غيرها ، ولم حفظت أموراً ونسيت سواها ، ولم كان الصدق أكثر من الكذب ، ولم كان الصمت أثقل والقول أفضل . والمعجب

من ترك الفقهاء تمييز الآثار وترك المتكلمين القول في تصحيح الأخبار ، وبالأخبار يعرف الناس النبي من المتنبى والصادق من الكاذب ، وبها يعرفون الشريعة من السنة والفريضة من النافلة والمحظر من الإباحة والاجتماع من الفرقة والشلوذ من الاستفاضة والرد من المعارضة والنار من الجنة وعامة المفسدة والمصلحة . فإذا نزلت الأخبار منازلها وقسمتها ذكرت حجج الرسول ﷺ ودلائله وشرائعه وسننه ، ثم جنست الآثار على أقدارها ورتبتها في مراتبها وقربت ذلك واختصرت وأوضحت عنه وبينته ، حتى يستوى في معرفتها من قل سماعه وساء حفظه ، ومن كثر سماعه وجاد حفظه ، بالوجوه الجلية والأدلة الاضطرارية .

ولم أرد في هذا الكتاب جمع حجج الرسول عليه السلام وتفصيلها والقول فيها لنقص مسها أو لوهم كان في أصلها من ناقلها والمخبرين عنها ، أو لأن طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ونقض قواها ؛ ولكن لأمر سأذكرها وأحتج لها . وكيف تقصر الحججة عن بلوغ الغاية وتنقص عن التمام والله تعالى المتوكل بها ومسخر أصناف البرية لها ومهيج النفوس على إبلاغها ؛ وقد أخبر بذلك عن نفسه في محكم كتابه عن ذكره حيث قال : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وأدى منازل الإظهار إظهار الحججة على من ضاده وخالف عليه . وقال عز ذكره ﴿ يريدون ليطفنوا نور الله بألوانهم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ وأخبر أنه أمر الأحمر والأسود ، ولم يكن ليأمر الأفي كما يأمر الأذن ويأمر الغائب على الحاضر ، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً أو نذيراً ﴾ .

[٢ - معنى الحججة]

فأقول : إن كل منطبق معجوج ، والحججة حجتان : عيان ظاهر ، وخبر قاهر . فإذا تكلمنا في العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه ، ولا بد من التصديق في أصله والتعارف في فرعه ، فالعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ، وعمان كون الفرع مع عدم الأصل ،

وكون الاستدلال مع عدم الدليل . والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ، ولا بد لكل واحد منهما من صاحب ، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر . والعقل نوع واحد والدليل نوعان : أحدهما شاهد عيان يدل على غائب ، والآخر يجيء خبر يدل على صدق .

[٣ - أسباب الخفالى حجج النبوة]

ثم رجع الكلام الى الاخبار عن دلائل النبي ﷺ وأعلامه والاحتجاج لشواهد وبرهاناته فأقول : إن السلف الذين جمعوا القرآن في المصاحف بعد أن كان متفرقا في الصدور ، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقاً غير محظور ، والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان ، لو كانوا جمعوا علامات النبي ﷺ وبرهاناته ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه في مقامه وطمعنه وعند دعائه واحتجاجه في الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشك في خبرهم إلا الغبي الجاهل والعدو المائل ، لما استطاع اليوم أن يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهرى معاند ولا متطرف ما جن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مفرور ، ولكان مشهوراً في حوامنا كشهرته في خواصنا ، ولكن استبصار جميع أعياننا في حقهم كاستبصارهم في باطل نصاراهم ومجوسهم ، ولما وجد الملحد موضع طمع في غبي يستمليه وفي حدث يمويه له ، ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغيابنا وأهمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر وإظهار البارز والاحتجاج للواضح .

[٤ - ظهور الحجج صرف عن جمعها]

إلا أن الذي دعا سلفنا إلى ذلك الاتكال على ظهورها واستفاضة أمرها ، وإذا كان ذلك كذلك فلم يؤت من أتى من جهالنا وأحداثنا وسفهاننا وخلعائنا إلا من قبل ضعف العناية وقلة المبالاة ، ومن قبل الحداثة والغرارة أو من قبل أنهم حملوا على عقولهم من دقيق الكلام قبل العلم بجليله ما لم تبلغه قواهم وتوسع له صدورهم وتحمله أقدارهم ، فذهبوا عن الحق يميناً وشمالاً . لأن من لم يلزم الجادة تحبط ،

ومن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط ، ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل ما لا يقدر عليه تفلت منه ما كان يقدر عليه .

[٥ - صرف الله الأسلاف عن جمع الحجج ليمتحن الابناء]

فإذا كانوا كذلك فأنما أتوا من قبل أنفسهم ولم يؤثروا من سلفهم ، أو لأن الله تبارك وتعالى صرف أسلافنا بنسيان أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم في آخر الزمان ، وليعرضهم لطاعته بالذب عن دينه والاحتجاج لنبيه ﷺ ، وليجري هذا الخير على أيديهم كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم ، لئلا يبغض أحد خليقته من العلماء والفقهاء ، ولأن يجعل فضله مقسما بين جميع الأولياء ، وإن كان الأول أحق بالتقديم والآخر أحق بالتأخير للذي قدموا من الاحتمال وأعطوا من المجهود ، ولأنهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه ، والأصل أحق بالقوة من الفرع ، وهم السابقون ونحن التابعون ، وهم الذين وطأوا لنا وكلفونا ما لم نكن لنكلفه أنفسنا ، فتجرعوا دوننا المرار ومنحونا روح الكفاية ، ولأن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، ولأن القرآن نطق بفضيلتهم والله تعالى أعلم بمن بعدهم .

[٦ - الاهتمام بضبط القراءات دون جمع الحجج]

والذي جمع أسلافنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد دون أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، والذين رأوا من قول عبد الله في المعوذتين وقول أبي في سورتي العرب ومن تعلق الناس بالاختلاف فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروي الحرف الشاذ ويقرأ بالحرف الذي لا يعرفونه ، فرأوا أن تحصينه لا يتم إلا بحمل الناس على المقروه عندهم المشهور فيما بينهم ، وأنهم إن لم يشددوا في ذلك لم ينقطع الطمع ولم ينزجر الطير . لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها ، وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين إلا ترى أن الناس قد كان يتهاون في طبائهم ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم : الحمد لله وإنا لله وعلى الله توكلنا وربنا

الله وحسبنا الله ونعم الوكيل . وهذا كله في القرآن غير أنه متفرق غير مجتمع . ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان . ورأوا بفهمهم وتوفيق الله تعالى لهم أن يحصنوه مما يشكّل ويمكن أن يفتعل مثله من الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين . وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء وخالفوا إن هم لم يتقدموا في ذلك أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية ، لأنهم حين رأوا كثرة الرواية في غير ذوي السابقة ورأوا كثرة اختلافها والغرائب التي لا يعرفونها لم يكن لهم إلا تحصيل الشيء الذي عليه مدار الأمر وإن كانوا يعلمون أن الله بالغ أمره .

[٧ - ينهي جمع حجج النبوة كما جمعت القراءات]

فعل الأئمة أن تحوط هذه الأمة كما حاط السلف أولها ، وأن يعملوا بظواهر الحيلة إذ كان على الناس الاجتهاد ، وليس عليهم علم الغيوب ، وإنما ذلك كنحو رجل أبصر نبياً يجيئ الموقف يعرف صدقه ، فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنده فعليه أن لا يكتنه وإن كان يعلم أن الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره وأنه عز ذكره سيسمعه صحته على حبه وكرهه . ورأوا أن قراءة زيد أحق بذلك إذ كانت آخر العرض ، ولأن الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله . فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبي وعبد الله ، وإن كان الكل حقاً . إذ كان ربّ حق في بعض الزمان أقطع للقيل والقال وأجدر أن يهت الخلاف ويمسح الطمع ، فتركوا حقاً إلى حق العمل به أحق . ولو أن فقيهاً رأى إطباق العلماء على صوم يوم عرفة واستنكارهم الإفطار فيه فأفطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة ، أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه كان مصيباً ، ولكان قد ترك حقاً إلى أحق منه . وللحق درجات وللخلاف درجات وللحرام درجات . ألا ترى أن لولئ المقتول أن يقتل أو يصفح وأنه إن قتل قتل بحق وإن صفح صفح بحق ، والصفح أفضل من القتل . ولو أن رجلاً أخرج ساكناً بيتاً له أو

اقتضى ديننا له عند حلول أجله أو طلق زوجته وما دخل بها لكان ذلك له والحق فعل . وغير ذلك الحق أولى به ، وكيف لا يكون أولى به وهو احسن والثواب فيه أعظم وإلى سلامة الصدور أقرب ؟ وقد يكون الأمران حسنين وأحدهما أقبح . وبعد فعلى الناس طاعة الأئمة في كل ما أمروا به إلا فيما تبين أنه معصية ، فأما غير ذلك فإنه واجب مفروض ولازم غير مدفوع . وعلموا أيضا أنهم لا يبقون إلى آخر الزمان وأن من يجهل بعدهم لا يقوم مقامهم ولا يفصل الأمور تفصيلهم ، ولو عرفوا كمعرفتهم وأرادوا ذلك كإرادتهم لما أطعموا كطاعتهم . وعلموا أن الأكاذيب والبدع ستكثر وأن الفتن ستفتح ، وأن الفساد سيفشو فكرهوا أن يجعلوا للمتطرفين علة ولاهل الزيف حجة ، بل لا شك أنهم لو تركوا الناس عامة يقرؤون على حرف فلان وكلما أجاز فيه فلان عن فلان لألحق قوم في آخر الزمان بهم من ليس منهم ولا يجري مجراهم ولا يجوز مجازهم .

فصل منه: ولو كان زيد من آل أبي العاص أو من عرض بني أمية لوجد ابن مسعود متعلقا، ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد إلى القول سيلا، ولو كان [غير] ابن مسعود رجلا من بني هاشم لوجد للطعن موضعا ، ولو كان عثمان رضي الله تعالى عنه استبد بذلك الرأي على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله وجميع المهاجرين والأنصار لوجد للتهمة مساعا . فأما والأمر كما وصفنا وبيننا فما الطاعن على عثمان إلا رجل أخطأ خطة الحق وجعل على صاحبه ، ولكل بني آدم من الخطأ نصيب والله عز ذكره يَغْفِرُ له ويرحمه . والذي يخطيء عثمان في ذلك فقد خطأ عليا وعبد الرحمن وسعدا والزبير وطلحة وما عليه الصحابة . ولو لم يكن ذلك رأي علي لغيره ، ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ، ولو لم يمكنه في زمن عثمان لأمكنه في زمن نفسه ، وكان لا أقل من إظهار الحججة إن لم يملك تحويل الأمة ، وكان لا أقل من التجربة إن لم يكن من النجاح على ثقة ، بل لم يكن لعثمان في ذلك ما لم يكن لجميع الصحابة وأهل القدم والقعدة . ومع أن الوجه فيما صنعوا واضح بل لا نجد لما صنعوا وجها غير الإصابة والاحتياط والاشفاق والنظر للمواقب وحسم طعن الطاعن . ولو لم يكن ما صنعوا الله تعالى فيه

رضاً لما اجتمع عليه أول هذه الأمة وأخبرها . وإن أمرا اجتمعت عليه المعتزلة
والشعبة والخوارج والمرجئة لظاهر الصواب واضح البرهان على اختلاف أهوائهم
وبغيتهم لكل ما ورد عليهم . فإن قال قائل : هذه الروايف بأسرها تأي ذلك
وتنكره وتطعن فيه وترى تغييره ؟ قلنا : إن الروايف ليست منا بسبيل ، لأن من
كان أذانه غير أذانتنا وصلاته غير صلالتنا وطلاقه غير طلاقنا وعتقه غير عتقنا وحجته
غير حجتنا وفقهاؤه غير فقهاننا وإمامه غير إمامنا وقراءته غير قراءتنا وحلاله غير
حلالنا وحرامه غير حرامنا فلا نحن منه ولا هو منا . ولأي شيء جانب عن قراءة
ابن مسعود ؟ فوالله ما كان أحد أفرط في العمربة منه ولا أشد على الشيعة منه !
ولقد بلغ من حبه لعمر رضي الله تعالى عنه أن قال : لقد خشيت الله تعالى في
حبي لعمر ! فلم يمامون عنه وهو كان شجاجهم لو أدركهم ؟

فصل منه : فأمن الله رجلا فارلقهم ولزم الجماعة ، فإن فيها الانس والحجة ،
وترك الفرقة فإن فيها الوحشة والشبهة . والحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أئمتنا
كما جعلنا لا نفرق بين أنبيائنا .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

[٨ - الغرض من جمع الحجج]

فصل منه : والذي دعانا إلى تأليف حجج الرسول ونظمها وجمع وجوهها
وتدوينها إنما متى كانت مجموعة منظومة نشط لحفظها وتفهمها من كان عسى أن لا
ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها وجمع متفرقاتها ، وعلى اللفظ المؤثر عنها ، ومن
كان عسى أن لا يعرف وجه مطلبها والوقوف عليها ، ولعل بعض الناس يعرف
بعضها ويجهل بعضها ، ولعل بعضهم وإن كان قد عرفها بحقها وصدقها فلم يعرفها
من أسهل طرقها وأقرب وجوهها ، ولعل بعضهم أن يكون قد كان عرف فئسي أو
تجاوز بها فعمي ، بل لا نشك أنها إذا كانت مجموعة مبررة مستقصاة مفصلة إنها
ستزيد في بصيرة العالم ، ويجمع الكل لمن كان لا يعرف إلا البعض ويذكر الناس
ويكون عدة على الطامع ، ولعل بعض من أهدى في دينه وعمي عن رشده وأخطأ
موضع حظه أن يدعو العجب بنفسه والثقة بما عنده إلى أن يلتبس قراءتها ليتقدم في

نقضها وإفسادها فإذا قرأها فهمها وإذا فهمها انتبه من رقدته وأفاق من سكرته لعز الحق وذل الباطل ولإشراف الحجة على الشبهة ، ولأن من تفرد بكتاب فقراه ليس كمن نازع صاحبه وجافاه ، لأن الانسان لا يباهي بنفسه والحق بعد قاهر له ، ومع التلاقي يحدث التباهي وفي المحافل يقل الخضوع ويشتد النزوع .

[٩ - حاجة الناس الى الاخبار]

ثم رجع الكلام إلى حاجة الناس إلى استماع الأخبار والتفقه في تصحيح الآثار فأقول : إن الناس قد استغنوا عن التكرير وكفوا مؤونة البحث والتنقيب لقلّة اعتبارهم ، ومن قلّ اعتباره قلّ علمه ، ومن قلّ علمه قلّ فضله ، ومن قلّ فضله كثر نقصه ، ومن قلّ علمه وفضله وكثر نقصه لم يحمد على خير أناه ولم يذم على شر جناه ولم يجهد طعم العز ولا سرور الظفر ولا روح الرجاء ولا برد اليقين ولا راحة الأمن . وكيف يشكر من لا يقصد ، وكيف يلام من لا يتعمد ، وكيف يقصد من لا يعلم ، وما عسى أن يبلغ قدر سرور من لا يحس من السرور إلا بما سرت به حواسه ومسه جلده ، وكيف يأتي أرباح الأفعال وأبعد الشرين من ركب شراسة السباع وضباوة البهائم ثم لم يعط الآلة التي بها يستطيع التفرقة بين ما عليه وله والعلم بمصالحه ومفاسده فيقوى بها على عصيان طبائعه ومخالفة شهواته ، وبها يعرف عواقب الأمور وما تأتي به الدهور ، وفضل لذة القلب على لذة البدن ، وأن سرور الجاهل لا يحسن في جنب سرور العالم ، وأن لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم ، وأي سرور كسرور العز والرياسة واتساع المعرفة وكثرة صواب الرأي والنجاح الذي لا سبب له إلا حسن النظر والتقدم في التدبير ثم العلم بالله وحده وأنتك بعرض ولايته والجاه عنده وأنه الذي يرهاك ويكفيك وأنتك إذا عملت اليسير أعطاك الكثير ومتى تركت له القاني أعطاك الباقي ومتى أدبرت عنه دهاك ومتى رجعت إليه اجتباك ، ويمدك على حقك ويعطيك على نظرك لنفسك ولا يفنيك إلا ليقينك ولا يميتك إلا ليحييك ولا يمنعك إلا ليعطيك ، وأنه المبدئ بالنعمة قبل السؤال والناظر لك في كل حال ، وهذا كله لا ينال إلا بغريزة العقل ، هل أن

الغريزة لا تنال ذلك بنفسها [بل] بما باشرته حواسها دون النظر والتفكر والبحث والتصنع ، ولن ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التي تبعث على الفكرة وعلى طلب الحيلة . ولذلك وضع الله تعالى في الانسان طبيعة الغضب وطبيعة الرضا والبخل والسخاء والجزع والصبر والرياء والاخلاص والكبر والتواضع والسخط والقناعة ، فجعلها هروفا ، ولن تنفي قوة غريزة العقل لجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اخرج منها ويسكن ما تحرك دون النظر الطويل الذي يشدها والبحث الشديد الذي يشدها والتجارب التي تمنحها والفوائد التي تزيد فيها .

ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر ، ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الخواج ، ولن تبعد الروية إلا لبعدها غاية وشدة الحاجة .

[١٠ - العقل وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة]

ولو ان الناس تركوا وقدر قوى غير الزهم ولم يياجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكير في معاشهم وعواقب أمورهم وأجشوا إلى قدر خواطرهم التي تولدها مباشرة حواسهم دون أن يستمعهم الله خواطر الأولين وأدب السلف المتقدمين وكتب رب العالمين لما أدركوا من العلم إلا اليسير ولما ميزوا من الأمور إلا القليل ، ولولا ان الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته وتسويد العاقل ورفع قدره وأن يجعله حكيماً وبالعواقب عليها لما سخر له كل شيء ولم يسخره لشيء ولما طبعه الطبع الذي يميء منه أريب حكيم وعالم حلیم ، كما أنه هم ذكره لو أراد ان يكون الطفل عاقلاً والمجنون عالماً لطبعهم طبع العاقل ولسواهم تسوية العالم ، كما أراد أن يكون السبع وثاباً والحديد قاطعاً والسم قاتلاً والغذاء مقبلاً ، فكذلك أراد أن يكون المطبوع على المعرفة عالماً والمهتأ للحكمة حكيماً وذو الدليل مستدلاً وذو النعمة مستنفعاً بها ، فلما علم الله تبارك وتعالى أن الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغير الزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وكتب الأولين والإخبار عن القرون والجبايرة الماضين طبع كل قرن من الناس على إخبار من يليه ووضع القرن الثاني دليلاً يعلم به صدق خبر الأول ، لأن كثرة السماع للإخبار العجيبة والمعالي

الغريبة مشحذة للاذهان ومادة للقلوب وسبب للتفكير وعلة للتغير عن الأمور ، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً ، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أرجحهم عملاً ، كما أن أكثر البصراء رؤية للأعاجيب أكثرهم تجارباً ، ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الأعمى ، وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الأصم . وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة ، وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون . كما أن الراجي والخائف دائبان ، والأيس والأمن وادعان .

[١١ - سبب ارسال الرسل]

وإذا كان الله تعالى لم يخلق عباده في طبع عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وآدم أبي البشر صلوات الله عليهم أجمعين ، وخلقهم ناقصين وعن درك مصالحهم عاجزين وأراد منهم العبادة ركلفتهم الطاعة وترك العيان للأمل البعيد وأرسل اليهم رسله وبعث فيهم أنبياءه وقال : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله عليهم السلام ولا أحضرهم عجائب أنبيائه ولا أسمعهم احتجاجهم ولا أراهم تدبيرهم ، لم يكن بد من أن يطلع المعانين على أخبار الغائبين ، وأن يسخر أسماع الغائبين لأخبار المعاندين ، وأن يخالف بين طبائع المخبرين وعلل الناقلين ليدل السامعين ومن يجيب من الناس على أن العدد الكثير المختلفي العلل المتضادي الأسباب المتفاوتي المهم لا يتفقون على تخرص الخبر في المعنى الواحد ، وكما لا يتفقون على تخرص الخبر في المعنى الواحد على غير التلاقي والتراسل إلا وهو حق فكذلك لا يمكن مثلهم في مثل عللهم التلاقي عليه والتراسل فيه ، ولو كان تلاميهم ممكنا وتراسلهم جائزاً لظهر ذلك وفشا واستفاض وبدا ، ولو كان ذلك أيضاً ممكنا وكان قولاً متوهماً لبطلت الحجة ولنقضت العادة وفسدت العبرة ولعادت النفس بعلة الإخبار جاهلة ، ولكان للناس على الله أعظم الحجة ، وقد قال الله عز وجل ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ إذا كلفهم طاعة رسله وتصديق أنبيائه ورسله وكتبه والايمان بجنته وناره ولم يضع لهم دليلاً على

صدق الاخبار وامتناع الغلط في الآثار ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

[١٢ - اختلاف طبائع الناس سبب تنوع المهنة]

واعلم أن الله تعالى إنما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ، ولم يجب أن يوفق بينهم فيها يخالف مصلحتهم ، لأن الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة وكانوا مجبرين في الأمور المتفقة والمختلفة لجاز أن يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة ، وفي هذا ذهب العيش وبطلان المصلحة والبوار والثواء ، ولو لم يكونوا مسخرين بالأسباب مرعنين بالعلل لربحوا عن الحجامة أجمعين وعن البيطرة والقصابة والدباغة ، ولكن لكل صنف من الناس مزين عندهم ما هم فيه ومسهل ذلك عليهم . فالحائك إذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوء حلق أو خرقاً قال له يا حجام ، والحجام إذا رأى تقصيراً من صاحبه قال له يا حائك . ولذلك لم يجمعوا على إسلام أبنائهم في غير الحياكة والحجامة والبيطرة والقصابة ، ولولا أن الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتفاق والاتلاف لما جعل واحداً قصيراً وآخر طويلاً ، وواحداً حسناً والآخر قبيحاً ، وواحداً غنياً وآخر فقيراً ، وواحداً عاقلاً وآخر مجنوناً ، وواحداً ذكياً وآخر غيباً ، ولكن خالف بينهم ليختبرهم ، وبالاختبار يطيعون وبالطاعة يسعدون ، ففرق بينهم ليجمعهم وأحب أن يجمعهم على الطاعة ليجمعهم على المثوبة . فسبحانه وتعالى ما أحسن ما أبلى وأولى وأحكم ما صنع وأتقن ما دبر . لأن الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة ، ولو رغبوا بأجمعهم عن كد البناء لبقينا بالعراء ، ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الأقوات ولبطل أصل المعاش . فسخرهم على غير إكراه ورغبهم من غير دعاء .

[١٣ - سبب الرضا بالوطن]

ولولا اختلاف طبائع الناس وعللهم لما اختاروا من الأشياء إلا أحسنها ومن البلاد إلا أعدلها ومن الأمصار إلا أوسطها ، ولو كان كذلك لتناجزوا على طلب الوساطة وتشاجروا على البلاد العليا ولما رسعهم بلد ولما تم بينهم صلح ، فقد صار بهم التسخير إلى غاية القناعة . وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكني

الأجام إلى الفيافي وساكني السهل إلى الجبال وساكني الجبال إلى البحار وساكني الوبر إلى المدر لأذاب قلوبهم المهم ولأن عليهم فرط النزاع ، وقد قيل : عمر الله البلدان بحب الأوطان . وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى : ليس الناس بشيء من أقسامهم أفنع منهم بأوطانهم . وقال معاوية في قوم من اليمن رجعوا إلى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلاً خصيباً وفرض لهم في شؤون العطاء : يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم . وقال الله جل وعز : ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ فقرن الضن بالأوطان إلى الضن بهج النفوس وليس على ظهرها إنسان إلا وهو معجب بعقله لا يسره أن له بجميع ماله ما لغيره ، ولولا ذلك لما اتوا كمداً ولذابوا حسداً . ولكن كل إنسان وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء .

[١٤ - سبب اختلاف الاسماء]

ولولا اختلاف الأسباب لتنازحوا بلدة واحدة واسماً واحداً وكنية واحدة . فقد صاروا كما ترى مع اختيار الأشياء المختلفة إلى الأسماء الفبيحة والألقاب السمحة . والأسماء مبدولة والصناعات متباحة والتاجر مطلقه ووجوه الطرق مخلاة ، ولكنها مطلقه في الظاهر مقسمة في الباطن ، وإن كانوا لا يشعرون بالذي دبره الحكيم من ذلك ولا بالمصلحة فيه ، فسبحان من حجب إلى واحد أن يسمي ابنه محمداً وحجب إلى آخر أن يسميه شيطاناً وحجب إلى آخر أن يسميه عبد الله وحجب إلى آخر أن يسميه هماراً ، لأن الناس لو لم يخالف بين عللهم في اختيار الأسماء وجاز أن يجتمعوا على شيء واحد كان في ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات .

[١٥ - الإنسان مجبر وحر]

وأنت إذا رأيت ألوانهم وشمالهم واختلاف صورهم وسمعت لغاتهم ونغمهم علمت أن طبائعهم وعللهم المحجوبة الباطنة هل حسب أمورهم الظاهرة . وبعض الناس وإن كانوا مسخرين للحياكة فليس بمسخر للفسق والخيانة والأحكام والصدق

والأمانة . وقد يسخر الملك لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة فلا يزال ذلك الملك مقصوراً عليهم ما دامت تلك الأسباب قائمة ، فليس إذا كانوا للملك مسخرين وكان الناس هم مسخرين بالجبرية والنخوة والفظاظة والقسوة ولطول الاحتجاب والاستتار وسوء اللقاء والتضييع ، وقد يكون الانسان مسخراً لأمر وخيراً في آخر ولولا الأمر والنهي لجاز التسخير في دقيق الأمور وجليلها وخفيها وظاهرها ، لأن بني الانسان لما سخروا له إرادة العائدة عليهم ولم يسخروا للمعصية كما لم يسخروا للمفسدة . وقد نستوي الأسباب في مواضع وتتفاوت في مواضع ، كل ذلك ليجمع الله تعالى لهم مصالح الدنيا ومرشد الدين ، ألا ترى أن أمة قد اجتمعت على أن عيسى عليه السلام هو الله ، وأمة قد اجتمعت على أنه ابن الله ، وأمة اجتمعت على أن الألهة ثلاثة عيسى أحدها ، ومنهم من يتذبذب ، ومنهم من يتدهر ، ومنهم من يتحول نسطوريا بعد أن كان يعقوبياً ، ومنهم من أسلم بعد أن كان نصرانياً ، ولست واجداً هذه الأمة مع اختلاف مذاهبها وكثرة تنقلها انتقلت مرة واختلفت مرة متعمدة أو ناسية في يوم واحد فجعلته وهو الجمعة يوم السبت . ولم تخطب في يوم جمعة بخطبة يوم خميس ، ولا خلطت في كانون الأول لجعلته كانون الآخر ، ولا بين الصوم والافطار ، لأن الباب الأول في باب الامكان وتعديل الأسباب والامتحان ، والباب الثاني داخل في باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان .

وقد زعم ناس من الجهال ونفر من الشكاك ممن يزعم أن الشك واجب على كل شيء إلا في العيان أن أهل المنصورة وانوا مصلاهم يوم خميس على أنه يوم الجمعة في زمن منصوري ، وأن أهل البحرين جلسوا عن مصلاهم يوم الجمعة على أنه يوم خميس في زمن أبي جعفر فبعث اليهم وقومهم . وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الامصار ولا في العدد الكثير من أهل القرى ، لأن الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة له دون الجمعة ، وبين تجار قد اعتادوا الدعة في الجمع والجلوس عن الأسواق ، ومن بين معلم كتاب لا يصرف غلمانه إلا في الجمع ، ومن بين معي بالجمع يتلاني هناك ومع المعارف والاخوان والجلساء ، وبين معي بالجمع حرصاً على الصلاة ورغبة في الثواب ، ومن رجل عليه موعد ينتظره ، ومن

صير في مصرف ذلك اليوم سفاحه وكتب أصحابه ، ومن جندي فهو يعرف بذلك نوبته ، وبعض كالسؤال والمساكين والقصاص الذين يمدون أعناقهم للجمعة انتظاراً للصدقة والفائدة ، في أمور كثيرة وأسباب مشهورة . ولو جاز ذلك في أهل البحرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة ، ولو جاز ذلك في الأيام لكان في الشهور أجوز ، ولو جاز ذلك في الشهور لكان في السنين أجوز ، وفي ذلك فساد الحج والصوم والصلاة والزكاة والأعياد . ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يتفق الشعراء على قصيدة واحدة ، والخطباء على خطبة واحدة ، والكتاب على رسالة واحدة ، بل جميع الناس على لفظة واحدة .

ولما نزلت لك حالات الناس وخبرتك عن طبائعهم وفسرت لك عللهم لتعلم أن العدد الكثير لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد في المعنى الواحد في الزمن الواحد على غير التشاهر فيكون باطلاً وسابغ لك موضع اختلافهم واتفاقهم وأنه لم يخالف بينهم في بعض الوجوه إلا إرهاباً لمصلحتهم ولتصح أخبارهم .

[١٦ - سبب البيع والشراء]

ألا ترى أن أحداً لم يبع قط سلعة بدرهم إلا وهو يرى أن ذلك الدرهم خير له من سلعته ، ولم يشتر أحد قط سلعة بدرهم إلا وهو يرى أن تلك السلعة خير له من درهمه ، ولو كان صاحب السلعة يرى في سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم وكان صاحب الدرهم يرى في الدرهم ما يرى فيه صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراء أبداً ولا بيع أبداً ، وفي هذا جميع المفسدة وغاية الهلكة . فسبحان الذي حجب إلينا ما في أيدي غيرنا وحبب إلينا ما في أيدينا ليقع التبايع ، وإذا وقع التبايع وقع الترابيح ، وإذا وقع الترابيح وقع التعايش .

[١٧ - سبب تنوع الأذواق في الطعام]

ويدلك أيضاً على اختلاف طبائعهم وأسبابهم أنك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب فلا تجد يدين تلتقيان على رطبة بعينها وكل واحد من الجميع يرى

ما حواه الطباق غير أن شهوته وقعت على واحدة غير التي آثرها صاحبه ، ولربما سبق الرجل إلى الواحدة وقد كان صاحبه يريدها في نفسه غير أن ذلك لا يكون إلا في الفرط ، ولو كانت شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدة بعينها لكان في ذلك التمانع والتجاذب والمبادرة وسوء المخالطة والمؤاكلة . وكذلك هو في شهوة النساء والإماء والمراكب والكساء . وهذا كثير والعلم به قليل ، وبأقل مما قلنا يعرف العاقل صواب مذهبنا ، والله تعالى نسأل التوفيق .

[١٨ - سبب عدم تواطؤ الناس الكثيرين على منحصر الخبر الواحد]

وهو الذي خالف بين طبائعهم وأسبابهم حتى لا يتفق على منحصر خبر واحد ، لأن في اتفاق طبائعهم وأسبابهم في جهة الأخبار فساد أمورهم وقلة فوائدهم واعتبارهم ، وفي فساد أخبارهم فساد متاجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم وبطلان المعرفة بأنبيائهم ورسولهم عليهم السلام ووعدهم ووعيدهم وأمرهم ونهيهم وزجرهم ورجبتهم وحدودهم وقصاصهم الذي هو حياتهم ، والذي يعدل طبائعهم ويسوي أخلاقهم ويقوي أسبابهم والذي به يتمنعون من ثواب السباع وقلة احتراس البهائم وإضاعة الأعمار ، وبه تكثر خواطيرهم وتفكيرهم وتحسن معرفتهم .

[١٩ - تكذيب الخبر لا يعني نفيه]

ولم نقل إن العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل كالتكذيب والتصديق ، ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدةهرية وعباد البددة يكذبون النبي ﷺ وينكرون آياته وأعلامه ، ويقولون لم يأت بشيء ولا بان شيء . وإنما قلنا إن العدد الكثير لا يتفقون على نفي مثل أخبارهم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النهمي الأبطحي عليه السلام خرج بمكة ودعا إلى كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وأباح كذا ، وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه وأنه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم

يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا شبيهه منه ولا ادهى أنه قد فعل ،
 فيكون ذلك الخبر باطلا ، وليس قول جمعهم أنه كان كاذباً معارضة لهذا الخبر إلا
 أن يسموا الانكار معارضة ، وإنما المعارضة مثل الموازنة والمكايلة ، فمضى قائلونا
 بأخبار في وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها فقد عارضونا ووازنونا وكابلونا وقد تكافينا
 وتدافعنا . فأما الانكار فليس بحجة كما أن الاقرار ليس بحجة ، ولا تصديقنا النبي
 ﷺ حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرنا له حجة علينا ، وإنما الحجة في المجيء الذي
 لا يمكن في الباطل مثله .

فان قلت : وأي مجيء أثبت [من] خبر النصارى عن عيسى بن مريم عليه
 السلام ! وذلك أنك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك عن أسلافهم أن
 عيسى قد قال إني إله ؟

قلنا : قد علمنا أن نصارى عصرنا لم يكذبوا على القرن الذي كان قبلهم
 والذين كانوا يلونهم ، ولكن الدليل على أن أصل خبرهم ليس كفره أن عيسى عليه
 السلام لو قال إني إله لما أعطاه الله تعالى إحياء الموت والمشى على الماء ! على أن في
 عيسى عليه السلام دلالة في نفسه أنه ليس بإله وأنه عبد مدبر ومقهور ميسر . وليس
 خبرهم هذا إلا كإخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذي يليهم أن بولس قد كان
 جاء بالآيات والعلامات . وكإخبار المانوية عن القرن الذي كان يليهم من أن ماني
 قد كان جاءهم بالآيات والعلامات ، وكإخبارهم المجوس عن آبائهم والذين كانوا
 يلونهم أن زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات . وقد علمنا أن هؤلاء النصارى
 لم يكذبوا على القرن الذي كان يليهم ولا الزنادقة ولا المجوس ، ولكن الدليل على
 أصل خبرهم ليس كفره . لأن الله تعالى جل وعز لا يعطي العلامات من لا
 يعرفه . لأن بولس إن كان عنده أن عيسى عليه السلام إله فهو لا يعرف الله تعالى
 بل لا يعرف الربوبية من العبودية والبشرية من الإلهية .

فصل منه : وللنصارى خاصة رياء عجيب وظاهر زهد ، والشاس أبطأ شيء
 عن التصنع وأسرع شيء إلى تقليد صاحب السن والسمت ، وظاهر العمل أدهى

لهم من العلم .

فصل منه على ذكرهم - وكل قوم بنوا على حب الاشكال والشغف بالرجال يشتد وجدهم به وحبهم له حتى ينقلب الحب عشقا والوجد صبابة ، للمشاكلة التي بين النفوس ، وعلى قدر ذلك يكون البغض والحقد ، لأن النصارى حين جعلوا ربهم إنسانا مثلهم ابخلت نفوسهم بالاهيتهم له لتوهمهم الربوبية ، وسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية . فلذلك قدروا من العبادة على ما لم يقدر عليه سواهم ، وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد ممن ينفي التشبيه ، حتى ربما رأيت المشبه يتنفس من الشوق إليه ويشهق عند ذكر الزيارة ويبكي عند ذكر الرؤية ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب ! وما ظنك بشوق من طمع في مجالسة ربه جل جلاله ومحادثة خالقه عز ذكره ؟! ولقد غالت القوم قول ودعاهم أمر فانظر ما هو ؟ وإن سألتني عنه خبرتك ألما هو نتيجة أحد أمرين : إما تقليد الرجال ، وإما طلب تعظيمهم . ولذلك السبب لم ترض اليهود من إنكار حق عيسى بتكذيبه حتى طلبت قتله وصلبه والمثلة به ، ثم لم ترض بذلك حتى زعمت أنه لغير رشدة . فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ، ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها . وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صبابة وتحرقا وأفرط غضبا وأدوم حقدأ وأحسن تواملا من غيرهم أيضا . ورب خبر قد كان فاشيا فدخل عليه من العلل ما منعه من الشهرة ، ورب خبر ضعيف الأصل واهن المخرج قد عميا له من الاسباب ما يوجب الشهرة .

فصل منه : واعلم ان لأكثر الشعر ظعنا وحفظا ، كالبيت يحظى ويسير حتى يحظى صاحبه بحظه ، وغيره من الشعر أجود منه . وكالمثل يحظى ويسير وغيره من الأمثال أجود . وما ضاع من كلام الناس وفضل أكثر مما حفظ وحكي . واعتبر ذلك من نفسك وصديقك وجليسك . وأمر الاسباب عجيب . ومن ذلك قتل علي بن أبي طالب من السادة والقادة والحماة ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته . فأضرب الناس عن ذكرهم وجهلت العوام مواضعهم وأخذوا في ذكر عمرو بن عبد ود فرفعوه

فوق كل فارس مشهور وقائد مذكور . وقد قرأت على العلماء كتاب الفجار الأول والثاني والثالث وأمر المطيبين والاحلاف ومقتل أبي أزيهر ومجيء الفيل وكل يوم جمع كان لقريش فما سمعت لعمر و هذا في شيء من ذلك ذكراً .

فإن قلت : إن نبل القاتل زيادة في نبل المقتول فكل من قتله علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه أنبل منه وأحق بالشهرة ، ولكن أشعار ابن ود ومناقلة الصبيان في الكتاب هما اللتان أورثتنا ما ترى وتسمع .

فصل منه في أسر الأخبار - وإنما ذكرت هذا لتعلم أن الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثم يعود قويا ويكون أصله قويا فيعود ضعيفاً ، للذي يعتريه من الأسباب ويحل به من الاعراض من لدن مخرجه وحصوله إلى أن يبلغ مدته ومنتهى أجله وضاية التدبير فيه والمصلحة عليه ، فلما كان هذا مخوفاً وكان غير مأمون على المتقادم منه وضع الله تعالى لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة أمانة ليعينه قوة الخبر ويمجد ما قد هم بالدروس من أنبياء المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، لأن نوحاً عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليه السلام حتى منعها الخلل وهما النقصان بالشواهد الصادقة والامارات القائمة . وليس أن أخبارهم وحججهم قد كانت درست وأفلت ! بل حين همت بذلك وكادت بعثه الله عز وجل بآياته لثلا تخلو الأرض من حججه ، ولذلك سماوا آخر الدهر الفترة ، وبين الفترة والقطعة فرق . فاهرف ذلك . ثم بعث الله عز وجل إبراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التي كانت بينه وبين دهر نوح ، وإنما جعلها الله تعالى أطول فترة كانت في الأرض لأن نوحاً كان لبث في قومه محتج ويخبر ويؤكد ويبين ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ولأن آخر آياته كانت أعظم الآيات وهي الطوفان الذي أغرق الله تعالى به جميع أهل الأرض ، غيره وغير شيعته ، وإنما فار الماء من جوف تنور ليكون أعجب للآية وأشهر للقصة وأثبت للحجة . ثم ما زالت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعضهم على أثر بعض في الدهر الذي بين إبراهيم وبين عيسى عليها السلام فترادف حججهم وتظاهر أعلامهم وكثرة

أخبارهم واستفاضة أمورهم ولشدته ما تأكد ذلك في القلوب ورسخ في النفوس
 وظهر على الألسنة لم يدخلها الخلل والنقص والفساد في الدر الذي كان بين النبي
 عليه الصلاة والسلام وبين عيسى عليه السلام ، فحين همت بالضعف وكادت تنقص
 عن التمام وانتهت قومها بعث الله تعالى محمداً ﷺ فجدد أقاصيص آدم ونوح
 وموسى وهارون وعيسى ويحيى عليهم السلام ، وأموراً بين ذلك ، وهو الصادق
 بالشواهد الصادقة وأن الساعة آتية وأنه ختم الرسل عليهم السلام به ، فعلمنا عند
 ذلك أن حجته ستبقى إلى مدعها وبلوغ أمر الله عز وجل فيها .

[٢٠ - ولع الناس بالأخبار الغريبة]

فصل منه : ثم رجع الكلام إلى القول في الأخبار فأقول : إن الناس موكلون
 بحكاية كل عجيب وميسرون للأخبار عن كل عظيم ، وليسوا للحسن أحكى منهم
 للقيح ، ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر ، وهل قدر كبير الشيخ تكون حكايتهم له
 واستماعهم منه ، ألا ترى أن رجلاً من الخلفاء لو ضرب عنق رجل من العظماء لما
 أمسى وفي مسكره أو بلدته جاهل ولا عالم إلا وقد استقر ذلك عنده وثبت في قلبه ،
 لأن الناس بين حاسد فهو يحكي ذلك الذي دخل عليه من الشكل وقلة العدد ،
 وبين واجد بمحبب الناس ، وبين واعظ معتبر ، وبين قوم شائهم الأراجيف بالفساد
 والصالح ، ولو كان ضرب عنقه في يوم عيد أو حلبة أو استمطار أو موسم لكان
 أشد لاستفاضته وأسرع لظهوره ، ولو جاز أن يكتم الناس هذا وشبهه على الأبطال
 للكتمان وهل جهة النسيان لكننا لا ندري لعله قد كان في زمن صفين والجمل
 والنهروان حرب مثلها أو أشد منها ، ولكن الناس آثروا الكتمان وانفقوا على
 النسيان ، فإذا كان قتل الملك للرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ومن
 قلوب الحكماء والفوهاء ، فما ظنك بمن لو أبصروا رجلاً قد أحياه بعد أن ضرب
 عنقه وأبان رأسه من جسده ! أليس يكون تعجبهم من إحيائه أشد من تعجبهم من
 قتله ؟! وكان يكون إخبارهم من خلفوا في منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل

ليكون سبباً للاخبار عن الاحياء ، إذ كان الأول صغيراً في جنب الثاني ! فهذا يدل على أن اعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام وآياتهم أحق بالظهور والشهرة والقهر للقلوب والأسماع من مخارجهم وشرائعهم ، بل قد نعلم أن موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر إلا لأعاجيبه وآياته ، وكذلك عيسى عليه السلام . ولولا ذلك لما كانا إلا كغيرهما ممن لا يشعر بموته ولا مولده . وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة بأعلامهما وأعاجيبهما وأنت لم تسمع بذكرهما قط دون ما ذكر من أعلامهما ! فإذا كان شأن الناس الاخبار عن كل عجب وحكاية كل عظيم والإطراف بكل طريف وإيراد كل غريب من أمور دنياهم فما لا يمتنع في طبائعهم ولا يخرج من قوى الخليفة في البطش والحيلة أحق بالاخبار والاذاعة وبالأظهار والافاضة . هذا على أن يترك الطباع وما تولد عليه والنفوس وما تنتج والعلل وما يسخر ، فكيف إن كان الله عز وجل قد خص اعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السلام من تبيين الناس على الاخبار عنها ومن تسخير الاسماع لحفظها بخاصة لم يجعلها لغيرها .

[٢١ - اعتراض على اعتبار الأخبار حجة]

فصل منه : فإن قال قائل : إن الحجة لا تكون حجة حتى تعجز الخليفة وتخرج من حد الطاقة لإحياء الموتى والمشي على الماء وكفلق البحر وكاطعام الثمار في غير أوان الثمار وكانطاق السباع واشباع الكثير من القليل ، وكل ما كان جسماً مخترعاً وجرمًا مبتدعاً ، وكالذي لا يجوز أن يتولاه إلا الخالق ولا يقدر عليه إلا الله عز وجل ذكره ، فأما الأخبار التي هي أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت ويقوم حدث فلا يجوز أن يكون حجة إذ كان لا حجة إلا ما لا يقدر عليه الخليفة وما لا يتوهم من جميع البرية ؟

قلنا : إننا لم نزهم أن الأخبار حجة فيحتجوا علينا بها ، وإنما زعمنا أن مجيئها حجة ، والمجيء ليس هو أمر يتكلفه الناس ويختارونه على غيره ، ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه ومهيشوا له ، ولفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحق . والمجيء أيضاً ليس هو فعلاً قائماً فيستطيعونه أو يعجزوا عنه ، وإنما هو أن الانسان

يعلم أنه إذا لقي البصريين فأخبروه أنهم قد صابروا بمكة شيئاً ثم لقي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك ، أنهم قد صدقوا ، إذ كان مثلهم لا يتواطأ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم . فليس بين هذا وبين إحياء الموتى والمشي على الماء فرق ، إذ كان الناس لا يقدرُونَ عليه ولا يطمعون فيه . والمجيء إنما هو معنى معقول وشيء موهوم إذا كان وكيف يكون ، ومعلوم أن الناس لا يمكنهم أن يقدرُوا عليه ولا يستطيعون فعله ، وإنما مدار أمر الحجة على عجز الخليفة ، فمضى ووجدت أمراً ووجدت الخليفة عاجزة عنه فهو حجة ، ثم لا عليك جوهرأ كان أو عرضاً أو موجوداً أو متوهماً أو معقولاً ، ألا ترى أن فلق البحر ليس من جنس اختراع الثمار؟ لأن الفلق هو انفراج أجزاء والثمار أجرام حادثة ا وكذلك لو ادهى رجل أن الله عز وجل أرسله فجعل حجته علينا الإخبار بما أكلنا وادخرننا وأضمرنا لكان قد احتج علينا .

[٢٢ -] اعتراض آخر : المنجم كالنبي يخبر بالغيب .

فإن قلت : إن المنجمين ربما أخبروا بالضمير وبالامر المستور وبعض ما يكون ؟ قلنا : هناك فرق ، فإن خطأ المنجمين كثير وصوابهم قليل ، بل هو أقل من القليل . أنتم لا تقدرُونَ أن تقفوا من إخبار المرسلين عليهم السلام في كثير إخبارهم على خطأ واحد . والذي سهل قليل المنجمين طرافة ذلك منهم ، لأنهم لو قالوا فأخطأوا أبداً لما كان عجبا ، لأنه ليس بعجب أن يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل أن يكون ، ومن اعجب العجب أن يوافق قلوبهم بعض ما يكون ، وقد نجد المنجمين يختلفون في القضية الواحدة ويخطئون في أكثرها . وقد نجد الرسول يخبرهم عما يأكلون وشربون ويدخرون ويضمرون في الأمور الكثيرة المعاني والمختلفة في الوجوه حتى لا يخطيء في شيء من ذلك . وليس في الأرض منجم ذكر شيئاً أو وافق ضميراً إلا وأنت واجد بعض من يزجر قد يجيء بمثله وأكثر منه .

فإن قلت : إن الناس يكذبون في الإخبار عن الأعصاب والكهان من كل

جيل !

قلنا : فهم في إخبارهم عن المنجمين أكذب . وبعد ، فالناس غير مستمظمين
نكثرة كذب المنجمين وخطئهم وخذعهم ، والناس يستمظمون اليسير من المرسلين
عليهم السلام . وكلما كان الرجل في عينك أعظم وكان عن الكذب أزجر كان كذبه
عندك أعظم . وإنما المنجم عند العوام كالطبيب الذي إن قتل المريض علاجه كان
عندهم أن القضاء هو الذي قتله ، وإن برأ كان هو أبراه . على أن صوابهم أكثر
ودليلهم أظهر . وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم
دون أن يولدوا لهم ويضعوا الأعاجيب على السنتهم ، وكل ملحد في الأرض
[مبغض] للرسول طامن عليه عائب له ، يرى أن يصدق عليه كل كذاب يريد
ذمه ، وأن يكذب كل صادق يريد مدحه .

وبعد فلو كان خبر المنجمين في الصواب كخبر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة
والسلام الذي هو حجة لما كان خبر المنجمين حجة .

فان قلت : ولم ذاك ؟ قلت لأن من كثر صوابه على غير استدلال ومقايضة
وعلى غير حساب ونجربة أو على نظر ومعينة ، لم يكن الأمر من قبل الوحي ، لأنك
لو قلت قصيدة في نفسك فحدثك بها رجل وأنت تعلم أنه ليس بمنجم وأنشدكها
كلها لعلمت أن ذلك لا يكون إلا بوحي ، ومثل ذلك رجل اشتد وجع عينه فعالجه
طبيب فبريء فلو جعل الطبيب ذلك حجة على نبوته لوجب علينا تكذيبه . ولو قال
رجل من غير أن يمسه أو يدنو إليه : اللهم إن كنت صادقا عليك فاشفه الساعة ا
فبريء من ساعته ، لعلمنا أنه صادق . فان قالوا : وما علمنا أن محمدا عليه
الصلاة والسلام لم يكن منجماً ؟ قلنا : إن علمنا بذلك كعلمنا بأن العباس وحمزة
وعليا وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا منجمين ولا أطباء
متكهنين . وكيف يجوز أن يصير إنسان عالماً بالنجوم من غير أن يختلف إلى المنجمين
أو يختلفوا إليه أو يكون علم النجوم فاشيا في أهل بلاده أو يكون في أهله واحد
معروف به ، ولو بلغ إنسان في علم النجوم وليست معه علة من هذه العلة وكان
ذلك يخفى لكان ذلك كبعض الآيات والعلامات ا ومتى رأينا حاذقاً بالكلام أو
بالطب أو بالحساب أو بالغناء أو بالنجوم أو بالعروض خفي على الناس موضعه

وسببه وجميع ما ذكرنا فعناية الناس به وهداوتهم له وشهرته في نفسه دون محمد ﷺ . وهل نسب أحد قط لأحد إلا دون ما نسب له رهطه وأداني أهله ومن معه في بيته وربعه ؟؟ وما أعرف يرحمك الله المعاند والمسترشد والمصدق والمكذب ينكر أن محمدا ﷺ لم يكن منجما ولا طبيا ، وإذا قال الجاهل إنه قد كان يعلم الخط فخفى له ذلك ، وتعلم الأسباب والقضاء في النجوم فخفى له ذلك ، وتعلم البيان وقدر منه على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك ، أليس مع قوله ما يعلم خلافه يعلم أنه قد سلم له أعجوبة كأعجوبة إبراء الأكمة والأبرص والمشي على الماء ؟ إذ كان ذلك لا يجوز ولا يمكن في الطبائع والعقل والتجربة .

وافهم يرحمك الله ما أنا واصف لك ، هل يجد التارك لصديقه أنه لا يدري بزعمه لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ناظراً لنفسه غير معاند لحجة عقله ، وهو لم يجد أحداً قط برع في صناعة واحدة فخفى على الناس موضعه بكل ما حكينا وفسرنا ؟ وأنت كيف تعلم أنه ليس في إخوانك من ليس بمنجم وأن فيهم من ليس بطبيب إلا بمثل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وسلم وآله منه ! وكيف لم يشتهر ذلك ، ولم لم يحتج به عليه ؟ ولقد بلغ من إسرائفهم في شتمه وإفراطهم عليه أن نافقوا وأحالوا لأنهم كانوا يقولون له أنت ساحر وأنت مجنون . وإنما يقال للرجل ساحر لخلافته وحسن بيانه ولطف مكائده وجودة مداراته وتحببه ، ويقال مجنون لصد ذلك كله .

لفصل منه - وليس ينتفع الناس بالكلام في الأخبار إلا مع التصديق ، ولا تصادق إلا مع كثرة السماع والعلم بالأصول ، لأن رجلاً لو نازع في الأخبار وفي الوعد والوعيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والفريضة والنافلة والسنة والشريعة والاجتماع والفرقة ، ثم حسنت نيته وناصرع عن نفسه ، لما عرف حقائق باطل دون أن يكون قد عرف الوجوه وسمع الجمل وعرف الموازنة وما كان في الطبائع وما يمتنع فيها ، وكيف أيضا يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل ، وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق ؟

واعلم أن من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف ، والنفس عزوف فما صودتها من شيء جرت عليه ، والمتخير إلى تقوية قلبه ورد قوته عليه وإفهامه موضع رأيه وتوقيفه على الأمر الذي شغل صدره أخرج منه إلى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله والمجيء الذي لا يكذب مثله . وستكلف من علاج دائه وترتيب إفهامه إن أعان على نفسه بما لا يبقى سبباً للشك ولا علة للضعف والله تعالى المعين على ذلك والمحمود عليه .

فصل منه - ومتى سمعنا نبي الله عليه السلام اتكل على عدالته وعلى معرفة قومه بتقديم طهارته وقلة كذبه دون أن جاءهم بالعلامات والبرهانات ؟ ولعمري لو لم نجد الحافظ بنسي والصادق يكذب والمؤمن يبدل لقد كان ما ذهبوا إليه وجها .

[٢٣ - الدعاء المستجاب حجة على النبوة]

فصل منه في ذكر دلائل النبي ﷺ ، وباب آخر يعرف به صدقه وهو إخباره عما يكون وإخباره عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ، ولدعائه المستجاب الذي لا تأخير فيه ولا خلف له ، وذلك أن النبي ﷺ حين لقي من فريش والعرب ما لقي من شدة أذاهم له وتكذيبهم إياه واستعانتهم عليه بالأموال والرجال دعا الله عز وجل أن يجذب بلادهم وأن يدخل الفقر في بيوتهم فقال ﷺ : اللهم سنين كسبي يوسف اللهم أشدد وطأتك على مضر . فأمسك الله عز وجل عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع وماتت المواشي وحتى اشتروا القد والعلهز ، فعند ذلك وفد حاجب بن زرارة على كسرى يشكو إليه الجهد والأزل ويستأذنه في رعي السواد ، وهو حين ضمنه عن قومه أرهنه قوسه . فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الأزل وبلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعظة منها عاد بفضلته ﷺ على الذي بدأهم به فسأل ربه الخصب وإدرار الغيث ، فأتاهم منه ما هدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم ، فكلموه في ذلك فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . فأمطر الله عز وجل ما حولهم وأمسك عنهم . وكتب إلى كسرى يدعوه إلى نجاته وتخليصه من كفره فبدأ باسمه على اسم فأنف من ذلك كسرى لشقوته وأمر بتمزيق الكتاب .

فلما بلغه ﷺ قال : اللهم مزق ملكه كل ممزق . فمزق الله جل وعز ملكه وجذ أصله وقطع دابره . لأن كل ملك في الأرض وإن كان قد أخرج من معظم ملكه فهو مقيم على بقية منه ، وذلك أن الإسلام لم يترك ملكا بحيث تناله الحوافر والأخفاف والأقدام إلا أزاله عنه وأخرجه منه إلى عقاب يعتصم بها ومعاقبل يأوي إليها أو طرده إلى خليج منيع لا يقطعه إلا السفن . فهم من بين هارب قد دخل في وجار أو اختفى في غيضة أو مقيم على فم شعب ورأس مضيق ، قد سخت نفسه عن كل سهل وأسلم كل مرج ، أو ملك لاقرار له وليس بلذي مدر فيؤق وإنما أصحابه أكراد يطلبون النجعة أو كخوارج يطلبون الغرة . فأما أن يكون ملك يصمد لهم ويقوم بازائهم ويغاديهم الحرب ويمسيهم ويساجلهم الظفر ويناهضهم ، كما كانت ملوك الطوائف ، وكالذي كان بين فارس والروم فلا ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

فلم يرض أن أظهر دينه حتى جعل أهله الغالين بالقدره والظاهرين بالمنعة والأخذين الإتاوة . وكتب كسرى إلى فيروز الديلمي وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن : أن احملي هذا العبد الذي بدأ بأسمه قبل اسمي واجترأ عليّ ودعاني إلى غير ديني . فأتاه فيروز فقال : إن ربي أمرني أن أملكك إليه . فقال ﷺ : إن ربي أخبرني أنه قد قتل ربك البارحة ، فأمسك على ريث ما يأتيك الخبر فإن تبين لك صدقي وإلا فأتني على أمرك . فراع ذلك فيروز وهاله وكره الإقدام عليه والاستخفاف به . فإذا الخبر قد أتاه أن شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله . فأسلم وأخلص ودعا من معه من بقية الفرس إلى الله عن ذكره فأسلموا .

فصل منه - في ذكر النبي ﷺ : ثم إن الذي تقدمه ﷺ من البشارات من الكتب المتقدمة في الأزمان المتباعدة والبلدان الموجودة بكل مكان ، على شدة عداوة أهلها وتعصب حاملها ومع قوة حسدهم وشدة بغيتهم ، وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم ، على أنهم أشبه بأبائهم ، منهم بأزمانهم ، وكل الناس

أشبه بأزمانهم منهم بأبائهم ، وآبائهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم السلام
وتعتوا رسلهم غضب الله عليهم حتى خلاهم الله عز وجل من يده وأفقدهم عصمته
وتوفيقه ، ولم أستدل على ذكره في التوراة والأنجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به
في الكتب إلا لأنك متى وجدت النصراني واليهودي يسلم بأرض الشام وجدته يعتل
بأمور ويحتج بأشياء مثل الأمور التي يحتج بها من أسلم بالعراق ، وكذلك من أسلم
بالحجاز ومن أسلم باليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر ، وكيف يتلاقون
ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ! ولو كانوا كذلك لظهر ذلك ولم
ينكتم ، كما حكينا قبل هذا ، ولو قابلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الألفاظ
واختلاف المعاني لوجدتها متساوية .

فصل منه - فإن قال قائل : لم كانت أعلام موسى عليه السلام في كثرتها مع
غى بني اسرائيل ونقصان أعلام القبط في وزن أعلام محمد ﷺ وفي قدرها مع أعلام
قريش وعقول العرب ؟ ومتى أحبت أن تعرف غى بني اسرائيل ونقص أعلام القبط
ورجحان عقول العرب وأعلام كنانة فانظر بواديهم ورباعهم وانظر إلى بنيهم
وبقايهم كما نظرت إلى غى بني اسرائيل ونقص بني من مضي من القبط تعتبر ذلك
وتعرف ما أقول . ثم انظر في الأشعار الصحيحة والخطب المعروفة والأمثال المضروبة
والألفاظ المشهورة والمعاني المذكورة مما نقلته الجماعات عن الجماعات وكلام العرب
ومعانيهم في الجاهلية ، ثم تفقد وسيل أهل العلم والخبرة عن بني اسرائيل فإن
وجدت لهم مثلاً سائراً كما تسمع للقبط والفرس فضلاً عن العرب فقد أبطلنا فيما
قلنا . وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف وينشئ عدة أمثال كل واحد منها
ركن يبنى عليه وأصل يتفرع منه . أو هل تسمع لهم بكلام شريف أو معنى
يستحسنه أهل التجربة وأصحاب التدبير والسياسة أو حكم أو حكمة أو حلق في
صناعة مع ترادف الملك فيهم وتظاهر الرسالة في رجالهم ، وكيف لا تقضي عليهم
بالغنى والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبهه لا بمن كان في المبدأ ولا بمن
كان في المحضر ولا من قاطني السواد ولا من نازلي الشام ، ثم انظر إلى اولادهم
مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا هل غير ذلك من أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم

وأحلامهم وآدابهم وفطنهم ؟ فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم ، وليس النصارى كاليهود ، لأن اليهود كلهم من بني إسرائيل إلا القليل . وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم لأن مناكحهم مقصورة فيهم وهبوسة عليهم قصورا ولم يؤداة إلى آخره ، وظنوا أسلافهم مردودة على أخلافهم ثم اعتبر بقولهم لنبيهم عليه السلام : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة ﴾ حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها وكقولهم ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ وكعكوفهم على عجل صنع من حلبيهم يعبدونه من دون الله بعد أن أراه من الآيات ما أراهم ، وكقولهم ﴿ إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ فكان الذي جاء به موسى عليه السلام مع نقص بني إسرائيل والقبط مثل الذي جاء به محمد مع رجحان قريش والعرب . وكذلك وعد محمد عليه الصلاة والسلام بنار الأبد كوعيد موسى بني إسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم والهم على أفئدتهم وتسليط الموتان على ماشيتهم وباخراجهم من ديارهم وأن يظفر بهم عدوهم ، فكان تعجيل العذاب الأبد في استدعائهم واستمالتهم وردعهم عما يريد بهم وتعديل طبائعهم ، كتأخير العذاب الشديد على غيرهم ، لأن الشديد المؤخر لا يزعج إلا أصحاب النظر في المواقب أصحاب العقول التي تذهب في المذاهب فسبحان من خالف بين طبائعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم في دنياهم ومرآشدهم في دينهم .

[٢٤ - حيز العرب عن معارضة القرآن حجة]

مع أن محمداً ﷺ هصوص بعلامة لها في العقل موقع كموقع فلق البحر من العين ، وذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والهلهاء وأصحاب الرأي والمكينة والتجارب والنظر في العاقبة : إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي وصدقتم في تكذبي . ولا يجوز أن يكون مثل العرب في كثرة عددهم واختلاف عليلهم والكلام كلامهم وهو سيد عملهم قد فاض بياهم وجاشت به صدورهم وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا في الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والحنافس والجعلان والحمير والحمام

وكلمها دب ودرج ولاح لعين وخطر على قلب ، ولهم بعد أصناف النظم وضروب
التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والاسجاع والمنثور ، وبعد فقد هجوه
من كل جانب ، وهاجى أصحابه شعراءهم ، ونازعوا خطباءهم ، وحاجوه في
المواقف ، وخاصموه في المواسم ، وبادروه العداوة ، وناصبوه الحرب ، فقتل منهم
وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا وأذكرهم خيرا أو لشر وأنفاهم له
وأهجاهم بالمعجز وأمدحهم بالقوة ثم لا يعارضه معارض ولم يتكلف ذلك خطيب
ولا شاعر ! . ومحال في التعارف منكر في التصديق أن يكون الكلام أخصر عندهم
وأيسر مؤنة عليهم ، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض لقوله وأجدر أن يعرف ذلك
أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به وهم يبذلون مهجهم وأموالهم
ويخرجون من ديارهم ، في إطفاء أمره وفي توهين ما جاء به ولا يقولون بل لا يقول
واحد من جماعتهم : لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم
والخيلة في أمره يسيرة والمأخذ في أمره قريب ؟ ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم
كلما في نظم كلامه كأقصر سورة مجدلكم بها وكأقصر آية دعاكم إلى معارضتها ،
بل لو نسوا ما تركهم حتى يذكرهم ، ولو تغافلوا ما ترك أن ينبههم ، بل لم يرض
بالتنبيه دون التوقيف ، فدل ذلك العاقل على أن أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد
أمرين : إما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الإضراب
عن ذكره والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرعهم به أمثل لهم في التدبير وأجدر أن
لا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف وأجدر أن يجذوا إلى الدعوى سيلا وإلى
اختداع الأنبياء سببا ، فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه وهو قوله عز ذكره
﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ وهل يذعن
الأعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالمعجز والتوقيف على النقص ثم لا يبذلون
مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وأطلبه بطائلة ،
وقد سمعوه في كل منهل وموقف ! . والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغات ،
فمن كان شاهدا فقد سمعه ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده ، وإما أن يكون
غير ذلك ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها ، لأنه لا يجوز

على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكهاء مع اختلاف عقولهم وبعد همهم
وشدة عداوتهم على بذل الكثير وصون اليسير ، وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل
الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف ، فكيف على
الأعداء ؟ لأن تحبير الكلام أهون من القتال ومن إخراج المال ، ولم يقل إن القوم قد
تركوا مسألتهم في القرآن والظعن فيه بعد أن كثرت خصومتهم في غيره ، وبذلك على
ذلك قوله عز وجل ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ وقوله
عز ذكره : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا لئن أتت بقرآن
غير هذا أو بدله ﴾ وقوله تعالى ذكره : ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه
وأحانه عليه قوم آخرون ﴾ ، وبذلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على أن
التقريع لهم بالعجز كان فاشياً ، وأن عجزهم كان ظاهراً ، ولم يكن النبي ﷺ
تحداهم بالنظم والتأليف ولم يكن أيهاً أزاح علتهم حتى قال تعالى : ﴿ قل فأتوا
بمشر سور مثله مفتريات ﴾ وعارضوني بالكذب لقد كان في تفصيله له وتركيبه
وتقديمه له واحتجاجه ما يدعو إلى معارضته ومغالبة وطلب مساويه ، ولو لم يكن
تحداهم في كل ما قلنا وقومهم بالعجز عما وصفنا ، وهل هذا إلا تمديحه له واكثاره
فيه لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومغالبة وطلب تكذيبه ، إذ كان كلامهم وهو
سيد عملهم والمؤونة فيه أخف عليهم وقد بدلوا النفوس والأموال ، وكيف ضاع منهم
وسقط على جماعتهم نيفا وعشرين سنة مع كثرة عددهم وشدة عقولهم واجتماع
كلمتهم ، وهذا أمر جليل الرأي ظاهر التدبير .

فصل منه - في كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها - : والذي
منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء وإسحق بن طالت والنعمان بن
المنذر وأشباههم من الأرجاس الذين استبدلوا بالعز ذلاً وبالإيمان كفراً وبالسعادة
شقوة وبالحجة شبهة ، بل لا شبهة في الزندقة خاصة ، فقد كانوا يصنعون الآثار
ويولدون الأخبار ويشؤونها في الأمصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهه وعن
خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله . وليس شيء مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل
غبي ولا معاند ذكي .

فصل منه - ولما كان أعجب الأمور عند قوم فرعون السحر ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاماً فيه منهم في زمانه ، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه وكشف ضعفه وإظهاره ونقض أصله لردع الأغبياء من القوم ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام ، لأنه لو كان أتاهم بكل شيء ولم يأثمهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحججة والحيلة لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة ولاعتل به أصحاب الأشغال ولشغلوا به بالضعيف ، ولكن الله تعالى مجده أراد حسم الداء وقطع المادة وأن لا يجد المبطلون متعلقاً ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً ، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات وضروب العلامات . وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله وعلى خاصة علمائه الطب ، وكانت عوامهم تعظمهم على خواصهم ، فأرسله الله عز وجل باحياء الموتى ، إذ كانت غايتهم علاج المرضى وإبراء الأكف ، وإذ كانت غايتهم علاج الرمد . مع ما أعطاه الله تعالى عز وجل من سائر العلامات وضروب الآيات . لأن الخاصة إذا نجعت بالطاعة وقهرتها الحججة وعرفت موضع العجز والقوة وفصل ما بين الآية والحيلة ، كان أنجع للعامة وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقية . وكذلك دهر محمد ﷺ كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به ، فحين استحكمت لغتهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم ، بعثه الله عز وجل فتحدهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه ، فلم يزل يقرعهم بمجزهم وينقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخواصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط ، مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات . ولكل شيء باب ومأتى واختصار وتقريب ، فمن أحكم الحكمة إرسال كل نبي بما يفهم أعجب الأمور عندهم ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم .

[٢٥ - اجتماع محامد الأخلاق في النبي حجة]

فصل منه : في ذكر أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام - وآية أخرى لا

يعرفها إلا الخاصة ، ومعنى ذكرت الخاصة فالعامية في ذلك مثل الخاصة . وهي الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشرى قط قبله ، ولا تجتمع لبشرى بعده ، وذلك أنا لم نرو ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كعلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجده ولا كصدق لهجته وكرم عشرته ، ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كقلة تلونه ولا كغفوه ولا كدوام طريقتة وقلة امتنائه . ولم نجد شجاعاً قط إلا وقد جال جولة وفرفرة وانحاز مرة من معدودي شجعان الإسلام ومشهوري فرسان الجاهلية كفلان وفلان . وبعد فقد نصر النبي ﷺ وهاجر معه قوم ولم نر كنجدهم نجدة ولا كصبرهم صبراً ، وقد كانت لهم الجولة والفررة ، كما قد بلغك عن يوم أحد وعن يوم حنين وغير ذلك من الوقائع والأيام ، فلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري أن يحدث أن محمداً ﷺ جال جولة قط أو فرفرة قط أو خار عن غزوة أو هاب حرب من كائنه .



مركز تحقيقات علوم و تاریخ اسلامی

هامش حجج النبوة

(١) في المقدمة يعدد الجاحظ المسائل التي سيعالجها في الرسالة أهمها التفرقة بين الحجة والشبهة وحجج النبوة وأنواع الاخبار والحاجة إليها وأخلاق الناس وشرايع الأنبياء وأسباب اذاعة الاخبار ويعد بأنه سيقسم الاخبار ويجعلها مراتب ثم يذكر حجج الرسول ثم يبحث في اجناس الآثار ومنازلها . ولم يف الجاحظ بكل ما وعد ، فلا نجد في رسالته كلاماً في الآثار واجناسها ومراتبها ، وربما بحث هذا الموضوع ولكن آفة الضياع أتت عليه وهذا هو الأرجح لأن الرسالة لم تصلنا كاملة .

(٢) يعرف الحجة ويبين أنواعها . الحجة هي الدليل ، وهي نوعان : العميان والخبر . فهناك إذاً مستدل ودليل ، المستدل هو العقل والدليل يكون عياناً أو خبرياً ، والعميان والخبر أصلاً الاستدلال والاستدلال هو الفرع . ودلائل النبوة هي علامات النبي وبراهينه وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه .

(٣) لم أهمل السلف جمع حجج النبوة ؟ مسألة تقلق الجاحظ فيحاول معرفة أسباب ذلك الإهمال والاهتفال . ويبنّي عدم رضاه عن ذلك الإهمال ويقول : لو أن السلف جمعوا حجج النبوة كما جمعوا القرآن لما استطاع اليوم دفعها أو الطعن فيها أو الشك فيها الزنادقة والدهريون والمجان وضعفاء العقول والاحداث المفرورون . ويشير الجاحظ الى الفئات التي تثير الشكوك حول الدين في نفوس الجهال العامة والاحداث وتمثل بالمشركين والمجوس « والدخلاء الذين نطقوا بالستنا » يعني بهم الاعاجم أو غير العرب .

(٤) لم يجمع السلف الحجج لظهورها واستفاضة أمرها . وإذا كان الأمر كذلك أي إذا كانت الحجج ظاهرة واضحة فلم شك فيها الجهال والاحداث والسفهاء والخلفاء ؟ يمزو الجاحظ ذلك الى قلة مبالاة هؤلاء وحدائتهم كما يمزوه الى اهتمامهم بدقيق الكلام قبل علمهم بجليله فعجزت عقولهم عن فهمه وضلوا السبيل . وهو يعني بدقيق الكلام المسائل الفلسفية وبجليل الكلام المسائل الدينية .

(٥) وربما كان سبب عدم جمع الحجج هو صرف الله الأسلاف عن هذا العمل « ليمتنع غيرهم

في آخر الزمان وليعرضهم لطاعته بالذبح عن دينه .

(٦) إن السلف اهتموا ببطب القراءات وجمع القرآن لشدة الاختلاف في القراءات او لكثرتها وتفشيها ثم لأنه يمكن تناول كلمة من هنا وكلمة من هناك وتأليفها في آية والقرول أيا كلها مأخوذة من القرآن .

(٧) ينبغي جمع حجج النبوة من قبل العلماء اليوم كما جمعت القراءات والآيات من قبل السلف بالامس ذرءاً للخلاف بين المسلمين . وكما حمل الناس على قراءة زيد لأنها أحق من غيرها وأن كانت سائر القراءات حق ، كذلك يجب حمل الناس على اعتماد حجج النبوة المجموعة على اعتبارها أحق من غيرها . وينطلق الجاحظ في رأيه هذا من مبدأ يقول ان للحق درجات وللخلاف درجات وللحرام درجات وللحسن درجات ويعطي مثل ولي المقبول الذي له حق قتل الجاني وله حق الصنح ، والصنح أفضل .

(٨) الاسباب التي حملت الجاحظ على تأليف حجج النبوة : ليسهل حفظها على من يجهلها ، وليزداد بصيرة بها من يعلمها ، وليكتمل علم من يعرف بعضها فقط ، ولإزالة الشبهة في نفس الشاك والملحد .

(٩) حاجة الناس الى الاخبار تفسر بأمر هدة : يحتاج الناس الى الاخبار للاعتبار بها وفي الاعتبار علم وفي العلم فضل . ويحتاج الاعتبار الى آلة ، هذه الآلة هي العقل ، والعقل حريزة تحتاج في عملها الى معونة الحواس ، والى توافر الحوائج التي تهيئها للعمل .

(١٠) ويحتاج الناس الى الاخبار لأنهم لا يتركرون مصالحهم بأنفسهم وبالاعتماد على عقولهم فقط ان الاخبار عن القرون الماضية ، وآداب المرسلين وكتب الأولين تشحن الأذهان وتدعو الى التفكير .

(١١) ويحتاج الناس الى الاخبار لأن الدين لم يشهدوا حجج الرسل وعجائب الانبياء ولم يعيشوا في الأزمنة التي ظهر فيها هؤلاء لا بد لهم من أن يطلعوا عليها ممن شاهدوها عن طريق الرواية او الاخبار او كما يقول الجاحظ لا بد من ان يطلع الغائبون على اخبار المعاصرين . وهؤلاء المعاصرون المخبرون لا يمكن كثرتهم ان تتفق على تفرص الخبر الواحد لاختلاف طبائعهم .

(١٢) ان اختلاف طبائع الناس هو سر توافقتهم ، وفي توافقتهم مصلحتهم . ولو كان الناس خسريرين في الأمور المتضقة والمختلفة لاختراروا جميعاً الملك وذهبوا عن سائر المهن كالبيطرة والقصابية والديباغة والحجامة وفي ذلك بطلان المصلحة والهلاك .

ثم إن اختلاف الناس في مهولهم المهنية يفسر برأي الجاحظ باختلاف طبائعهم . مثل إنسان يميل بطبعه الى عمل من الأعمال يتلاءم مع استعداد طبيعي يحملة بالفطرة .

(١٣) وحب الوطن والتعلق بالبلاد التي ينشأ فيها القوم مهما كانت احوالها المناخية من السوء او

الطبية يفسر بنظر الجاحظ باختلاف طبائع الناس .

(١٤) وكذلك يفسر الجاحظ اختلاف الاسماء باختلاف الطبائع ، وفي اختلاف الاسماء يمكن التمييز بين الناس والتفريق بين المعاملات .

(١٥) واذا كان الناس مسخرين في مهولهم المهنية وافواقهم الجمالية فانهم غير مسخرين في الأمور الخلقية ، وبعض الناس وان كانوا مسخرين للحياكة فليس بمسخر للفسق والحياثة والصدق والامانة . وهذا رأي يحتاج الى نقاش لان الجاحظ يمكن ان يكون قد وقع بالتناقض .

(١٦) ومن نتائج اختلاف الطبائع امكانية البيع والشراء بين الناس . فلو كان المشتري يتفق رأيه في السلعة مع البائع لما أقدم على الشراء ولما أقدم البائع على البيع ولتمسك المشتري بتقوده وتمسك البائع بسلعته .

(١٧) ومن نتائج اختلاف الطبائع تنوع الاذواق في الاطعمة .

(١٨) واختلاف الطبائع هو سبب هدم اتفاق الناس الكثيرين على تخرص الخبر الواحد . ولو اتفقت طبائعهم في جهة الاخبار لفسدت اخبارهم وفي فساد اخبارهم فساد علمهم وبطلان المعرفة بانبيائهم .

(١٩) يميز الجاحظ بين صحة الخبر ووجوده . ان العدد الكثير من الناس قد يجتمعون على تكذيب الخبر او تصديقه ولكنهم لا يجتمعون على وجوده . فهم يجتمعون على تكذيب محمد كما فعل اليهود ولكنهم لا يجتمعون على وجود محمد او ظهوره في زمن معين وفي بلاد معينة .

(٢٠) اسباب الاهتمام بالاخبار العجيبة او ذات الموضوعات المشهورة .

(٢١) اعتراض هل كون الاخبار حجة على النبوة : ان الحجة على النبوة ينبغي ان تتخذ شكل المعجزة وتخرج عن طاقة البشر . والاخبار من صنع البشر فلا يمكن ان تعتبر حجة . وجاء رد الجاحظ كما يلي : انا لا أزعم أن الاخبار حجة وانما أزعم ان مجيئها حجة ، والمجيء ليس امراً يتكلفه الناس لتوضيح فكرته يعطي مثل الانسان الذي تلقي البصريين لدى اوتهم من الحج فيخبرونه أنهم عاينوا شيئاً في مكة ، ثم يلقى الكوفيين فيخبرونه بمثل ذلك فيعلم انهم صدقوا اذ ان مثلهم لا يتواطأ على خير واحد بسبب اختلاف طبائعهم وهمم واسبابهم .

(٢٢) اعتراض آخر هل كون الاخبار حجة : ان المنجم كالنبي يجبر بالغيب فلم لا تصدقه . وكان جواب الجاحظ ان ثمة فرقاً بين النبي والمنجم : ان المنجمين خطاهم كثير وصوابهم قليل بعكس النبي الذي يجبر الناس عما يأكلون ويشربون ويدخرون ويضمرون في الأمور الكثيرة ولا يخطيء في شيء من ذلك . واذا قيل لم لم يكن محمد منجماً اجاب الجاحظ : كيف يكون محمد منجماً وهو لم يختلف الى المنجمين ولم يكن علم التنجيم يتشراً في مكة ، ولم يدع أحد أنه كان منجماً .

(٢٣) الدهاء المستجاب آية من آيات النبوة . ويذكر الجاحظ بعض الادعية التي استجاب الله لها .

لمنها طلب النبي من الله ان يجس المطر عن بلاد العرب ، ومنها طلبه اليه ان يمزيق ملك كسرى كل ممزق .

(٢٤) إعجاز القرآن من حجج النبوة . لقد تحدى النبي العرب وهم معدن الفصاحة ان يمارضوا القرآن فلم يفلحوا . والمعجزات تختلف باختلاف أوضاع الناس في مدى الدهور. ان العرب في عصر النبي كانوا يجلون البهائم ويتفوقون في البلاغة فيتحداهم النبي في الأمر الذي تفوقوا به . بينما كانت معجزة موسى السحر لأن السحر كان غالباً على قومه . وكانت معجزة عيسى الطب وشفاء المرضى لأن أهل عصره كان الطب غالباً عليهم .

(٢٥) اجتماع مآسن الاخلاق حجة تدل على نبوة محمد . لقد عرف النبي بالشجاعة والحلم والعلم والكرم وجميع الصفات الجليلة .



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی



[١ - مقدمة]

ثبتك الله بالحجة ، وحصن دينك من كل شبهة ، وتوفناك مسلماً ، وجعلك من الشاكرين : قد أعجبتني حفظك الله استهداؤك العلم وفهمك له ، وشغفك بالانصاف وميلك إليه ، وتمظيمك الحق وموالاةك فيه ، ورغبتك عن التقليد وزرايتك عليه ، ومواترة كتبك على بعد دارك وتقطع أسبابك وصبرك إلى أوان الامكان ، واتساعك عند تضايق العذر .

[٢ - مقتطفات من الرسالة التي تلقاها الجاحظ]

وفهمت حفظك الله كتابك الأول وما حثت عليه من تبادل العلم والتعاون على البحث والتحاب في الدين والنصيحة لجميع المسلمين . وقلت : اكتب الي كتابا تقصد فيه إلى حاجات النفوس وإلى صلاح القلوب وإلى معتلجات الشكوك وخواطر الشبهات ، دون الذي عليه أكثر المتكلمين من التطول ومن التعمق والتعقيد ، ومن تكلف ما لا يجب وإضاعة ما لا يجب ، وقلت : كن كالمعلم الرفيق والمعالج الشفيق الذي يعرف الداء وسببه والدواء وموقعه ويصبر على طول العلاج ولا يسأم كثرة الترداد . وقلت : اجعل لمهارتك التي إياها تؤمل وصناعتك التي إياها تعتمد إصلاح الفاسد ورد الشارد . وقلت : ولا بد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع ومن حسم كل خاطر وقمع كل ناجم وصرف كل هاجس ودفع كل شاغل حتى

تتمكن من الحججة وتتهنأ بالنعمة وتحمد راحة الكفاية وتثلج ببرد اليقين وتغضي الى حقيقة الأمر . وإن كان لا بد من عوارض العجز ولواحق التقصير ، فالبر لها أجمل والضرر علينا في ذلك أيسر ، وقلت : إبدأ بالأخف فالأخف وبكل ما كان أتق في السمع وأحلى في الصدور . وبالباب الذي منه يؤق المريض المتكلف والجسور المتعجرف وبكل ما كان أكثر علماً وأنفذ كيداً ، وسألتي بتفتيح الاستداد والعجلة الى الاعتقاد وصفة الأناة ومقدارها ومقدمات العلوم ومتهاها ، وزعمت أن من اللفظ ما لا يفهم معناه دون الإشارة ودون معرفة السبب والهيشة دون إعارته وركته وتحديدته واحتيازه . وقلت : فإن أنت لم تصور ذلك كله صورة تغنى عن المشافهة ويكتفى بظاها عن المراسلة أحوجتنا الى لقائك على بعد دارك وكثرة أشغالك وصل ما تخاف من الضيحة وفساد المعيشة .

[٣ - كتاب نظم القرآن]

فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن والرد على طعان ، فلم أدر فيه مسألة لرافضي ولا لحدشي ولا لحشوي ، ولا لكافر مباد ولا لمنافق مفسوخ ولا لأصحاب النظام ولن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة ، فلما ظننت أني قد بلغت أقصى محبتك وأتيت على معنى صفتك أتاني كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ولم أك أن أحدث لك فيها تأليفة ، فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلها وأغمضها معنى وأطولها طولاً .

[٤ - الأسباب التي حفزته على تأليف كتاب خلق القرآن]

ولولا ما اهتملت به من اعتراض الرافضة واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر وأبي كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجاز دون الحقيقة ، وأن متكلمي الحشوية والناطقة قد صار لهم مناظرة أصحابنا وبقرأة كتبنا بعض الفطنة ، لما كتبت لك رغبة بك عن أقدارهم وضنا بالحكمة عن

أشارهم ، وإنما يكتب على الخصوم الاكتفاء وللأولياء على الأهداء ، ولن يرى للنظر حقاً ولنلعم قدرأ وله في الانصاف مذهب وإلى المعرفة سبب . وزعمت أنك لم تر في كتب أصحابنا إلا كتابا لا تفهمه أو كتابا وجدت الحجة على واضح الكتاب فيه أثبت . وقلت : وإياك أن تتكل على مقدار ما عندهم دون أن تعصر قوى باطلهم وتوفهم جميع حقوقهم وإذا تقلدت الأخبار عن خصمك لحظة كحياطتك لنفسك ، فإن ذلك أبلغ في التعليم وآيس للخصوم . وقلت : وزعموا أنه يلزمك أن تزعم أن القرآن ليس بمخلوق إلا على المجاز كما ألزم ذلك نفسه معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من ذهب مذهبهم وقاس قياسهم . فتتهم فهمك الله تعالى ما أنا واصفه لك ومورده عليك .

[٥ - نقد من يقول ان القرآن مخلوق على المجاز]

إعلم أن القوم يلزمهم ما ألزموه أنفسهم ، وليس ذلك إلا لعجزهم عن التخلص بحقهم وإلا لذهابهم عن قواعد قوتهم وفروع أصولهم ، فليس لك أن تضيف العجز الذي كان منهم إلى أصل مقالاتهم وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم ، فرب قول شريف الحسب جيد التركيب وافر العرض بريء من العيوب سليم من الألف قد ضيحه أهله وهجنه المفترون عليه ، فالزموه ما لا يلزمه وأضافوا إليه ما لا يجوز عليه . ولوزعم القوم على أصل مقالاتهم أن القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع والنظم والتأليف وأنه ليس بصوت ولا تقطيع ولا تأليف ، إذ كان الصوت عندهم لا يخترع كماخترع الاجسام المصورة ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الاجرام المتجسدة ، والصوت عرض لا يحدث من جوهر إلا بدخول جوهر آخر عليه ، ومحال أن يحدث إلا وهناك جسمان قد صك أحدهما صاحبه ، ولا بد من مكانين مكان زال عنه ومكان زال إليه ، ولا بد من هواء بين المصطكين . والجسم قد يحدث وحده ولا شيء غيره ، والصوت على خلاف ذلك . والعرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم بغيره ، والاعراض من أعمال الاجسام لا تكون إلا منها ولا توجد إلا بها ولها ، والجسم لا يكون إلا من جسم ولا يكون إلا من مخترع

الاجسام وليست لكون الجسم له علة توجبه ، ولا يحدث إذا حدث إلا اختياراً ، إلا ابتداءً واختراعاً ، والصوت لا يكون إلا عن علة موجبة ولا يكون إلا توليداً ونتيجة ، ولا يحدث إلا من جرمين كاصطكاك الحجرين وكقرع اللسان باطن الاسنان ، وإلا من هواء يتضاغط وريح تفتحق ونار تلتهب ، والريح عندهم هواء محرك ، والنار عندهم ريح حارة ، هكذا الأمر عندهم . فلو قالوا لا يكون الشيء مخلوقاً في الحقيقة دون المجاز على مجازي اللغة إلا وقد بان الله عز وجل باختراعه وتولاه بابتداعه ، وكان منه على اختيار . والابتداع الذي يمكن تركه وإنشاء عقبة بدلا منه على ما كان تولده ونتيجته من اجسام يستحيل أن يخلق من أفعالها ويحلها الله منها . والقرآن على غير ذلك جسم وصوت ، وذو تأليف وذو نظم وتقطيع ، وخلق قائم بنفسه مستغن عن غيره ، ومسموع في الهواء ومرئي في الورق ومفصل وموصل ، ذو اجتماع وافتراق ، ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء . وكلما احتملته الاجسام ووصفت به الاجرام ، كل ما كان كذلك لمخلوق في الحقيقة دون المجاز وتوسع أهل اللغة ، فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا في القياس ووافقوا أهل الحق وكانوا مع الجماعة ولم يضاهاها أهل الخلاف والفرقة ولم يفهموا أنفسهم بقول المشبهة ، إذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل وبه أشبه . ولا يجوز أن أذكر موضع موافقتي لهم ومخالفتي عليهم في صدر هذا الكتاب ، لأن التدبير في وضع الكتاب والسياسة في تعليم الجهال أن يبدأ بالأوضح فالأوضح والأقرب وبالاصول قبل الفروع حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس ، وآخر الكلام لا يفهم أرشدك الله تعالى ولا يتوهم إلا على ترتيب الأمور وتقديم الاصول ، فإذا رتبنا الأمور وقدمنا الاصول صارت أواخر المعاني في الفهم كأوائلها ودقيقها كجليلها ، وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الاسلام أعظم فرية وأشد بلية وأشنع كفراً وأكبر إثماً من كثير مما أجمعوا على أنه كفر .

[٦ - عنة خلق القرآن]

فصل منه : وبعد فنحن لا نكفر إلا من أوسعناه حجة ، ولم نمتحن إلا أهل

التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس ولا امتحان الفئتين من هتك الستار ، ولو كان كل كشف هتكا وكل امتحان تمسأ لكان القاضي أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفاً لعورة .

والذين خالفوا في العرش إنما أرادوا نفي التشبيه فغلطوا ، والذين أنكروا أمر الميزان إنما كرهوا أن تكون الأعمال أجساماً وأجراما غلاظاً . فإن كانوا قد أصابوا فلا سبيل عليهم ، وإن كانوا قد أخطأوا فإن خطاهم لا يتجاوز بهم الى الكفر ، وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالف بالمخلوق ، فبين المذهبين أبين الفرق . وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمحصلين إحدارا وانذاراً : إمتحتني وأنت تعرف المحنة وما فيها من الفتنة ، ثم إمتحتني من بين جميع هذه الأمة ؟ قال المعتصم : أخطأت ، بل كذبت . . . وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ، ولو لم يكن حبسك على مهمة لأضى الحكم فيك ، ولو لم يخفك على الاسلام ما عرض لك ا فسؤالي إياك عن نفسك ليس من المحنة ولا من طريق الاعتساف ولا من طريق كشف العورة ، إذ كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل . وقيل للمعتصم في ذلك المجلس : ألا تبعث إلى أصحابه حتى يشهدوا إقراره ويحاربوا انقطاعه لينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقربه عندهم ؟ فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال : لا أريد أن أوتي بقوم إن أهمتهم سرت فيهم يسرون فيه ، وإن بان لي أمرهم أنفذت حكم الله فيهم ، وهم ما لم أوت بهم كسائر الرحمة وكغيرهم من عوام الأمة ، وما شيء أحب إلي من الستر ، ولا شيء أولى بي من الأناة والرفق . وما زال به رفيقاً واليه رفيقاً . ويقول : لأن استحييتك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق . حتى رآه يحاند الحجة ويكذب صراحاً عند الجواب ، وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه أن أحمد بن أبي داود قال له : أليس لا شيء إلا قديم أو حديث ؟ قال : نعم . قال : أليس القرآن شيئاً ؟ قال : نعم قال : أليس لا قديم إلا الله ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن إذا حديث ! قال : ليس أنا متكلم . وكذلك كان يصنع في جميع مسائله

حين كان يجيبه في كل ما سأل عنه حتى إذا بلغ المخفق والموضع الذي إن قال فيه
كلمة واحدة يرى منه أصحابه قال : ليس أنا متكلم . فلا هو قال في أول الأمر لا
علم لي بالكلام ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحججة خضع للحق . فمقته
الخليفة وقال عند ذلك : أف لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة . وأما الموضع الذي فيه
واجه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاكتراث وشدة التصميم فهو حين قال
له أحمد بن أبي داود : أتزعم أن الله تعالى رب القرآن ؟ قال : لو سمعت أحداً
يقول ذلك لقلت ! قال : أفما سمعت ذلك قط من حالف ولا سائل ولا من قاص
ولا في شعر ولا في حديث ؟ قال : لا لعرف الخليفة كذبه عند المسألة كما أحرف عناده
عند الحججة . وأحمد بن أبي داود، حفظك الله تعالى أعلم بهذا الكلام وبغيره من
أجناس العلم من أن يجعل هذا استفهام مسألة ويعتمد عليها في مثل تلك
الجماعة ، ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته على الكذب كما كشف لهم جرأته في
المعاندة . فعند ذلك ضربه الخليفة . وأية حجة لكم في امتحاننا إياكم وفي إكفارنا
لكم وزعم يومئذ أن حكم كلام الله تعالى كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون
علمه محدثاً ومخلوقاً فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً ومحدثاً ، فقال له : اليس
قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية وينسخ آية بآية وأن يذهب بهذا القرآن ويأتي
بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال : نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في
العلم وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره ؟ قال : لا . وقال
له : روينا في تثبيت ما نقول الأثار وتلونا عليك الآية من الكتاب وأريناك الشاهد
من العقول التي بها لزم الناس الفرائض وبها يفصلون بين الحق والباطل ! فعارضنا
أنت الآن بواحدة من الثلاث ؟ فلم يكن ذلك عنده ولا استخزي من الكذب في هذا
المجلس ، لأن عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحد أن يكون الكذب يجوز
عليه ، وقد كان صاحبكم هذا يقول : لا تقية إلا في دار الشرك . فلو كان ما أقر
به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها في دار الإسلام وقد أكذب
نفسه ، وإن كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم . هل أنه لم
ير سيفاً مشهوراً ولا ضرب ضرباً كثيراً ولا ضرب إلا بثلاثين سوط مقطوعة الثمار

مشعبة الأطراف حتى أفصح بالاقرار مراراً ، ولا كان في مجلس ضيق ولا كانت حاله حالة مؤبسة ولا كان مثقلاً بالحديد ولا ملطخ قلبه بشدة الوعيد ، ولقد كان ينازع بالين الكلام ويحيب بأهله الجواب ، ويرزنون ويخف ويحلمون ويطيش .

[٧ - الفرق بين خطأ المعتزلة وخطأ النابتة والرافضة]

وعبتم علينا إكفارنا إياكم واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث . وقتلتم تكفرونا على إنكار شيء يحتمل التأويل ويثبت بالأحاديث ؟ لقد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث وأن لا تكفروا واحداً خالفكم في شيء وأنتم أسرع الناس إلى إكفارنا وإلى عداوتنا والنصب لنا .

فصل : وأصحابنا حفظك الله إذا قاسوا خطاهم ومروا على خلعتهم فاشمأ يتفضون به شيئاً من العرض والجواهر وشيئاً من قولهم في المعلوم والمجهول فقط ، وهم قوم يكفهم من التنبيه أقله ، ومن القول بأسره . وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح ، وكفر مبالغ . فليس هذا الجنس من ذلك الجنس والحمد لله .

[٨ - موقف المحدثين والمعتزلة من العامة]

وأما إخبارهم عن عيبنا إياهم حين لم يقولوا إن الله تبارك وتعالى رب القرآن وفينا من لا يقول إن الله تعالى رب الكفر والإيمان ، فلنا لم نسألهم عن ذلك من جهة ما يتوهمون ، وإنما سألناهم عنه بجهدهم ما يرون بأبصارهم ويسمعون بأذانهم في الأشعار المعروفة ، وفي الخطب المشهورة ، وفي الابتهاج عند الدعاء ، وفي السنة العوام ، وعند اليهود والإيمان ، وعند تعظيم القرآن ، وما يسمعون من السؤال في الطرقات ، ومن القصاص في المساجد ، لا يرون عائباً ولا يسمعون زارياً . وليس أنا جعلنا هذا مسألة على من أنكر خلق القرآن . ولكننا أردنا أن نبين للضعفاء معاندتهم وفرارهم من البهت ومكابرتهم إذا سمعوا أنهم لم يسمعوا الناس يقولون : ورب القرآن ، ورب يس ، ورب طه ، وأشبه ذلك ولعمري أن لو سمعوا الناس

يقولون عند إيمانهم وابتهاهم إلى ربهم على غير قصد إلى خلاف ولا وفاق : ورب الزنا والسرقة ، ورب الكفر والكذب . كما سموهم وهم يقولون : ورب القرآن ، ورب يس ، ورب طه : ثم ألزمنهم خلق القرآن بمثل ما لهم علينا في خلق الزنا لقد كان ذلك معارضة صحيحة وموازنة معروفة . وأما قولهم : إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث ، وليس معهم إلا أصحاب الأهواء ومن يأخذ دينه من أول الرجال ؟ فأبي صاحب تقوى برحمتك الله أبعد من الجماصة من الراضية ، وهم في هذا المعنى أشقياءهم وأولياؤهم ، لأن ما خالفهم فيه صغير في جنب ما وافقهم عليه . والذين سموهم أصحاب أهوائهم المتكلمون والمصلحون والمستصلحون وأصحاب الحديث ، والعموم هم الذين يقلدون ولا يحصلون ولا يتخيرون . والتقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن قد عكسوا الأمور كما ترى ونقضوا المعادات ، وذلك أنا لا نشك أن من نظر وبحث وقابل ووزن أحق بالتيين وأولى بالحجة . وأما قولهم منا النساك والعباد ! فعباد الخوارج وحدهم أكثر عدداً من عبادهم ، هل قلة عدد الخوارج في جنب عددهم . هل أنهم أصحاب نية وأطعم طعمة وأبعد من التكسب وأصدق ورعاً وأقل زياً وأدوم طريقة وأبذل للمهجة وأقل جمعاً وتمتعاً وأظهر زهداً وجهداً . ولعل عبادة عمرو بن عبيد نفي بعبادة عامة عبادهم . وأما قولهم إن للقرآن قلباً وسناماً ولساناً وشفقتين وأنه مقدس ويشفع ويمحل . فإن هذا كله قد يجوز أن يكون مثلاً ويجوز أن يجعله الله كذلك إذا كان جسماً والله على ذلك قادر وهو له غير معجز ومنه غير مستحيل ، وكل فعل لا يكون عيباً ولا ظملاً ولا بخلاً ولا كذباً ولا خطأ في التدبير فهو جائز والتمعجب منه غير جائز .

فصل منه : وما أكثر من يجيب في المسائل ويؤلف الكتب على قدر ما يسبح له في وهمه وعلى قدر ما يتصور له في حاله تلك لا يعمل على أصله ولا يشعر بالذي انبنى عليه ذلك الأصل ، وإن كان ممن يعمل على أصل ، وإنما صار علماءنا إلى ما صاروا إليه لأنهم لا يفنون عن القول في خلق القرآن على جواب مهذب ومذهب مصفى ، وعلى قول مفروغ منه وعلى جوابات بأصابعها ، فقد رددوا فيها النظر

وامتحنوها بأغلظ المحن وقلبوها وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير وتعرفوا كل ما فيها واعتصروا جميع قواها وسهلوا سبلها وذبوا العناد عنها احتقارا منهم لمن خالفهم واتكالا على طول السلامة منهم وثقة بطول الظفر بهم . ومن تمام أمر صاحب الحق أن لا يتكل على عجز الخصم وأن لا يعجب بظهوره على من لاحظ له في العلم . وعلى العلماء أن يخافوا دول العلم كما يخاف الملوك دول الملك . وقد رأيت البكرية والجبرية والفضيلية والشمرية وإنهم لأحقر عند المعتزلة من جعل ، وما زالوا يستقون من علمائهم ويستمدون من كبرائهم ويُدرسون كتبهم ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم حتى رأيت شبيهم ونابتهم يدعون أنهم أكفأ ويجمع بينهم في البلاء ، والنابئة اليوم في التشبيه به مع الرافضة وهم دائبون في التألم من المعتزلة ، عددهم كثير ونصبهم شديد والعوام معهم والحشو ، يطعمهم الآن معك أمران السلطان وميلهم إليه وخوفهم منه . والعاقبة للمتقين .



مركز تحقيقات كچو پوز علوم اسلامی

هامش كتاب خلق القرآن

(١) المقدمة تقليدية نجدتها في مطالع كتب الجاحظ ، وتتألف من دعاء للهداية والحض على العلم وطلب الحق . ويشيد الجاحظ بالشخص الذي وجه رسالة اليه يسأله تأليف كتاب حول خلق القرآن لأنه رغب عن التقليد وازرى عليه . وربما كان هذا الشخص قد تحول عن المحدثين الى الاعتزال لأن المحدثين هم اصحاب التقليد . ومما يدل على ذلك ما ورد في الكتاب بعد عرض محاكمة الامام أحمد بن حنبل من ان الإمام أحمد هو صاحب كتاب الرسالة : « وقد كان صاحبكم هذا يقول : لا تقية الا في دار الشرك » .

(٢) يسرد الجاحظ مقتطفات من الرسالة المزهومة التي تلقاها . نقول الرسالة المزهومة لأن أسلوبها لا يختلف عن أسلوب الجاحظ ، وطريق تركيب جملها هي طريقة الجاحظ وتعابيرها هي تعابير الجاحظ مثل : حتى تتمكن من الحجة وتنهأ بالنعمة وتحمد رائحة الكفاية وتلجج ببرد اليقين وتفضي الى حقيقة الأمر . . . الخ .

(٣) يجبرنا الجاحظ انه الف كتابا في نظم القرآن ، وفيه يرد على من ينكر كون نظم القرآن معجزة وحجة على النبوة . ويحشر في جملة المنكرين الشيعة (الروالض) واهل السنة والجماعة (الحديثيون ، والحشوية) والكفار ، وبعض المعتزلة (النظام واتباعه)

(٤) السبب الذي دفع الجاحظ الى تأليف كتاب خلق القرآن هو اعتراض الشيعة (الرالضة) والحشوية والناطقة (لفرقتان من اهل السنة والجماعة) على موقف بعض شيوخ المعتزلة المتردد من خلق القرآن امثال معمر بن عباد وابي كلدة وعبد الحميد وثمامة بن اشرس من معاصري الجاحظ . وهؤلاء ذهبوا الى ان الفعال الطبيعية مخلوقة على المجاز لا على الحقيقة .

(٥) النقد الذي يوجهه الجاحظ الى معمر بن عباد وثمامة بن اشرس وسواهما يتناول مبادئ الطبع والتولد والخلق . لقد قال هؤلاء ان الاجسام مخلوقة (خلقها الله) اما ما يصدر عن الاجسام فانما يصدر بطريق الطبع والتولد والضرورة ولا نستطيع ان نقول ان الاجسام مخلوقة ما يصدر عنها او ان الله خلقه ، لان الخلق يقتضي الاختيار والابداع ، والفعال الطبيعية نتيجة التولد

والضرورة . هذا هو اصل مقالتهم . وفي مسألة خلق القرآن يتهمهم الجاحظ بالخروج عن هذا الأصل أو إهماله . والحق ان هؤلاء لم يخرجوا عن هذا الأصل . لقد قالوا ان القرآن عبارة عن اصوات وتقطع والصوت ليس جسماً إذ فالقرآن ليس مخلوقاً لأن الاجسام وحدها هي المخلوقة اما ما يصدر عنها من الفعال كالأصوات الناتجة عن اصطكاك اللسان بالخلق ، او اصطكاك حجرين فهي من فعل الطبع وتتولد عنها بالضرورة .

(٦) أشرف الخليفة المعتصم العباسي على هنة خلق القرآن . ينهي الاشارة هنا الى موقف الجاحظ المتشدد من المحاكمة فهو على الرغم من اهانة الخليفة للامام الورع احمد بن حنبل ومبديه بالقتل عندما يقول له : انحطت وكذبت . . او يقول له : لأن استحييت بحق احب الي من ان اقتلك بحق الخ . . على الرغم من كل هذا يزعم الجاحظ ان المعتصم كان به رقيقاً وعليه رقيقاً . وانه لم يجلته سوى ثلاثين سوياً الخ . . .

(٧) على الرغم من انتقاد الجاحظ لبعض شيوخ المعتزلة فهو يفسر لهم عظامهم لأن آراءهم ينظره لا تنتهي الى الكفر . اما الرفض والناهية فأراؤهم تشبه مصرح او كافر مجلح . وفي هذا الموقف صورة جليلة عن التعصب الذي لم ينج منه المعتزلة أنفسهم . هذا التعصب الذي ادى بهم الى هنة خلق القرآن التي لا مبرر لها ، والتي اقتصروا فيها السياسة على الدين .

(٨) عداء المعتزلة لجميع الفرق الدينية من اهل الجماعة والشعبة والحوارج والبكرية والجهرية والشمرية والفضيلية والناهية والحشوية ، الى جانب العلوان الذين لا يحكمون العقل ويعتمدون على التقليد .



[١ - أهم فرق الشيعة]

قال أبو عثمان :

بعون الله تعالى نقول وإليه نقصد وإياه ندهو وعلى الله قصد السبيل :

إعلم رحمة الله تعالى وإيماءك أن الشيعة رجلان : زيدي ورافضي . وبقيتهم
بدد لا نظام لهم . وفي الأخبار عنها حتى عمن سواهما .

[٢ - أسس تفضيل علي عند الزيدية]

قال علماء الزيدية : وجدنا الفضل في الفعل دون غيره . ووجدنا الفضل كله
على أربعة أقسام ، أولها : القدم في الاسلام حيث لا رغبة ولا رهبة إلا من الله
تعالى وإليه ، ثم الزهد في الدنيا فإن أزهق الناس في الدنيا أرهبهم في الآخرة وآمنهم
على نفائس الأموال ومقاتل النساء وإراقة الدماء ، ثم الفقه الذي به يعرف الناس
مصالح دنياهم ومراشد دينهم ، ثم المشي بالسيف كفاحاً في الذب عن الاسلام
وتأسيس الدين وقتل عدوه وإحياء وليه . فليس وراء ذلك المهجة واستخراج القوة
غاية يطلبها طالب أو يرنمها راغب . ولم نجد فعلاً خامساً فنذكره . فمضى رأينا هذه
الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه
دونهم . وذلك أنا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار وحال الآثار عن أول
الناس إسلاماً ، فقال فريق منهم : علي . وقال فريق منهم : أبو بكر . وقال

آخرون : زيد بن حارثة . وقال قوم : خباب . ولم نجد قول كل واحد من هذه
 الفرق قطعاً لعذر صاحبه ولا ناقلاً له عن مذهبه . وإن كانت الرواية في تقديم عليٍّ
 أشهر واللفظ به أكثر وأظهر . وكذلك إذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجمهم
 والماشين إلى الأقران بسيفهم وجدناهم مختلفين ، فمن قائل : علي . ومن قائل :
 إبناعفراء . ومن قائل : أبو دجانة . ومن قائل : محمد بن مسلمة . ومن قائل :
 طلحة . ومن قائل : البراء بن مالك . على أن لعلي من قتل الأقران والفرسان
 والأكفاء ما ليس لهم . فلا أقل من أن يكون عليٌّ في طبقتهم . وإن سألناهم عن
 الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون علياً وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي
 ابن كعب . على أن علياً كان أفقهم ، لأنه كان يُسأل ولا يسأل ويفتي ولا يستفتي
 ويحتاج إليه ولا يحتاج إليهم . ولكن لا أقل من أن نجعله في طبقتهم وكأحدهم .
 وإن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها
 والزهد فيها قالوا : علي وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وأبو ذر وعمار وبلال
 وعثمان بن مظعون . على أن علياً أزهدهم ، لأنه شاركهم في خشونة اللبس
 وجشوبة المآكل والرضا باليسير والتبلى بالحقيقير وظلف النفس عن الفضول ومخالفة
 الشهوات ، وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم ، فكان ينضح
 بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ، ورقع سراويله بأدم ، وقطع ما فضل
 من ردايه عن أطراف أصابعه بالشفرة ، في أمور كثيرة . مع أن زهده أفضل من
 زهدهم لأنه أعلم منهم ، وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما أن زلته ليست كزلة
 غيره . فلا أقل من أن نعهده في طبقتهم . ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب
 مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب عن الاسلام بالسيف . ولم
 نجدهم ذكروا للزبير وأبي عفراء وأبي دجانة والبراء بن مالك مثل الذي ذكروا له
 من التقدم في الاسلام والزهد والفق . ولم نجدهم ذكروا أبا بكر وزيداً وخباباً في
 طبقة ابن مسعود وأبي بن كعب كما ذكروا علياً في طبقتهم ، ولا ذكروا (أبا) بكر وزيداً
 وخباباً في طبقة معاذ بن جبل وأبي الدرداء وأبي بن كعب وعمار وبلال وعثمان بن
 مظعون كما ذكروا علياً في طبقتهم . فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه متفرقة في

غيره من أصحاب هذه المراتب وأهل هذه الطبقات الذين هم الغايات علمنا أنه أفضلهم ، وإن كان كل واحد منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فإنه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه .

[٣ - أسباب عدم تولي علي الخلافة عند موت النبي]

فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي رضي الله تعالى عنه وتقديمه على غيره . وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة إلا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقل طعنا وخلافا ، وذلك أن العرب وقريشا كانوا في أمره على طبقات . فمن رجل قد قتل علي أباه أو ابنه أو أخاه أو ابن عمه أو حميه أو صفيه أو سيده أو فارسه ، فهو بين مضطرب قد دام على حفره ينتظر الفرصة ويشرب الدائرة قد كشف قناعه وأبدى صفحته . ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضغنه يرى سترهما في نفسه ومداراة عدوه أبلغ في التدبير وأقرب من الظفر ، فلئما يميزه أدنى علة تحدث وأول تأويل يعرض أو فتنة تنجم ، فهو يرصد الفرقة ويشرب الفتنة حتى يصل صولة الأسد ويروغ روغان الثعلب فيسفي غليله ويبرد ناره ، وإذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب وأن يموه له الشيطان الوثوب ويزين له الطلب ، لأنه قد عرف مآثاه وكيف يجتله من طرق هواه ، فإذا كان القلب كذلك اشتدت حفيظته ولم يقو احتراسه وكان يعرض هلكة وعلى جناح تفرير ، لأنه منقسم الرأي متفرق النفس قد اعتلج على قلبه غيظ الثار على قرب عهده بأخلاق الجاهلية وعادة العرب من الثار وتذكر الأحقاد والإحن القديمة وشدة التصميم . ومن رجل ضمت حدائمه وأنف أن يلي عليه أصغر منه . ومن رجل عرف شدته في أمره وقلة اغتفاره في دينه وخشونة مذهبه . ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد وينبتان في مفرس واحد ، لأن ذلك أقطع لأطماع قريش أن يعود الملك دولة في قبائلها ، ومن قريش خاصة في بني عبد مناف الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ، لأن الرحم كلما كانت أمس والجوار أقرب والصناعة أشكل كان الحسد أشد والغيظ أفرط . فكان أقرب الأمور إلى محبتهم إخراج الخلافة من ذلك المعدن ،

ترفها عن أنفسهم من ألم الغيظ وكمد الحسد .

فصل منها : وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختبار عندهم ، أعراب أجلاف وأشابه الأعراب يفترقون لا تدفع صولتهم إذا هاجوا ولا يؤمن هيجهم إذا سكنوا ، إن أخصبوا طفوا في البلاد وإن أجدبوا آثروا العناد ، وهم موكلون ببغض القادة وأهل الثراء والنعمة ، يتمنون الغلبة ويشتمون بالعرث ، ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة . وهم كما وصفوا : الطغام والسفلة ، وفيهم قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في دعائه : نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا وإذا افترقوا لم يعرفوا . فهؤلاء هؤلاء . وضرب آخر قد فقهوا في الدين وعرفوا سبب الإمامة قد قمعهم الحق فانقادوا له بطاعة الربوبية بوطاعة المحبة وعرفوا المحنة وعرفوا العدل ولكنهم قليل في كثير ، ومختار كل زمان وإن كثروا فهم أقل عددا وإن كانوا أكثر فقها .



[٤ - حرص علي على وحدة المسلمين]

فلما كان الناس عند علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار على الطبقات التي ذكرنا والمنازل التي نزلنا والمراتب التي رتبنا وبالمدينة منافقون يعضون عليهم الأنامل من الغيظ ، وفيها بطانة لا يألونهم خبالا ، لا يخفي عليهم موضع الشدة وانتهاز الفرصة وهم في ذلك على تقية . وافق ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب وتوعدهم بذلك في شكاة النبي ﷺ وصح به الخبر ، ثم الذي كان من اجتماع الأنصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا أحزابا وقالوا منا أمير ومنكم أمير . أشفق على أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب مشاغب ممن وصفنا حاله وبيننا طريقته فيحدث بينهم فرقة ، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا وأهل الردة على ما أخبرنا ومذهب الأنصار على ما حكينا ، فدعاه النظر للدين إلى الكف عن الإظهار والتجافي عن الأمر ، وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه لا يعادل التفرير بالدين ولا يفي بالخطار بالأنفس ، لأن في التهيج البائقة وفي فساد

الدين فساد العاجلة والأجله ، فاغتفر الخمول ضنا بالدين وإشارا للعاجلة هل العاجلة ، فدل ذلك هل رجاحة حلمه وقلة حرصه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحه وأصالة رأيه . ومضى سخط نفس امريء عن هذا الخطب الجليل والأمر الجزيل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين وإنما كانت غايته في أمرهم أربح الحالين لهم وأعوذ القصدين عليهم ، وعلم أن هلكتهم لا تقوم بازاء فرق ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم ، وقد علم بعد ذلك أن مسيلمة قد أطبق عليه أهل اليمامة ومن حولها من أهل البادية ، وهم القوم الذين لا يصطل بناهم ولا يطمع في ضعفهم وقلة عددهم ، فكان الصواب ما رآه علي من الكف عن تحريك الهرج إذا أبصر أسباب الفتن شائعة وشواكل الفساد بادية ، ولو هرج القوم هرجة أو حدثت بينهم فرقة كان حرب بوارهم أغلب من الطمع في سلامتهم . وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وفضلاء أصحابه يعرفون من تلك الآراء شبيها بما يعرفه علي ، فعلموا أن أول أحكام الدين المبادرة إلى إقامة إمام المسلمين لئلا يكونوا نشراً ولئلا يجعلوا للمفسدين علة وسبباً ، فكان أبو بكر أصلح الناس لما بعد علي فأصاب في قيامه والمسلمون في إقامته وعلية في تسويغته والرضاء بولايته منة على الإسلام وأهله . فلما قمع الله تعالى أهل الردة بسيف النعمة وأباد النفاق وقتل مسيلمة وأسر طليحة ومات أصحاب الأوتار ونهت الضغائن راح الحق إلى أهله وعاد الأمر إلى صاحبه .

[٥ - الفرق بين الزيدية والرافضة]

فصل منه : وإنما ذكرت لك مذهب من لا يجعل القرابة والحسب سبباً إلى الإمامة دون من يجعل القرابة سبباً من أسبابها وعلة من عللها ، لأن قد حكيت في كتاب الرافضة ، وكان ثم أوقع وبه أليق ، وكهرت المعاد من الكلام والتكرار لأن ذلك يغني عن ذكره في هذا الكتاب ، وهو مسلك واحد وسبيل واحد ، وإنما قصدت إلى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في دلائلهم وحججهم لأنه أحسن شيء رأيتهم . وإنما أحكي لك من كل نحلة قول حذاقهم وذوي أحلامهم لأن فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه .

[٦ - الزيدية لمجيز امامة المفضول مع وجود الافضل]

قالوا : وقد يكون الرجل أفضل الناس ويبي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله تعالى طاعته وتقديمه إما للمصلحة ، وإما للاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا ، وإما للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة ﴿ اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى ﴾ والملائكة أفضل من آدم فقد كلفهم الله تعالى أغلظ المحن وأشد البلوى إذ ليس في الخضوع أشد من السجود على الساجد والملائكة أفضل من آدم لأن جبريل وميكائيل وإسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتلمت من ثقل الطاعة ، وكما ملك الله تعالى طالوت على بني إسرائيل وفيهم يومئذ داود عليه السلام وهو نبهم الذي أخبر الله عنه كما في القرآن بقوله تعالى : ﴿ وقال لهم نبهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ ، ثم صيغ النبي ﷺ حين ولى زيد بن حارثة على جعفر الطيار يوم مؤتة ، وولى أسامة على أكثر المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبي وقاص ، ذوو أخطار وأقدار من البدرين والمهاجرين والسابقين الأولين .

[٧ - الحاجة الى الامام]

فصل منه : ولو ترك الناس وقوى عقولهم وجماح طبائعهم ورجبة شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزاعهم الى ما يريدون ويطلبون حتى يكونوا هم الذين يحتجزون من كل ما أفسدهم بقدر قواهم وحتى يبقوا على حد الضر والنافع ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء والأغذية والسموم ، كان قد كلفهم شططا وأسلمهم إلى عدوهم وشغلهم عن طاعته التي هي أجدى الأمور عليهم وأنفعها لهم ومن أجلها عدل التركيب وسوي البنية وأخرجهم من حد الطفولة والجهل الى حد البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الأداة والآلة ، ولذلك قال عز ذكره : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ولو ان الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاهم وسبر الأمور وامتحان السموم واختبار الأغذية ، وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة وقلة المعرفة وغلبة

الشهوة وتسلط الطبيعة مع كثرة الحاجة والجهل بالعاقبة ، لاثرت فيهم السموم
ولأنهم الخلط ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الأدواء وترادفت الأسقام حتى تصير
منايا قاتلة وحتوفا متلفة ، إذ لم يكن عندهم إلا أخذها والجهل بحدودها ومنتها ما
يجوز منها والزيادة فيها وقلة الاحتراس من توليدها . فلما كان ذلك كذلك علمنا أن
الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه لم يخلقهم إلا لصالحهم ولا يجوز صلاحهم إلا
بتنقيتهم ، ولولا الأمر والنهي ما كان للتنقية وتعديل الفطرة معنى .

ولما أن كان لا بد للعباد من أن يكونوا مأمورين منبهين بين عدو عاص ومطيع
ولي ، علمنا ان الناس لا يستطيعون مدافعة طبائعهم وبخالفه أهوائهم إلا بالزجر
الشديد والتوعده بالعقاب الأليم في الأجل بعد التنكيل في العاجل . إذ كان لا بد
من أن يكون لكونهم مأمورين منبهين من العمل معجلا والجزاء الأكبر مؤجلا ، وكان
شأنهم إظهار الأدل وتسويق الأقصى . وإذا كانت عقول الناس لا تبلغ جميع
مصالحهم في دنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز إذ كان علم الدين مستنبطاً من
علم الدنيا وإذا كان العلم مباشرة أو سبباً بالمباشرة ، وعلم الدين غامض لا يتخلص
إلى معرفته إلا بالطبيعة الفائقة والعناية الشديدة مع تلقين الأئمة ، ولأن الناس لو كانوا
يبلغون بأنفسهم غاية مصالحهم في دينهم ودنياهم لكان إرسال الرسل قليل النفع
يسير الفضل . وإذا كان الناس مع منفعتهم بالعاجل وحبهم للبقاء ورغبتهم في النماء
وحاجتهم إلى الكفاية ومعرفتهم بما فيها من السلامة لا يبلغون بأنفسهم معرفة ذلك
وإصلاحه ، وعلم ذلك جلي ظاهر سببه متصل ببعضه ببعض كدرك الحواس وما
لاقاها ، فهم عن التعديل والتجويز وتفصيل التأويل والكلام في مجيء الأخبار
وأصول الأدهان أعجز وأجدر أن لا يبلغوا منه الغاية ولا ينالوا منه الحاجة . لأن
علم الدنيا أمران : إما شيء يلي الحواس ، وإما شيء يلي علم الحواس . وليس
كذلك الدين .

[٨ - درجات الامام]

فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه لا بد للناس من إمام يعرفهم جميع مصالحهم ،

ووجدنا الأئمة ثلاثة : رسول ، ونبي وإمام . فالرسول نبي وإمام ، والنبي إمام وليس برسول ، والإمام ليس برسول ولا نبي . وإنما اختلفت أسماؤهم ومراتبهم لاختلاف المقومات والطبائع ، وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض في العزم والتركيب ، وبتغير الزمان يتغير الغرض وتتبدل الشريعة ، فأفضل الناس الرسول ، ثم النبي ، ثم الإمام . فالرسول هو الذي يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقوم الناس على جهل مرآشدهم إذ كانت طبائعهم لا تحتمل في ابتداء الأمر أكثر من الحمل ، ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الاشارة لكانوا هملاً ولتركوا نشراً وحشراً ولسقط عنهم الأمر والنهي ، ولكنهم قد يفضلون بين الأمور إذا أوردت عليهم وكفوا مؤونة التجربة وعلاج الاستنباط ، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة .

[٩ - نسب الرسول]

وإنما جاز أن يكون الرسول مرة عربياً ومرة عجمياً وليس له بيت يخطره ولا شرف يشهر موضعه لأنه حيث كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وأنبه من البيت المقدم ، ولأنه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب إلى الظاهر المعقول والواضح الذي لا يخيل أن يشتهر مثله في الأفاق ويستفيض في الأطراف حتى يصدع عقل الغبي ويضعف طبع العاقل وينقض عزم المعاند وينبه من طول الرقدة ويخضع الرقاب ويضرع الخدود حتى يتواضع له كل شرف وينحل له كل أنف ، فلا يحتاج حاله معه إلى مال ولا قدرة إلى حسب .

[١٠ - آيات الرسول]

و على قدر جهل الأمة وغباء عقولها وسوء رغبتها وخبت عاداتها وغلظ محنتها وشدة حيرتها تكون الآيات : كفلق البحر والمشي على الماء وإحياء الموتى وقصر الشمس عن جريها ، ولأن النبي ليس برسول ولا مبتدئ ملة ولا منشيء شريعة ، إنما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبي بالرسول الكائن على غابر الأيام وطول الدهر ،

وتوكيد المبشر يحتاج من الأعلام الى دون ما يحتاج إليه المتدبر لأصل الملة والمظهر لغرض الشريعة الناقل للناس عن الضلال القديم والعادة السيئة والجهل الراسخ ، فلذلك اكتفى بشهرة أعلامه وشرائعه من شهرة بيته وشرف حسبه ، لأنه لا ذكر إلا وهو شامل عند ذكره ، ولا شرف إلا وهو وضع عند شرفه .

[١١ - رأي يقول بتعدد الأئمة]

فصل منه يحكي فيه قول من يميز أكثر من امام واحد :

زعم قوم أن الإمامة لا تجب لرجل واحد بعينه من رهط واحد ، ولا لواحد من عرض الناس وإن كان أكثرهم فضلا وأعظمهم عن المسلمين غناء بعد أن يكون فردا في الإمامة لا ثاني له . وأن الناس إن تركوا أن يقيموا إماما واحدا جاز لهم ذلك ، ولم يكونوا بتزكه ضالين ولا عاصين ولا كافرين . فإن أقاموه كان ذلك رأيا رأوه وغير مضيق عليهم تركه ، ولم أن يقيموا اثنين ، وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ، ولا بأس أن يكونوا عجبا وموالي ، ولكن لا بد من حاكم واحداً كان أو أكثر على [كل] حال . ولا يجوز أن يكون الرجل حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود . ولم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بدا ، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا : وأي ذلك كان من إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك فعل الناس الكف عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنويعهم من عدو يدهمهم من غيرهم أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم ، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النصفة من أنفسهم بالغنا ما بلغ في عسر الأمر ويسره ، وعلى كل رجل في داره وبيته وقبيلته وناحيته ومصره إذا كان مأمونا ذا صلاح إذا ثبت عنده على أخيه أو صاحبه أو جاره أو حاشيته من خدمه حد أو حكم جناه جان عليهم على نفسه أو ظلم ركب من غيره إقامة ذلك الحكم أو الحد عليه إذا أمكنه مستحقه ، إلا أن يكون فوقه كاف قد أجزى عليه ، وعلى المجترح للذنب الموجب على نفسه الحد والمستحق له إمضاء الحكم في بدنه وماله والإمكان من نفسه ، وأن لا يموذ بقوة ولا يروغ بحيلة ولا يسخط حكم التنزيل فيها نزل به وفيها هو بسبيله

من مال أو غيره ، وإنما يجب ذلك إذا كان على الفريقين من القيم والجاني يمكنه ماكلفه الله من ذلك ، فإن أبي القيم إقامة الحق والحد على الجاني بعد استيجابه والإمكان من نفسه لإقامة الحد عليه فقد عصى الله تعالى ، ولم يؤت في ذلك الأمر نفسه ، لأن الله تعالى قد بينه له وأوجه عليه وقرره حين أوضح له الحجة وقرب له الدلالة وطوقه المعرفة ومكنه من الفعل .

وقد بسطنا العذر لذوي العجز في صدر الكلام . وإن أبي الجاني المستحق للحكم والحد الإمكان من نفسه وماله وما هو بسبيله فقد عصى الله تعالى في ذلك كما عصاه في ركوبه ما أوجب عليه الحد ، ولم يؤت من ربه لما ذكرنا من إيضاح الحجة وإثبات القدرة .

[١٢ - رأي يقول ان الامامة لا تقوم على الارهاب والوعيد]

فصل منه : وقد علمنا أن من شأن الناس الهرب إذا خافوا نزول المكروه والامتناع من إمضاء الحدود بعد وجوبها عليهم ما وجدوا السبيل إلى ذلك . وهذا سبب إسقاط الأحكام والتفاسد . وقد أمرنا أن نتترك أسباب الفساد ما استطعنا وبالنظر للرعية ما أمكننا ، فوجب علينا عند الذي قلنا أننا لو لم نقم إماماً واحداً كان الناس على ما وصفنا من التسرع إلى الشر إذا طمعوا والهرب إذا خافوا . وهذا الأمر قد جرت به عادة المعرفة وفتحت عندنا فيه التجربة . قلنا عند ذلك إن الإمامة لا تجب على الناس من طريق الظنون وإشفاق النفوس ، وقد رأينا أعظم منها خطراً قدرا ونفعاً في كل جهة على خلاف ذلك وهو رسول الله ﷺ بعثه الله إلى أمة وقد علم أنهم يزدادون من كفرهم من قبل ذلك الرسول كفرةً بجحدهم له وإخراجهم إياه وقصدتهم قتله ثم لا يكون ذلك مانعاً له من الإرسال إليهم والاحتجاج به عليهم لمكان علمه أنهم يزدادون فساداً وبغياً ، إذ كان قدم لهم ما به ينالون مصالح دينهم ودنياهم ، وإنما على الحكيم أن يأتي الأمر الحكيم عرف ذلك عارف أم جهله جاهل . وعلى الجواد ذي الرحمة في جوده ورحمته أن يفعل ما هو أفضل في الجود وأبلغ في الإحسان والطف في الإنعام ، من إيضاح الحجة وتسهيل الطرق والإبلاغ

في الموعظة مع ضمان الوعد بالغاية من الثواب والدوام واللذة ، والتوعد بغاية العقاب في الدوام والمكره ، إلى عباده الذين كلفهم طاعته وأهل الفاقة إلى عائدته ونظيره وإحسانه ، فإن قبل ذلك قابل فقد أصاب حظه ، وإن أبى ذلك فلنفسه ظلم . وقد صنع الله به ما هو أصلح وإن لم يستصلح العبد نفسه .

قالوا : فإذا كان الله تبارك وتعالى عالماً بأن القوم يزادون فساداً عند إرسال الرسل وكان غير صارف لهم عن الإرسال إليهم إذ كان قد عدل خلقهم ومكنهم من مصلحتهم فما بال الظن والحسبان بأن الناس يتفاسدون ويتنازعون إذا لم يقيموا إماماً واحداً يوجب فرضاً لم ينطق به كتاب ولم يؤكد خبر وقد رأينا العلم بأن الناس يتفاسدون ولا يرد به فرض ! .

[١٣ - رأي يقول بوجود اعتماد الناس على أنفسهم في رعاية شؤونهم]

فصل منه : وقالوا : قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدهار وهيج العوام يقوم منهم العدد اليسير في الناحية والقبيلة والدرب والمحلة ليقوم لهم حد المستطيل ويقمع شذوذ الدهار حتى يستريح الضعيف ويأمن الخائف ويتشر التاجر ويكبر جانبهم الدهار ، وإنما صلاح الناس بقدر تعاونهم وتخاذلهم ، مع أن الناس لو تركهم المتسلطون عليهم وأجثوا إلى أنفسهم حتى يتحقق عندهم أن لا كافي إلا بطشهم وحيلهم ، وحتى تكون الحاجة إلى الذب والحراسة والعلم بالملكيدة هي التي تحملهم على منع أنفسهم لذهبت عادة الكفاية وضعف الاتكال ولتعودوا اليقظة ولدربوا بالحراسة واستشاروا ذفين الرأي ، لأن الحاجة تفتق الحيلة وتبعث على الروية ، وكان بالحرى أن يصلح أمر الجميع لأن طمع الراعي إذا عاد بأساً صرفه في البغي وكان ذلك منبهاً للنائم ومشحداً لليقظان وضراوة للمواكل ومزجراً للبلغاة حتى ينبت عليه الصغير ويتفحل معه الكبير .

[١٤ - رأي من يقول ان الامامة وصية]

فصل منه : وزعم قوم أن الإمامة لا تحب إلا بأحد وجوه ثلاثة : إما عقل

يدل على سببها ، أو خبر لا يكذب مثله ، أو أنه لا يحتمل شيئاً من التأويل إلا
وجهاً واحداً . قالوا : فوجدنا الأخبار مختلفة والمختلف متدافع وليس في المتدافع
والمتكافئ بيان ولا فضل ، فمن ذلك قول الأنصار ، وهم شطر الناس أو أكثرهم ،
مع أمانتهم على دين الله تعالى وعلمهم بالكتاب والسنة حيث قالوا عند وفاة النبي
ﷺ : منا أمير ومنكم أمير . فلو كان قد سبق من رسول الله ﷺ في ذلك أمر ما
كان أحد أعلم به منهم ، ولا أخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم ، بعد
الذي ظهر من احتمالهم في جنب الله تعالى والجهاد في سبيله والنصرة لنبه ﷺ ، مع
الإيواء والإيثار بعد المواساة ومحاربة القريب والبعيد والعرب قاطبة وقريش خاصة .
ثم الذي نطق القرآن به من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله ﷺ لهم ولقبه لهم
وثنائه عليهم ، وهو يقول : « أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون
عند الفزع » : في أمور كثيرة . ثم لم يكن قولهم : منا أمير ومنكم أمير . من سفيه
من سفهائهم ضرى إليه أمثاله منهم ، فإن لكل قوم حسدة وجهالا وأحداثا وسرعانا
من حدث تبعته الغرارة والأشر ، أو رجل يحب الجاه والفتنة ، أو مغفل مخدوع ، أو
غرزي حمية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه ﷺ . ولا كان ذلك
القول إذ كان من عليتهم في الواحد الشياخ القليل ، بل كان في ذوي أحلامهم والقدم
منهم ، ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عباداً سيداً مطاعاً ذا سابقة وفضل
وحلم ونجدة وجاء عند رسول الله ﷺ واستعانة به في الحوادث والمهم من أمره ، ثم
كان في الدهم من الأنصار والوجوه والجمهور من الأوس والخزرج ، فكيف يكون
سبق من النبي ﷺ في هذا أمر يقطع عهداً ويوجب رضا ومؤلاء الأماناء على الدين
والقوام به قد قاموا هذا المقام وقالوا هذا المقال . قالوا : فإن قال قائل : فإن القوم
كانوا على طبقات ، من ذاكر متعمد ، أو ناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ، ومن
رجل كان غالباً عن ذلك القول التأكيد الذي كان من النبي ﷺ في إقامة إمام يقدم في
أيام وفاته ، ومن رجل قدم في الإسلام لم يكن من حال العلم ، فاذا ذكرهم أبو بكر
وعمر فذكروا ، ووعظاهم فاتعظوا ، فقد كان فيهم الناشيء الفاضل الذي يزرجه
الذكر وينزع إذا بُصر ، والمعتمد الذي لم يبلغ من لجأه وتأييمه وركوب رده ما

تؤثر معه التصميم على حسن الرجوع عند الموهظة الحسنة والتخريف بفساد
 العاجل ، في كثير ممن لم يكن له في الإسلام القدر النبوي إما للغفلة وإما للإبطاء عنه
 وإما للخمول في قومه مع إسلامه وصحة عقده ، فداواهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
 يوم السقيفة حين قالوا : نحن الأئمة وأنتم الوزراء ، وحيث رووا لهم أن النبي ﷺ
 قال : الأئمة من قريش . فلما استرجعوا رجعوا . قلنا : الدليل على أن القوم لم
 يروا في كلام أبي بكر وعمر حجة عليهم وأن انصرافهم عما اجتمعوا له لم يكن لأنهم
 رأوا أن ذلك القول من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح حجة ، غضب رئيسهم
 وخرج من بين أظهرهم مراغماً في رجال من رهطه مع تركه بيعة أبي بكر رضي
 الله عنه وتشنيعه عليهم بالشام ، وقد قال فيس بن سعد بن عبادة وهو يذكر خلدان
 الأنصار لسعد بن عبادة واستبداد الرهط من قريش عليهم بالأمر .

وخبيرتمونا أما الأمر فيكم بخلاف رسول الله يوم التشاجر
 وأن وزرات الخليفة دونكم كما جاءكم فو العرش دون العشائر
 فهلا وزيراً واحداً تحبونه بخير وداد منكم وأواصر
 سقى الله سعداً يوم ذاك ولا سقى هواجته هابت صدور الغوابر

وقال رجل من الأنصار ودعا علي رضي الله عنه إلى عونه ونصرته إما يوم
 الجمل أو يوم صفين :

عدنا عدواً وكنا قبل أنصارا	ما لي أقاتل عن قوم إذا قدروا
يتلو الكتاب ويخشي النار والعارا	ويل لها أمة لو أن قائدها
غدرأ وأهجب في الإسلام آثارا	أما قريش فلم نسمع بمثلهم
بالعرف عرفاً وبالإنكار إنكارا	إلا تكن عصبة جازوا نبيهم
في يوم مؤتة لا ينفك طيارا	أبا عمارة والشاوي ببلقعة

أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقد كان يكنى أبا يعلى والشاوي
 في يوم مؤتة جمعفر بن أبي طالب . وقال رجال من الأنصار من ولد أبي زيد

القاري . وذكر أمر الأنصار وأمر قريش - :

دعاها إلى استبدادها وحقوقها
هنالك قتل لا تؤدى ديانتهم
تذكر قتل في القلب تكبكبوا
وليس لباكيها سوى الصبر مذهب
فإن تغضب الأبناء من قتل من مفي
فوالله ما جننا قبيحاً فتعتبوا

[١٥ - الفرض من الكتاب وفالذته]

فصل منه : قد حكينا قول من خالفنا في وجوب الامامة وتمظيم الخلافة ،
وفسرنا وجوه اختلافهم واستقصينا جميع حججهم إذ كان على عذر لمن غاب عنه
خصمه وقد تكفل بالإخبار عنه في ترك الحيلة له والقيام بحجته ، كما أنه لا عذر له
في التقصير عن إفساد ما يخالفه وكشف خطأ من يضاده عند من قرأ كتابه وتفهم
حجته ، لأن أقل ما يزيل عذره ويبيح علته أن يكون قول خصمه قد استهدف
لعقله وأضجر لسانه وقد مكنه من نفسه وسلطه على إظهار عورته ، فإذا استراح من
شغب المنازع ومدارة المستمع لم يبق إلا أن يقوى على خلافه أو يعجز عنه ، ومن
شكر المعرفة بمعايب الناس ~~ومرآشدهم ومضارهم~~ ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤنتهم
وتقريرهم وأن يتوخى إرشادهم وإن جهلوا فضل من يسدي إليهم ، ولن يهوان
العلم بمثل بذله ، ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره .

واعلم أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم إذ كان مع التلاقي
يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط المضرة وتنبعث الحمية ، وعند المزاومة تشتد الغلبة
وشهوة المباهاة والاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع ، وعن جميع ذلك تحدث
الضغائن ويظهر التباين .

وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وبهذه الحالة امتنعت من المعرفة وعميت
عن الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية وإصابة الحجة لأن المتوحد
بقراءتها والمتفرد بفهم معانيها لا يساهي نفسه ولا يغالب عقله ولا يعز خصمه .
والكتاب قد يفضل ويرجح على واضعه بأمور: منها أن الكتاب يقرأ بكل مكان وفي

كل زمان على تفاوت الأعصار وبعد ما بين الأعصار ، وذلك أمر يستحيل في الواضع ولا يطمع فيه مع التنازع ، وقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى ويبقى أثره ، ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلقت من عجب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها المستغلق علينا فجمعنا إلى قلوبنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد خس حظنا في الحكمة وانقطع سبيلنا إلى المعرفة ، ولو أجلسنا إلى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا بما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنة ، فاعتقم الرأي ومات الخاطر وتبلد العقل واستبد بنا سوء العادة . وأكثر من كتبهم نفعاً وأحسن مما تكلفوا موقعا كتاب الله تعالى الذي فيه الهدى والرحمة والإخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة . فينبغي أن يكون سبيلنا في من بعدنا سبيل من قبلنا فينا ، مع أننا قد وجدنا من العبرة أكثر ما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا . فما ينتظره الفقيه بفقهه والمحتج لدينه والذاب عن مذهبه ومواسي الناس في معرفته وقد أمكن القول وأطرق السامع ونجا من التقيّة وهبت ريح العلماء ؟!

فصل منه : واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى إلى مخالفته غير مخرج إنعام الله عليه ولا محول إحسانه إليه إلى غير معناه وحقيقته ، ولم يكن إحسان الله في إعطائه الأداة وتبيين الحجمة لينقلبا إفسادا وإساءة ، لأن المعان على الطاعة عصى بالمعونة وأفسد بالإنعام وأساء بالإحسان . وفرق بين المنعم والمنعم عليه ، لأن المنعم عليه يجب أن يكون شكوراً ولحق النعمة راعياً ، والمنعم منفرد بحسن الإنعام وشريك في جميع الشكر ، ولأن المنعم أيضاً هو الذي حجب الشكر إلى فاعله بالذي قدم إليه من إحسانه وتولى من مساره ، ولذلك جعلوا النعمة لقاحاً والشكر ولاداً . وإنما مثل إعطاء الآلة والتكليف لفعل الخير مثل رجل تصدق على فقير ليستر عورته ويقوم من أود صلبه وليصرف في منفعه ولا يكون إنفاق الفقير ذلك الشيء في الفساد والخلاف والفواحش لينقلب إحسان المتصدق إساءة ، وإنما هذا بصواب الرأي الذي لا ينقلب وإن انجع صاحبه ، وقد يؤذي الرجل مع حزمه ولا يكون مذموماً وبخطيء ، بالأضاعة ولا يكون محموداً .

فصل منه : ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزاناً بين خلقه وعياراً على عباده في نظر عقولهم في ظاهر ما فرض عليهم ويسر خلافه ويستخفى بضده ، ويعلم أن قضاءه فيهم غير الذي فطرهم على استحسانه وتحبب إليهم به في ظاهر دينه ، والذي استوجب به الشكر على جميع خلقه .

[١٦ - لا بد من امام يجمع طباع الشر]

فصل منه : وإن لم يكن العبد على ما وصفنا من الاستطاعة والقدرة والحال التي هي أدعى إلى المصلحة ما كان متروكاً على طباعه ودواعي شهواته دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه . ولذلك أسباب نحن ذاكسروها وجاعلوها حجة في إقامة الإمامة وأن عليها مدار المصلحة وأن طبع البشر يمتنع من الاخبار إلا على ما نحن ذاكروه فنقول : إننا لما رأينا طبائع الناس وشهواتهم من شأنها التقلب إلى هلكتهم وفساد دينهم وذهاب دنياهم وإن كانت العامة أسرع إلى ذلك من الخاصة إذ لا تنفك طبائعهم من حملهم على ما يريدون ما لم يردوا بالقمع الشديد في العاجل ومن القصاص من العادل ، ثم التنكيل في العقوبة على شر الخيانة وإسقاط القدر وإزالة العدالة مع الاسماء القبيحة والألقاب المهجينة ، ثم بالاخافة الشديدة والحبس الطويل والتغريب عن الوطن ، ثم الوعيد بنار الأبد مع فوت الجنة ، وإنما وضع الله تعالى هذه الخصال لتكون لقوة العقل مادة ولتعديل الطبائع معونة ، لأن العبد إذا فضلت قوى طباعه وشهواته على عقله ورأيه ألغى بصيراً بالرشد غير قادر عليه ، فإذا احتوشته المخاوف كانت مواد لزواجر عقله وأوامر رأيه ، فإذا لم يكن في حوادث الطبائع ودواعي الشهوات وحب العاجل فضل على زواجر العقل وأوامر النفي كان العبد ممنوعاً من النفي قادراً عليه ، لأن الغضب والحسد والبخل والجبن والغيرة وحب الشهوات والثناء والمكاثرة والعجب والخيلاء وأنواع هذه إذا قويت دواعيها لأهلها واشتدت جوازبها لصاحبها ثم لم يعلم أن فوقه ناقماً عليه وأن له منتقماً لنفسه من نفسه أو مقتضياً منه لغيره ، كان ميله وذهابه مع جوازب الطبيعة ودواعي الشهوة طباعاً لا يمتنع معه وواجباً لا يستطيع غيره . أو ما رأيت كيف يخرق في ماله ويسرع

فيها أثلت له رجاله وشدت له أوائله من غير أن يرى للمروض وجهها وللخلف سببا في عاجل دينه. ولا آجل دنياه حتى يكون والي المسلمين هو الذي يجبر عليه ليكون مضطر الحجر وذل الحظر وغلظة الجفوة واللقب القبيح وتسليط الأشكال مادة للذي معه من معرفته وبقية عقله |

فصل منه : وقد يكون الرجل معروفا بالترق مذكورا بالطيش مستهاما بإظهار الصولة ، حتى يتحامي كلامه الصديق ويداربه الجليس ويترك مجازاته الكريم ، للذي يعرفون من شدته وبوادر حدته وشدة تسمره والتهابه وكثرة فلتاته ، ثم لا يثبت ان يحضر الوالي الصليب والرجل المنيع فيلقي ذليلا خاضعا أو حلييا وقورا أو أديبا رفيقا أو صبورا محتسبا ، وقد نجده يجهل على خصمه . ويستطيل على منازعه ويهم بتناوله والغدر به فاذا عرف له حماة تكفيه ورجالا تحميه وجاها يمنعه وما لا يصلح به ، طامن له من شخصه وألان له من جانبه وسكن من حركته وأطفأ نار غضبه ، أو ما علمت أن الخوف يطرد السكر ويميت الشهوة ويطفئ الغضب ويحط الكبر ويذكر بالعاقبة ويساعد العقل ويعاون الرأي وينبت الحيلة ويبعث على الروية حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوبا على عقله ممنوعا من رأيه بسكر الشباب وبسكر الغنى وإهمال الأمر وثقة العز وبأو القدرة . . ؟!

فصل منه : وإنما أطنبت لك في تفسير هذه الأحوال التي عليها الوجود والعبرة لتعلم أن الناس لو تركوا شهواتهم وخلوا أهواءهم ، وليس معهم من عقولهم إلا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم أخلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس وأهوائها وبين الطباع وغلبتها من الأنبياء وخلفائهم لم يكن في قوى عقولهم ما يداوون به أدواءهم ويجهرون به من أهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به من جميع مصالحهم ، وأي داء هو أردى من طبيعة تردى وشهوة تطفئ ، ومن كان لا يعد الداء إلا ما كان مؤلما في وقته ضاربا على صاحبه في سواد ليله وبياض نهاره فقد جهل معنى الداء . وجاهل الداء جاهل بالدواء .

فصل منه : ولكننا نقول : لا يجوز ان يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيلة أكثر من واحد ، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الإستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة . وهكذا جرب الناس من أنفسهم في جيرانهم الأذنين ، في الأصهار وبين الأعمام والمتقاربين في الصناعات كالكلام والنجوم والطب والفتيا والشعر والنحو والعروض والتجارة والصناعة والفلاحة أنهم إذا تدانوا في الأقدار وتقاربوا في الطبقات قويت دواعيهم إلى طلب الغلبة واشتدت جواذيبهم في حب المباينة والإستيلاء على الرياسة . ومضى كانت الدواعي أقوى كانت النفس إلى الفساد أميل والعزم أضعف وموضع الروية أشغل والشيطان فيهم أطمع ، وكان الخوف عليهم أشد وكانوا بموافقة المفسد أخرى وإليه أقرب . وإذا كان ذلك كذلك فأصلح الأمور للحكام والقادة إذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أفعالها على ما وصفنا أن ترفع عنهم أسباب التحاسد والتغالب والمباهاة والمنافسة ، وأن ذلك أدعى إلى صلاح ذات البين وأمن البيضة وحفظ الأطراف . وإذا كان الله تبارك وتعالى قد كلف الناس النظر لأنفسهم واستيفاء النعمة عليهم وترك الخطر بالمملكة والتفرير بالامة ، وليس عليهم مما يمكنهم أكثر من الحيلة والتباعد من التفرير ، ولا حال أدعى إلى ذلك أكثر مما وصفنا ، لأنه أشبه الوجوه بتمام المصلحة والتمتع بالأمن والنعمة .

فصل منه : فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه إذا كان القائم بأمر المسلمين بائن الأمر متفرداً بالغاية من الفضل ، كانت دواعي الناس إلى مسابقتة ومجاراته أقل ، ولم يكن الله ليطلع الدنيا وأهلها على هذه الطبيعة ويركب أهلها هذا التركيب حتى تكون إمامة الواحد من الناس أصلح لهم إلا وذلك الواحد موجود عند إرادتهم له وقصدتهم إليه ، لأن الله لا يلزم الناس في ظاهر الرأي والحيلة إقامة المعدوم وتشبيد المجهول ، لأن على الناس التسليم وعلى الله تعالى قصد السبيل . وهل رأيت ملكين أو سيدين في جاهلية أو إسلام من العرب جميعاً أو من الهجم لا يتحيف

أحدهما من سلطان صاحبه ولا يهتك أطرافه ولا يساجله الحروب ، إذ كل واحد منها يطمع في حد صاحبه وطرفه لتقارب الحال واستواء القوى ، كما جاءت الأخبار عن ملوك الطوائف كيف كانت الحروب راکدة وأمرهم مريح ، والناس نهب ليس لهم ثغر إلا معطل ولا طرف إلا منكشف ، والناس فيما بينهم مشغولون بأنفسهم عن ملوكهم من عزبز مع إنفاق المال وشغل البال وشدة الخطر بالجمع والتفرير بالكل .

[١٨ - صفات الإمام]

فصل منه : فإن قالوا : فما صفة أفضلهم ؟ قلنا : أن يكون أقوى طباعه عقله ، ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص وكثرة السماع ، ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماحه بحسن العادة ، فإذا جمع إلى عقله علماً وإلى علمه حزمًا وإلى حزمه عزماً فذلك الذي لا بعده ، وقد يكون الرجل دونه في أمور وهو يستحق مرتبة الإمامة ومنزلة الخلافة ، غير أنه على حال لا بد من أن يكون أفضل أهل دهره . لأن من التعظيم لمقام رسول الله ﷺ أن لا يقام فيه إلا أشبه الناس به في كل عصر ، ومن الإستهانة به أن يقام فيه من لا يشبهه وليس في طريقته ، وإنما يشبه الإمام الرسول بأن يكون آخذاً بسيرته منه ، فأما أن يقاربه أو يدانيه فهذا ما لا يجوز ولا يسع ثمنه والدعاء به .

فصل منه : وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحنة على ما وصفنا في يوم السقيفة ، ثم صنع أبي بكر وقوله لطلحة في عمر ، وصنع عمر في وضع الشورى وتوعدده لهم بالقتل إن هم لم يقيموا رجلاً قبل إنقضاء المدة ونجوم الفتنة ، ثم صنع عثمان وقوله وصبره حتى قتل دونها ولم يخلعها ، وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلي رضي الله تعالى عنهم ، ليست بحجة على ما قلنا . فليست في الأرض دلالة ولا حجة قاطعة . وفي هذا الباب الذي وصفنا من حالاتهم وبيننا دليل على أنهم كانوا يرون أن إقامة الإمام لمريضة واجبة ، وأن الشركة عنها منفية ، وإن الإمامة تجمع صلاح الدين وإيثار خير الآخرة والأولى .

فصل منه : وأي مذهب هو أشنع وأي قول هو أفحش من قول من قال : لا
بد للشاهد من أن يكون ظاهراً عدلاً مأموناً ، ولا يأمن أن يكون القاضي جائراً
قطعاً فاجراً ؟ وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحلیم ونظر المرشد وترتيب العالم .



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

هامش استحقاق الامامة

- (١) الشيعة فرقتان هما الزيدية والرافضة . يعني بالزيدية الشيعة الذين قالوا بامامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بعد والده علي بن الحسين بينما ساقها الرافضة بأخيه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بعد والده علي بن الحسين . والارجح انه يعني بالرافضة الامامية الذين رفضوا خلافة ابي بكر وعمر وعثمان ولا ينبغي ان نفهم من كلام الجاحظ انه يهصر الشيعة في هاتين الفرقتين فقط لانه لم يكن هالفاً . سائر فرقهم العديدة وقد ذكرها في بعض كتبه كالسبئية والمنصورية والكميلية والشميطية ('سوان' ، ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٧٢) والجملة الاخيرة ، وفي الاخبار عنها علي همن سواهما ، بلهد م نذهب اليه وتفيد ان غالبية الشيعة تنتمي الى هاتين الفرقتين .
- (٢) الزيدية يفضلون علياً على من سواه كشولي الخلافة بعد النبي بخصال اربع اجتمعت فيه ولم تجتمع في غيره هي القدم في الإسلام والزهد في الدنيا والفقه والجهاد . والرجال الذين ذكرهم الجاحظ وشاطروا علياً بعض هذه الخصال كأبي بكر وزيد بن حارثة وخباب وطلحة واهي دجانة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت، واهي بن كعب واهي الدرداء واهي فر الغفاري وبلال كانوا من صحابة الرسول او لرسائه او لفقهاء الاسلام او زهاده وقد عاشوا جميعاً في صدر الاسلام .
- (٣) قول الجاحظ : وان الزيدية زعموا ان علياً كان اولاهم بالخلافة ، يعني انه لا يزيدهم في رأيهم هذا . ومع ذلك يورد حججهم التي يحاولون بها تبرير عدم تولي علي الخلافة بعد النبي ويلخصها بما يلي : (١) ان بعض الناس كانوا يفتنون علي بن علي ويتحينون الفرض للثأر منه لانه وترهم باحد اقرابهم . (٢) وبعضهم الآخر يراه صغير السن . (٣) وبعضهم يضاف من شدته في دينه وعدم تسامحه في ، اوامر الشرع . (٤) وبعضهم يكره ان تكون النبوة والملك في بيت واحد . (٥) ومعظم اناس رهاق لا اعتبار عندهم ولا يفرقون بين الصالح والظالم . (٦) وبعضهم جاهر بالردة بقيادة مسيلمة . في الهامة . (٧) وقسم منهم منافق يضر غير ما

- يظهر (٨) مطالبة الأنصار بأن يكون منهم أمير لدى اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة .
- (٤) لو أقدم علي على المطالبة بالخلافة إثر موت النبي لانقسم المسلمون على أنفسهم ولتعرض الاسلام للخطر ، وكان علي يعرف عدم اجتماع المسلمين عليه وخلافهم حوله فسارع الى تأييد أبي بكر واقامة إمامته .
- (٥) الفرق بين الزيدية والامامية هو ان الزيدية لا تبني الامامة على القرابة بل على الفضل ، بينما تبنيها الامامية على قرابة الرسول افعلي احق بالامامة لانه القرب الناس الى الرسول . ويؤدي الجاحظ ميله الى احترام مذهب الزيدية وانكماره للمذهب الإمامية .
- (٦) الزيدية تقر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رغم افضلية علي عليهم على عكس الامامية او الرافضة الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وذلك في سبيل مصلحة الدين . ويؤيدون موقفهم بشواهد من عصر النبي ، فقد ولي النبي من هو أقل فضلاً على من هو أكثر فضلاً : ولي زيد بن حارثة على جعفر الطيار في موقعة مؤتة التي جرت بين المسلمين والروم ، وولي أسامة على أبي بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من اوائل المسلمين والمهاجرين والبدويين .
- (٧) حاجة الناس الى الإمام عند الشيعة ترجع الى أنهم حاجزون عن ادراك امور دينهم وديناهم فلا بد لهم من مصلح يرشدهم الى مصالحهم في دينهم وديناهم . ، واذا كانت عقول الناس لا تبلغ جميع مصالحهم في دنيائهم فهم عن مصالح دينهم اعجز ، هذا المعلم هو الامام .
- (٨) الأئمة ثلاثة : رسول ونبي وامام . الرسول يحتل المرتبة الاولى لأنه يأتي بالشرعية ، والنبي يحتل المرتبة الثانية ، لا يأتي بالشرعية وانما يؤكد لها . اما الإمام فيأتي في المرتبة الاخيرة بعد الرسول والنبي ومهمته ارشاد الناس الى الشرعية التي أتى بها الرسول . واختلاف مراتب الأئمة يعود الى اختلاف طبائعهم ، وتغير الغرض الذي يرمي اليه كل منهم . وينبغي الاشارة الى أهمية الفكرة التي اوردها الجاحظ وهي تبدل الشرعية بتغير الزمان ، ثم الفكرة القائلة بان عقول الناس لا تستغني عن ارشاد الرسل وتلقين الأئمة ، اي أن العقل لا يستطيع بنفسه معرفة الأمور الدينية التي يأتي بها الرسول وان كان باستطاعته فهمها وتعلمها من الرسول .
- (٩) الرسول لا ينتمي الى أمة معينة ، فقد يكون عربياً وقد يكون عجمياً . وهو لا يتحدر من عائلة شريفة بالضرورة ، لأنه اشرف من الحسب ، ولكنه يحتاج إلى آيات واحاجيب يأتي بها .
- (١٠) آيات الرسول او الاحاجيب التي يأتي بها تختلف باختلاف حالة الناس العقلية . وسوف تراه يفصل هذه الفكرة في رسالة أخرى (حجج النبوة) ، والنبي لا يحتاج الى الآيات والمعجزات كالرسول لأن الرسول يهد له الطريق .

(١١) يشير الجاحظ الى الخوارج الذين لم يقتصروا الامامة في قرين كما فعل اهل السنة والجماعة ولا في علي وابنائهم كما فعل الشيعة ، وجوزوا ان يكون هريماً او اصمياً ، كما جوزوا عدم اقامة الإمام او اقامة عدة أئمة .

يرفض الجاحظ رأي الخوارج ويقول انه لا بد من اقامة الإمام ، ويجب على الناس الكف عن المحارم واعطاء النصفة من انفسهم سواء وجد الامام ام لم يوجد لأن الشرع بين لهم الحدود واذا تمردوا على الامام يكونون قد عصوا الله .

(١٢) يعرض الجاحظ رأياً يذهب إلى أنه لا حاجة إلى الامام الذي يخيف الناس فيقول ان الامامة لا تتركز على التخويف . فالرسول عندما بعث إلى العرب لم يرهبهم بل قد رأيناهم يتجرأون عليه وينكلون به ويتابعوه ويحاولون قتله . ليست مهمة الرسول التخويف بل الابلاغ بالموعظة سواء صدقوا او كذبوا . وما ينطبق على الرسول ينطبق على الامام .

(١٣) وثمة رأي آخر يذهب إلى أن عدم اقامة الامام احسن للناس لانهم حينئذ يعتمدون على انفسهم في حل مشاكلهم والدفاع عن مصالحهم ، ويتمردون على التعاون ومنع انفسهم .

(١٤) ويرفض الجاحظ دعوى الشيعة الذين يقيمون الامامة على وصية الرسول لعلي . ويقول ان خبر الوصية او العهد تختلف فيه والمختلف متدافع ، ولو كان الرسول عهد إلى علي بالخلافة لما قال الانصار منا امير ومنكم امير ، والانصار معروفون بصلى امامهم وتصديقتهم للرسول وطاعتهم اياه ، ويورد حجج الشيعة والشواهد الشعرية التي تدعها . كما يسلط الضوء على ما جرى من مداوات بشأن الخلافة اثر وفاة الرسول .

(١٥) يبرر الجاحظ كتابته لرسائله في استحقاق الامامة قائلاً ان واجبه هو كشف خطأ من يضاهيه وارشاده ، ونشر العلم بين الناس لأن نعمة العلم لا تتم الا بنشره وخبر وسيلة لنشره هي الكتب ، وقراءة الكتب أفضل من المشاهدة لأن المشاهدة تؤدي إلى الجدال والخصام والمباهاة ، ولأن الكتاب يقرأ في كل مكان وزمان ، وخبر الكتب كتاب الله أي القرآن الذي ينطوي على الهدى والرحمة والعبرة وتعريف كل حسنة وسيرة . معظم هذه الرسالة مسلوخ من رسالة الفتيا .

(١٦) الامامة تتركز على طباع البشر . هذا هو رأي الجاحظ الشخصي وبذا يربط نظريته في الامامة بفلسفته العامة أي الفلسفة الطبيعية التي يفسر بها الاخلاق والمعرفة والاجتماع والسياسة والدين أيضاً ، ان طبائع الناس وشهواتهم تدفعهم إلى الفساد والهلكة ولا يستطيع العقل في الغالب التغلب عليها وكبحها ، ومن هنا سبب الحاجة وجود قوة محاسب وتعاقب وتتوعد بالقصاص العادل تتمثل بالانبياء وخلفائهم من الأئمة .

(١٧) لا يجوز ان يلى الحكم سوى امام واحد ، والسبب برأى الجاحظ هو انه اذا وجد اكثر من امام واحد وقعت المنافسة بينهم واشتدت المغالبة والخصام ، وكل هذا يؤدي الى التضاسد والشروع واختلال امر الناس . ويرجع الجاحظ المنافسة الى طباع البشر سواء كانوا أئمة أو أصحاب حرف وصناعات . ويستشهد على فكرته بالتاريخ ويفسر الحروب التي جرت في مختلف العهود بهذا الطبع اي المنافسة .

(١٨) صفات الإمام الافضل هي العقل والعلم والحزم والعزم ، وبكلمة أخرى يجب ان يكون الامام الفضل اهل عصره ، وأن يكون اشبه الناس بالرسول ، واشبه الناس بالرسول هو من يأخذ بسيرته .

(١٩) الخلاصة التي ينتهي اليها الجاحظ من بحثه هي التالية : إقامة الإمام فريضة واجبة ، لا يجوز الاشتراك في الامامة او تعدد الائمة ، غرض الامام صلاح امر الرعية والدين . . . ويقول انه توصل الى هذه النتائج من الرجوع الى ما جرى للمسلمين منذ وفاة الرسول ومواقف المهاجرين والانصار وابي بكر و عمر وعثمان وعائشة وعلي وطلحة والزبير الخ
والواقع هو أن هذه المواقف والحوادث يتخذها الجاحظ ادلة على آرائه ، اما المبادئ التي يسند اراءه اليها فهي مبادئه التي اعتمدها في الفلسفة عامة وهي طباع البشر .



مركز تحقيقات كميوتيز علوم إسلامي



[١ - العامة تقول بالتشبيه]

أطال الله بقاءك وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك .

قد عرفت - أكرمك الله - ما كان الناس فيه من القول بالتشبيه والتعاون عليه والمعادة فيه ، وما كان في ذلك من الإثم الكبير والفرية الفاحشة ، وما كان لأهله من الجماعات الكثيرة والقوة الظاهرة ، والسلطان المكين ، مع تقليد العوام وميل السفلة والطغام .

وليست للخاصة قوة بالعام ، ولا للعلية قوة على الأراذل ، فقد قالت الأوائل فيهم ، وفي الاستعانة بالله منهم :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا ، وإذا تفرقوا لم يعرفوا

وقال واصل بن عطاء : « ما اجتمعوا إلا ضروا ، ولا تفرقوا إلا نفعوا » قيل له : قد عرفنا مضرة الاجتماع ، فما منفعة الافتراق ؟ قال : يرجع الطيبان إلى طبيته ، والحائك إلى حياكته ، والملاح إلى ملاحته ، والصائغ إلى صياغته ، وكل إنسان إلى صناعته . وكل ذلك مرفق للمسلمين ، ومعونة المحتاجين .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا نظر إلى الطغام والحشوق قال :

« قبح الله هذه الوجوه لا تعرف إلا عند الشر » .

وقال الحريري عند ذكره إياهم ، في شعره بالتعاون مع المخلوع :

من البواري تراسها ومن الـ حصوص إذا أستلأمت مغافرها
لا الرزق تبني ولا العطاء ولا يحشرها بالفناء حاشرها

وقال شبيب بن شيبة : قاربوا هذه السفلة وباعدوها ، وكونوا معها
وفارقوها ، واعلموا أن الغلبة لمن كانت معه ، وأن المقهور من صارت عليه .

وقد وصفهم بعض العلماء فقال : يجتمعون من حيث يفترقون ، ويفترقون من
حيث يجتمعون ، لا يفل غربهم إذا صالوا ، ولا تنجع لهم الحيلة إذا هاجوا .

[٢ - للعامة متكلمون بوجهوهم]

والعوام - أبقاك الله - إذا كانت نشرأ فأمرها أيسر ، ومدة هيجها أقصر .
فإذا كان لها رئيس حاذق ومطاع مدبر ، وإمام مقلد ، فعند ذلك ينقطع الطمع ،
ويموت الحق ويقتل المحق ~~مرقولا~~ أن لهم متكلمين ، وقصاصا متفهمين ، وقوماً
باينوهم في المعرفة بعض المباينة ، لم يلحقوا بالخاصة ، ولا بأهل المعرفة التامة .
ولكننا كما نخافهم نرجوهم ، وكما نشفق منهم نطمع فيهم .

[٣ - العامة تسقط شهادة الموحدين]

ثم قد علمت ما كنا فيه من إسقاط شهادات الموحدين وإخافة علماء
المتكلمين . ولولا الكلام لم يقم لله دين ، ولم نبين من الملحدين ، ولم يكن بين
الباطل والحق فرق ، ولا بين النبي والمنتبي فصل ، ولا بانث الحجة من الحيلة ،
والدليل من الشبهة .

ثم لصناعة الكلام مع ذلك فضيلة على كل صناعة ، ومزية على كل أدب .
ولذلك جعلوا الكلام عياراً على كل نظر ، زماماً على كل قياس . وإنما جعلوا له
الأمور وخصوه بالفضيلة لحاجة كل عالم إليه ، و [عدم] استغنائه عنه .

[٤ - محنة العامة وقادتهم]

فلم يزل - أكرمك الله - كذلك حتى وضع الله من عزهم ، ونقص من قوتهم . وليس لأمر الله مرد ، ولا لقضائه مدفع ، وحتى تحول إلينا رجال من قاداتهم ومن أعلامهم ، والمطاعين فيهم ، وارتاب قوم وناق آخرون . وحتى تحولت المحنة عليهم ، والتقية فيهم . وذلك كله على يد شيخك وشيخنا بعدك - أعزه الله - بما بذل من جهده ، وعرض من نفسه ، وتفرد بمكروهه ، وغرغر مراره ، صابراً على جسيمه ، يرى الكثير في ذلك قليلاً ، والإغراق تقصيراً ، وبذل النفس يسيراً . على حين خار كل بطل ، وحاد كل مقدم ، وعرد كل رئيس ، وأضاف كل مستبصر ، وطاح كل نجاج ، واستخفى كل مرء . وحتى صاروا هم الذين يشيرون عليه بالملاينة ، ويحسنون عنده المقاربة ، ويخوفونه العاقبة ، ويزعمون أن لكل زمان تدبيراً ومصلحة ، وأن إبعادهم أبقى لطبائعهم ، وإن إطلاقهم أنجع فيما يراد منهم وحتى سمو المداينة مداراة ، وإعطاء الرضا ثقية ، والشدة عند الفرصة خرقاً ، والانحياز مع صواب الأقدام رفقا ، وموالاته المخالف مخالفة ، والمصافاة معاشرة ، والمهانة حلماً ، والضعف في الدين احتمالاً . كما سمي قوم الفرار انحيازاً ، والبخل اقتصاداً ، والجائر مستقصياً ، والبلاء عارضاً ، والخطل بلاغة . فكذلك كانوا وكان وعلى هذا افترق أمرهم ، وذلك مشهور عنهم .

[٥ - المشبهة بضمون الاحاديث او يؤولونها على هواهم]

ثم يصول أحدهم على من شتمه ، ويسالم من شتم ربه ، ويغضب على من شبه أباه بعبده ، ولا يغضب على من شبه الله بخلقه ، ويزعم أن [في] أحاديث المشبهة تأويلًا ومجازاً ومخارج ، وأنها حقٌ وصدق . فإذا قيس طلب لهذا المجاز ظلم ، وقال ما يليق بلفظ الحديث ، فيكون بشهادته لصحة أحاديثهم مقراً ، فيصير فيما يدعي من خلاف تأويلهم مدعياً . ولو كانت هذه الاحاديث كلها حقاً كان قول النبي ﷺ : « سيفشو الكذب بعدي ، فما جاءكم من الحديث فأعرضوه على كتاب الله » باطلاً .

وهذا المذهب لمن يتحلل طريقتنا ، ويدعي زعمه سيئنا ، جور شديد ،
ومذاهب قبيحة ، وتقرب فاحش .

[٦ - يجب محاربة المشبهة نصرته للدين]

وليس ينبغي لديان أن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
أو إخوانهم أو عشيرتهم .

فمضى إذن تزول الثقة ، ويجب إظهار الحق والنصرة للدين ، والمباينة للمخالفين ١٩
أحين يموت الخصم ويبعد أثره ويهلك عقبه ويقل ناصره ، ويزول جميع الخوف ويكون
على يقين من السلامة . وكيف يكون القائم منا بالحق مطيعاً ، والله معظماً ١٩

فقد سقطت المحنة وزالت البلوى والمشقة . وهل المعصية إلا ما مزجه الهوى
والشهوة ، وهل الطاعة إلا ما شابه المكروه والكلفة ، وكيف يكلف مالا مؤونة
فيه ، وكيف يحمى مالا مرزئة عليه . وكيف يكون مصير من أقدم في الأمن ،
وتكمن في الخوف ، أوليست النار محفوفة بالشهوات ، أوليست الجنة محفوفة
بالمكاره . وكيف صاروا في باطلهم أيام مضرتهم أقوى منا في حقنا أيام قدرتنا .

[٧ - أهل التشبيه ما زالوا كثيراً]

وقد علمت - أرشد الله أمرك - أن التشبيه وإن كان أهله مقموعين ومهانين
وممتحنين ، فإن عند الجماجم على حاله ، وضمير أكثرهم على ما كان عليه ،
والذين ماتوا قليل من كثير . ونحن لا ننتفع بالمنافق ، ولا نستعين بالمرتاب ولا نثق
بالجانح ، وإن كانت المبادأة قد نقصت فإن القلوب أفسد ما كانت .

[٨ - أهل التشبيه يلجأون إلى الجدل عندما يشوا من القهر بالعوام والولاة]

وقد كانوا يتكلمون على السلطان والقدرة ، وعلى العمد والثروة ، وعلى طاعة
الرعاع والسفلة ، فقد صاروا اليوم إلى المنازعة أميل ، وبها أكلف ، لأنهم حينما
يشوا من القهر بالحشوة والسفلة ، وبالباعة ، وبالولاة الفسقة ، وقلوبهم ممتلئة

ونفوسهم هائجة . كان لا بد لمن كانت هذه صفته ، وهذا نعته ، من أن يستعمل
الحيلة والحجة ، إذا أعجزه البطش والصولة . وكل من كان غيظه يفضل عن
حلمه ، وحاجته تفضل عن قناعته ، فواجب أن ينكشف قناعه ، ويظهر سره ،
ويبدو مكنونه .

وقد أطمعني فيهم مناظرهم لنا ، ومقايستهم لأصحابنا ، وقد صاروا بعد
السب يحفون ، وبعد تحريم الكلام يبالسون ، وبعد التصام يستمعون ، وبعد
التجريح يدارون ، والعمامة لا تفتن لتأويل كفيها ، ولا تعرف مقاربتها . فقد
مالت إلينا على قدر ما ظهر من ميلها ، وأصغت لما ترى من استماعها .

[٩ - كتاب الرد على المشبهة بين فساد آرائهم]

وقد كتبت - مد الله في عمرك - في الرد على المشبهة كتاباً لا يرتفع عنه الخافق
المستغني ، ولا يرتفع عن الرهض المتدي . وأكثر ما يعتمد عليه العامة ودهماء أهل
التشبيه من هذه الأمور ويشتمل عليه الفضل من حشوة الناس ، ويختدع به
المحدثون من الجمهور الأعظم ، تحريف أي كثيرة إلى غير تأويلها ، وروايات كثيرة
إلى غير معانيها . وقد بينت ذلك بالوجوه القريبة ، والدلالات المختصرة ، وبالأشعار
الصحيحة والأمثال السائرة ، واستشهدت الكلام المعروف ، والقياس على الموجود .

[١٠ - جاء الكتاب مختصراً لكي لا يمله القراء]

وهو مع ذلك كله كتاب قصد ، ومقدار عدل ، لم يفضل عن الحاجة ، ولم
يقصر عن مقدار البغية . على أن الكلام لا ينبغي أن يكثر وإن كان حسناً كله ، إذا
كان السامع لا ينشط له ، وجاز قدر احتماله ، لأن غاية المتكلم انتفاع المستمع .
وقد قال الأولون : « قليل الموهظة مع نشاط الموهوظ ، خير من كثير وافق من
الاسماع نبوة ، ومن القلوب ملالة » .

قال بكر بن عبد الله المزني : ليس الواعظ من جهل أقدار السامعين ،
وإنابة المرتدين ، وملالة المستطرفين .

وقال علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه : « إن هذه القلوب تحمل كما تحمل الأبدان ، فابتغوا لها طرف الحكمة » .

وقد كان يقال : إن للقلوب شهوة وإقبالا ، وفترة وإدباراً ، فأتوها من حيث شهوتها وإقبالها .

وكان يقال : إذا أكره القلب عمي .

وقال واصل بن عطاء : طول التحديق يكل الناظر ، وناظر القلب أضعف منه .

وزعم عمران بن حدير قال : قال قدامة بن زهير : روحوا هذه القلوب مع الذكر .

وقال عبد الملك بن قسيب : قال أبو الدرداء : إني لاستجم نفسي ببعض الباطل كراهة أن أحمل عليها من الحق فأملها .

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهما ، وهو بالقادسية : ان جنبهم حديث الجاهلية ، فإنه يذكر الأحقاد . وعظهم بأيام الله ما نشطوا لاستماعها .

وقالوا : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة

ولذلك امرؤ بالجمام وزيارة الغب .

وروا أن شر السير الحفحة .

ولأن ينقص الكتاب عن مقدار الحاجة أحب إلي من أن يفضل عن مقدار القوة ، لأن الملالة تبغض [في] الجميع ، وتزهده في الكل .

[١١ - الطلب من أبي الوليد قراءة الكتاب ونشره بين الناس]

فأنا أسألك - أكرمك الله - أن تقرأ هذا الكتاب وتقرأ ما خف عليك منه .
فإن يصلح الكلام [و] كان كما وصفت وكما ضمنت ، حثت على قراءته وعلى
التخافه ، وعلى تحليده وعلى تدوينه ، وأمرت من يحتاج الى المادة ، وإلى حسن المعونة
من الموافقين والإخوان الصالحين ، أن ينظروا فيه ، وأن يثوه ويشيعوه .

وقد كنت أنا على ذلك قادراً ، وبه مستوصياً ، ولكن الرجل الرفيع إذا رفع
الشيء ارتفع ، كما أنه إذا وضع الشيء اتضع .

وإن كنت فيه غلقاً أو لعلته مستكثراً ، كان لك بحسن نيتك وصلاح
مذهبك ، والذي رجوت عنده من المنفعة وصلاح مذهبك ، والذي رجوت عنده
من المنفعة وصلاح قلوب العامة ، الأجر الكبير ، والثواب العظيم ، مع ما تقضي
بذلك من ذمام التحريم بك ، والمتحلي من بيتك ، ومع اليد البيضاء والصنيع
المشكور .

[١٢ - يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وحرام على كل متكلم عالم ، ونقيه مطاع ، وخطيب مفوه إن كان عنده من
الامر شيء ، إلا أن يأتيكم به ، ويذكركم بما عنده ، قل ذلك أو كثر ، وصادف
منكم شغلاً أو فراغاً ، لأن ذلك من عندكم أنفق ، والناس إليه أسرع والقلوب إليه
أسكن ، وهو في العيون أعظم ، لما جعل الله عندكم من حسن الاختيار ، والعلم
بمنافع العباد ، ومصالح البلاد ، إذ كتتم المفسر والمقنع ، والأئمة والمترع . ولولا ما
قلدت من أمر الجماعة ، والقيام بشأن الخاصة والعامة ، وأن الشغل برعاية حقها
والدفاع عنها ، لم يبق في قواكم فضلاً للدهاء والمنازعة ، ولوضع الكتب بالجواب
والمسألة - لبدأ بكم الفرض ، ولكتتم أحق بهذا الامر .

هل أننا لم ننطق إلا بالسنتكم ، ولم نحتد إلا على مشالككم ، ولم نقول إلا بما
أمرتمونا من فضل قوتكم . وهل الرواة من الأدباء ، وهل أهل اللسان من
الخطباء ، معاونتكم ومكاتفتكم ، والجلوس بين أيديكم والاستماع منكم ، وهل أن

يطيعوا أمركم ، وأن ينفذوا لطاعتكم ، وأن يخلصوا في الدماء ، وأن يحضوا
النصيحة ، وأن يضمروا غاية المحبة ، وأن يعملوا في كف الغل والحسد ، وأن لا
يرضوا من أنفسهم بالنفاق ، وأن يعلموا أن الحسد لا يقع إلا بين الأشكال ، وأن
التنافس لا يكون إلا مع تقارب الحال .

وقد كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا ، فإذا تقاربوا هلكوا .

وكان يقال : ثلاثة توجب الضغن وتكثر من الغل : المجاورة في المنزل ،
والاستواء في النسب ، والمشاكلة في الصناعة .

ولذلك قال شبيب بن شيبه لرجل ادعى محبته ونصيحته : وكيف لا يكون
كما وصفت وكما ذكرت ، ولست بخطيب ، ولا جار قريب ، ولا ابن عم نسبي .

وقال بعض الحكماء : لو لم تعرفوا من لؤم الحسد إلا أنه موكل بالأذى
فالأذى . وليس يقع ذلك بين المتباينين ، ولا يجوز في المتقاربين .

ولا يكون الطلب إلا بالطمع ، ولا يكون الطمع إلا بالسبب . فإذا انقطع
السبب انقطع الطمع ، وفي عدم الطمع [عدم] الطلب . وكيف يتكلف الطيران
من لا جناح له ، وكيف يرجو صلاح أمر العامة وترتيب الخاصة من هجر عن تدبير
بيته ، وقصر عن تدبير عبده ١٩

وإنصاف اللسان قليل ، وإنصاف القلب أقل منه .

ونحن نرغب إلى الله في صلاحهم ، فإن في صلاح قلوبنا لهم .

وقد جعل الله الشكر موصولاً بالمزيد ، ومن الشكر على نعمة الله علينا بكم
أن نعظم ما عظم الله من أمركم . ومن صغر ما عظم الله فقد عظم ما صغر الله .
ولا يفعل ذلك إلا الصغير القدر ، والحامل الذكر ، والجاهل بالأمر .

وكيف لا تكونون على ما خبرت وكما وصفت ، وقد أغنيتم من العيلة ،
وأنستم من الوحشة ، وجمعتم الشمل ، وأهدتكم الألفة ، ورددتم الغلامه ، وأحييتم

السنة ، وأبرزتم التوحيد بعد اكتثامه ، وأظهرتموه بعد استخفائه واحتملتكم عداوة الجميع ، ووترتم المطاهنين في تقويتنا .

ونحن لا نطالب ما كنتم قياماً ، ولا نذكر ما كنتم شهوداً . ونحن مع قلة علمنا لا نجد أبداً عملنا إلا مقصراً عن علمنا . وأنتم مع اتساع قلوبكم ، أعمالكم وفق علومكم ، لأن كل من بذل كل جهوده ، وخاطر بجميع نعمته ، وكانت الواحدة من نعمه كالجميع من نعم غيره ، مع خذلان الموافق ونكوص المؤازر ، ثم لم تزد الشدائد إلا شدة ، والوحدة [إلا] أنسة - حقيق بالتفضيل والتعظيم ، والإنابة له بالتقديم .

[١٣ - الجاحظ توجه الى أبي الوليد دون والده أحمد ابن أبي ذؤاد لأنه شاب محتلياً طموحاً وصولاً ، وأكثر فراها من أبيه]

ولعل قائلاً أن يقول : أدخله في جملة صفات أبيه ، وأجلة مشيخته وأقربيه ، حيث خصهم بالتقديم ، وأباهم بالتعظيم . بل كيف يقدم من صغرت سنه وقلت تجربته هل من تقاربت سنه وكثرت تجربته . وكيف تمكن الطاعة الكثيرة في الأيام القصيرة والشهور اليسيرة ؟ وهل يقول ذلك صاحب تحصيل ومقايسة ، واليعيد من الملق والمخادعة .

وما قلت ذلك - حفظك الله - ولا انتحلته ، إلا وبرهان حاضر ، وشاهدي شاهد . وذلك أن للشباب سكرة وطامحاً ، وقراعاً وصولاً . والمهرم داخل على جميع الأعضاء ، وأخذ بقسطه من جميع الأجزاء . ألا ترى كيف يكل ناظره وسامعه ، وذائقه وشامه ، وهاشمه وهامله ، وكيف تنقص على مرور الأيام قوته ، وكذلك قلبه وكل ما بطن من أمره ، على قدر ما نقص من قوى جسمه وتنقص من قوى شهوته . [و] يخف عليه مخالفة هواه ، ومخاربة نوازمه . ومن حمل على نفسه في كمال شبابه وأيام سكرته ، وفي سلطان حدته وكمال قوته ، فظلفها مرة وكبحها أخرى ، وعاین تلك التكاليف ، وغلب تلك الريح كان أبرز طاعة ، إذ كان

أحمل للمشقة .

وعلى قدر المشقة تكون المشوية ، وتعظم عند الله المنزلة ، وتقع له في قلوب الناس المحبة . ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد ابن أبي وقاص ، حين وجهه الى العراق : « يا سعد بني وهيب ، إن الله إذا أحب عبداً حبه الى خلقه . فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك . ونحن نعتبر حالك عند الله بالذي نجد لك في قلوب عباده . وقد ملك الله بعض الناس أبدان بعض ، ولم يملك القلوب أحداً غيره » .

وأما قولهم : إن الفرارة مقرونة بالحدائثة ، والحنكة موصولة بطول التجربة ، فإن الذهن الحديد والطبع الصحيح ، والإرادة الوافرة ، ينال في الأيام اليسيرة ، ويدرك في الدهور القصيرة ، ما لا تدركه العقول المخدوجة ، ولا الطبائع المدخولة ، والإرادة الناقصة ، في الأيام الكثيرة ، والدهور الطويلة . وربما صادف القائل مع ذكائه وكثرة قراءته وجودة اعتباره ، زماناً أكثر عجباً ، وأكثر معتبراً ، وإن كانت شهوره أقل ، وأيامه أقصر ، فينال مع قلة الأيام ما لا ينال سواه مع كثرتها ، ولا سيما إذا أعين بحفظ ، وأحسن من نفسه بفضيل بيان .

وليس من نظر في العلم على الرغبة والشهوة له كمن نظر فيه على المكسبة به والهرب إليه ، لأن النفس لا تسمح بكل قواها إلا مع النشاط والشهوة ، وهي في ذلك لنفسها مستكرهة ولها مكابدة . والسامة إلى من كانت هذه صفته أقرب ، وله ألزم . ولولا ذلك لما ولى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل اليمن ، وجعل إليه قبض الصدقات ، ومحاسبة العمال ، وقلده الأحكام وتعليم الناس الإسلام ، وهو ابن ثمانين عشرة سنة . ولا يدفع ذلك صاحب خبر ولا حامل أثر .

وعلى مثل ذلك عقد لأسامة بن زيد الإمرة ، وأبانه بالتقدمة على أجلة الأنصار وكبار المهاجرين ، وخيار السلف المتقدمين .

وعلى مثل ذلك ولي عتاب بن أسيد مكة ، وبها عظماء قريش وكبراء العرب
وذوو الاخطار من كل قبيلة ، وذوو الأسنان من كل جيل . ومكة فتح الفتوح ، وأم
القرى ، وخاتمة الهجرة وقبلة العرب ، وموضع الحرم والموسم الأهمم والحج
الأكبر ، والأصل والمفخر .

وقد رأيتم ما بلغ بخالد بن يزيد في السؤدد والمحبة ، وقود الجيوش والهيبة ،
وهو ابن خمس عشرة سنة . وقد ذكر ذلك الكميث بن زيد فقال :

قائد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال
تعدت بهم هماتهم وسما به هم الملوك وسورة الأبطال

فأما ابن بيضر فقال :

بلغت لعشر مضت من سنك ما يبلغ السيد الأشهب
لهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

وعلى مثل ذلك قال الفرزدق في يزيد بن المهلب :

ما زال مذ عقدت بداه إزاره ودنا وكان الخمسة الأشبار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

وعلى هذا المجري مدح الشاعر من مدح فقال :

ما زلت على عقل الكعبه ر وأنت في سن الصغير

وقد رأيتم ما بلغ محمد بن القاسم من الفتوح العظام والأيام الجسام ،
والقهر للأعداء ، وبلوغ المحبة في الأولياء ، وهو ابن خمس عشرة سنة . وقد ذكر
ذلك زياد الأصم فقال :

ما إن سمعت ولا رأيت عجيبة كمحمد بن القاسم بن محمد
قائد الجيوش لخمس عشرة حجة يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال الآخر :

إذا المرء أهيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه سير

وقال آخر :

إذا ما ترهع فينا الغلام فليس يقال له من هو
إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هو
ولي صاحب من بني الشيبان فطوراً أقول وطوراً هو

وزعموا أن عمرو بن سعيد قال له معاوية - وذلك قبل أن يبلغ ويحتلم - إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلي ولم يوص به . قال : فيم أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه .

ولو لم يعرف ذلك إلا بعبد الله بن العباس وحده كان ذلك كافياً ، وبرهاناً شافياً ، فإن الأعجوبة فيه أربت على كل عجب ، وقطعت كل سبب . وقد رأيت حاجة عمر إليه ، واستشارته إياه ، وتقريره لعثمان رضي الله عنهما وتغييره عليه . ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحقاً ، وبها مخصوصاً ، ما خصه الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة المستجابة ، ولما خصه بعلم الكتاب والسنة وهما أرفع العلم ، وأشرف الفكر . وبدلك على تقديمه للغاية ، وإيثاره للتعليم والاستبانة ، قوله حين قيل له في حدائمه وقبل البلوغ في سنه : ما الذي آتاك هذا العلم وهذا البيان والفهم ؟ قال : « قلب عقول » ولسان سؤول » .

وقد عرفتم محاكم العرب في الجاهلية في النفورة ، وفي غير ذلك من المخايرة والمشاورة ، إلى أبي جهل بن هشام في أيام حدائمه وفتائه ، ولذلك أدخلوه دار الندوة ، ودفع [مع] ذوي الاسنان والحنكة من بين جميع الشبان ، ومن بين جميع الفتيان .

ولذلك قال قطبة بن سيار حكيم فزارة حين تنافر إليه عامر ابن الطفيل

وعلقمة بن علاثة : عليكم بالحديد الذهن ، الحديث السن : يعني أبا جهل .

فهذا كله دليل واضح ، وبرهان بين .

ولعل قائلًا أن يقول : إنما الفضل في خشونة الملابس ، وليس ذلك لمن

مدحت ، ولا هذه صفة من وصفت .

وهذا باب - أبقاك الله - قد يغلط فيه العاقل ما لم يكن بارعاً ، والفظن ما لم يكن ثاقباً ، والأريب ما لم يكن كاملاً . ولو كان الفضل والرياسة والقدر والنباهة على قدر قشف الجلدة وبداثة الهيئة ، وكثرة الصوم ، وإيثار الوحشة والسياحة - لكان عثمان بن مظعون متقدماً لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، ولكان بلال بن رباح غامراً لعثمان بن عفان رضي الله عنهما .

وقد قال ابن شهاب الزهري : ليس الناسك إلا من غلب الحرام صبره ،

والحلال شكره .

فهذا ما حضرنا من القول ، وأمكثنا من الاحتجاج . وما أشك أن من خبر أمرك أكثر من اختباري كان عنده أكثر من علمي . وعلى أن منظره - أسعدك الله - يعني من المخبر ، والفراسة فيك تكفي مؤونة التجربة لك . وقد ثقيلت بحمد الله أخلاق شيخك ، واحتذيت على مثاله كما احتذى على مثال من كان قبله . ولو لم يتعقبوا أمرك ، ويتصفحوا سيرتك في نفسك ثم في خاصتك وعامتك ، لكان في صدق الفراسة وظهور المحبة ما تقضي به النفوس ، ويستدل به المجرب .

وظن العاقل كيقين غيره .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنك لن تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

وقال أوس بن حجر :

الأمي الذي يظن لك الظن من كأن قد رأى وقد سمعا

وقال وهو يمدح ابن كلدة بصدق الحس ، وصواب الحدس ، وجودة الفطن :

جريب أديب أخو مازق نقاباً يخبر بالفضائل

وقال آخر يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان :

رأيت أبا الوليد غداة جمع به شيب وما فقد الشباب

ولكن تحت ذاك الشيب حزم إذا ما ظن أمرض أو أصاب

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴾ . وقال :

﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ . وفي ذكره البعض دليل على أن سائر ذلك صواب وطاعة .

وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله ، أنكما قد تهربان في بعض الأمور مجرى واحداً ، ولأنك وإن كنت كثير الشغل فهو أقل فراغاً منك على كثرة شغلك ، وفرط عنايتك بما استكفأك واسترعاك . وإن جعلت لي قسماً من وقت فراغك ، ونصيياً من ساعة نشاطك ، رجوت أن يصير إلى ما أملناه عندك من الإنعام علي ، والاسترهان لشكري ، فإن العرب لم تعظم شيئاً قط كتعظيمها موقع الإنعام والشكر والاحدوثة الحسنة ، والذكر والتميز ، والاستمداد للنعم ، والكفر حائل بين العود والبدء .

قال عترة :

نبئت بشراً غير شاكري نعمتي والكفر مخبئة لنفس المنعم

وقال السندي :

فلم أجز بالحسنى وهادت مشاربي بلاقع بقروها الحمام المقرقر

تبدلت بالإحسان سوءاً وربما تنكر للمعروف من كان يكفر

ويدل على حبهم لثناء وجميل الذكر قول الأسدي :

فإني أحب الخلد لو أستطيعه وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم
وقال :

فأثروا علينا لا أبأ لأبيكم بسماتنا إن الثناء هو الخلد
وقال الغنوي :

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدثوا إن الحديث مهالك وخلود
فجعلوا الذكر بالجميل مثل الخلود في النعيم .

وعلى هذا المعنى قال في درك الثار :

فقتلاً بتقتيل وعقراً كعقركم جزاء العطاس لا يموت من آثار
وقال حكيم الفرس حين بلغه موت الإسكندر ، وهو قاتل دارا بن دارا : ما
ظننت أن قاتل دارا يموت ا
وهذا القول هو أمدح منه لقائله . ولم أسمع للعجم كلمة قط أمدح منها .
فأما العرب فقد أصبت لهم من هذا الضرب كلاماً كثيراً .

ومما يدل على قدر عظم الشكر عند الشاكر والمشكور له من العرب ، قول
أوس بن حجر في حليلة :

سنجزيك أو يجزيك عنا [مشوب] وحسبك أن يثنى عليك ويحمدي
وقال بعض الشعراء :

فلم أجزه إلا التشكر جاهداً وحسبك مني أن أقول فأحمدا
وكانوا يرون للذنب ما لا يراه غيرهم . وقال امرؤ القيس بن حجر :

• وجرح اللسان كجرح اليد •

وقال جرير :

● وللسيف أشوى رقعة من لسانيا ●

في أشعار كثيرة .

[١٤ - الرباط الذي يربط الجاحظ بابن أبي ذؤاد هو التوحيد ونفي التشبيه]

ولست أمت إليك - أكرمك الله - بعد التوحيد ونفي التشبيه ، ونصرتي للدين ، بأمر أنا به أوثق من رغبتك في شكر الكرام والأحدوثة الحسنة . قال الله عز وجل : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ وقال : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ . فلو كان حب الذكر خطيئة لما رغبهم فيه ، ولا عد في نعمه .

[١٥ - الثناء على القاضي يرجع على المعتصم]

ولعل قائلاً أن يقول : وكيف لم تذكر أمير المؤمنين ، والمعتصم برب العالمين ، الذي حقق الله به الدين وسدد به الثغور ، ورد به المظالم ، وحسم به عرق البغي ونواجم الفتنة ، الذي لم يزل الله يزيده في كل طرفة محبة ، ومع كل محبة هيبة ، ومع كل نعمة شكراً ، ومع كل شكر فضلاً . وهو المبتدئ بهذا الأمر والقائم به ، والقطب الذي عليه تدور الرحى ، وعلى مثاله احتذى من احتذى ، وبلسانه نطق ، وعن رأيه صدر . وبيمين نقيته ظهر ، وبفضل قوته نهض . وهو أول هذا الأمر ووسطه ، به يتم إن شاء الله تعالى .

قلنا : إن عقل الرسول يدل على مرسله ، واعتدال القناة يدل على حدق المثقف ، ومدىحك الوزير راجع الى من اختاره ، وإن تصويب ظن المتفرس فيه ومدىحنا له غير راجع الى وزيره والمحتذى على مثاله ، بل قد علم الناس أن الحظ الأكبر للأمر دون المطيع ، وللمعلم دون القائل ، ولأن المسبب في عداله وعند النظر والتحصيل ، فاضل من المسبب ، والمتبوع خير من التابع ، ألا ترى أن من مدح الأنصار فهو للنبي ﷺ والمهاجرين أمدح ، وإن لم يظهر ذكرهم في

الوصف .

قال جرير :

• نلکم قریشی والانصار أنصاري •

وقال رؤبة :

• ومرع على المنبر لي والمنبر •

وربما كانت الكناية أبلغ في التعميم ، وأدعى إلى التقديم ، من الإفصاح والشرح . وربما أتى من السكوت بما يعجز القول عنه وقد بلغ أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماء والاشارة ، حتى يكون تكلف القول فصلاً ، والكلام خطلاً .

وما عسى أن أقول ليهن قد قوي عقله بطبيعته ، وانتصف عزمه من شهوته ، وكان عمله وفق علمه ، وعمله غامراً لخصمه .

وقد يجري الملك على عرق صالح ومنشأ سوء ، فيقدح ذلك في عرقه وإن لم يستأصله ، وقد يكون له عرق صالح ومنشأ صدق ، وتكون أذاته تامة ويكون مؤثراً لهواه ، فيكون في الاسم وفي ظاهر الحكم كمن لسد عرقه وخبث منشأه .

وقد جمع الله لأمر المؤمنين مع كرم المروق وصلاح المنشأ ، البعد من إظهار الهوى . وهل رأيت أفعالاً أشبه بأخلاق ، ولا أخلاقاً أشبه بأعراق ، من أفعاله بأخلاقه ، وأخلاقه بأعراقه .

فنسأل الله الذي أسندنا بخلافته ، أن يمن علينا بطول بقائه ، وأن يخلصنا بحسن نظره كما خصنا بمعرفة حقه ، والاحتجاج لملكه ، والذب عن سلطانه .

ولربما كان اللسان أنفذ من السنان ، وأقطع من السيف اليمان .

أطال الله بقاءك وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك .

• • •

تمت الرسالة بعون الله تعالى ومنه وتوفيقه وتأييده . والحمد لله أولاً وآخراً
وصلواته على سيدنا محمد نبيه ، وآله وصحبه ، وسلامه .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

هامش رسالة في نفي التشبيه ، وكتاب في الرد على المشبهة

- (١) يوجه الكلام الى القاضي محمد بن أحمد بن أبي دؤاد الذي خلف والده على القضاء في عهد المعتصم وكان ميالاً الى المعتزلة ناصراً لهم في صراهم ضد اهل السنة والجماعة . يوغر صدره على العامة الذين قالوا بالتشبيه ويستشهد بأقوال علي بن أبي طالب وواصل بن عطاء احد مؤسسي المعتزلة ، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الثقي وهي أقوال تحمل على العامة وتتهمها بالغباء والطغيان والشر ، كما يستشهد بيوتن للشاعر اسحاق بن حسان الحرابي الذي حاصر الجاحظ ، يذم فيها العامة الذين ابتدوا الخليفة المخلوع الامين والمخلو من الحصار تروساً ومن الخوص دروفاً ويصر لم شملهم . اما قول شبيب بن شيبه فيشير الى كيفية معاملة العامة . وهذه الاقوال التي استشهد بها الجاحظ تدل على منعة اطلاقه وقوة حافظته وهي ميزة أمده بقدرة على تأييد آرائه .
- (٢) خطر العامة يتفاقم اذا كان لها رئيس حافظ او امام يقلد فعندئذ يصعب التغلب عليها . وهذا ما حدث فعلاً ، فقد اتخذت العوام متكلمين وقصاصاً تقلدهم وتسترضدهم .
- (٣) ان العامة صالت على المتكلمين وأرهبتهم ، واسقطت شهادة الموحدين اي المعتزلة وكلام الجاحظ يشير الى ان علماء المعتزلة كانوا يمثلون المتكلمين في عصره . وهؤلاء فضل كبير على الاسلام فهم الذين ناصرته وحاربوا الالحاد ، وبنوا الحق من الباطل ، وفضلوا المتني والني أي ميزوا بين النبي الحق ومدعي النبوة ، وللجاحظ كتاب حول هذا الموضوع .
- (٤) هنة العامة وقادهم : يشير الجاحظ الى المعركة التي خاضها المعتزلة ضد اهل السنة والجماعة اي العامة والتي عرفت بما سمي هنة خلق القرآن وكان القاضي احمد بن أبي دؤاد يتولى محاكمة الامة اهل الجماعة وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل .
- (٥) يتهم الجاحظ اهل الجماعة بالقول بالتشبيه ووضع الاحاديث . والتشبيه بنظر المعتزلة الذين يتحلون طريقة الجاحظ جور وفحش .
- (٦) يجب محاربة هؤلاء المشبهة دون هوانة او تأخر وهون مهانة او تواد والا قسوا على المعتزلة .

وواحد يتضمن إدراك المرء المباشر لذاته ، وواحد يتعلق بالأخبار ، وواحد يتعلق بتوجيه الخطاب ، واثنان يتعلقان بالقدم والحدوث . وقد أهمل ما يتعلق بالعلوم الدينية والعقلية .

(٧) جميع آراء المعتزلة التي ذكرها الجاحظ حول المعرفة فاسدة . وبعد بقول الحقيقة في سياق كلامه على المعربة .

(٨) يناقش الجاحظ رأي النظام القائل أن العلم بالله يكتسبه الإنسان اكتساباً ، إن الذين يعتقدون خلاف ذلك هم على حق أو على باطل . فإن كانوا على حق كان رأي النظام باطلاً وإن كانوا على بطل فكيف نميز اعتقادهم عن اعتقاد خصومهم ؟

(٩) يعلن الجاحظ فكرة هامة وهي : إن اطمئنان القلب وسكونه ليس علامة الحق وهذه الفكرة سيقول الغزالي بعكسها فيما بعد عندما يحدد العلم اليقيني بأنه العلم الذي لا يخالطه الشك .

(١٠) كذلك ليس استشهاد الضرورات علامة للحق ، لأن المبطل يدهي كالحق أنه استشهاد الضرورات لأن « من شأن الناس أن يستدلوا على الباطن بالظاهر إذا أرادوا النظر والقياس ، ثم هم بعد ذلك يخطئون ويصيبون » . وسرى الغزالي مرة أخرى بلجاً إلى مفهوم الضرورة في رده على الفلاسفة حول مسألة قدم العالم .

(١١) الدليل على فساد المبدأ المذكور أهلاه أي استشهاد الضرورات كعلامة للحق هو اختلاف أصحاب النظام ذاتهم حول المسألة الواحدة وكل منهم يدهي أنه على حق لأنه استشهاد الضرورات . ينبغي أن نلاحظ أن المعتزلة على الرغم من انتمائهم إلى مدرسة فكرية واحدة وإجماعهم على الأصول الخمسة ، العدل والتوحيد والمنزلة بين المنزلتين والوحد والوحد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كانوا يختلفون في مسائل كثيرة ويتقد بعضهم بعضاً نقداً شديداً . فالجاحظ مثلاً ينتقد من سبقوه أو عاصروه حول نظرية المعرفة كما نرى في هذه الرسالة ، والذين جاؤوا بعده انتقدوه بدورهم لقوله أن المعرفة طباع كما يتضح من رد الجبالي والقاضي عبد الجبار عليه في كتاب المغني الذي ألفه هذا الأخير .

(١٢) يعلن الجاحظ أنه بعد مناقشة آراء بشر بن المعتمر والنظام وسواهما سيقول رأيه الخاص حول المعرفة والإستطاعة والتكليف .

(١٣) إن الله لا يكلف الإنسان شيئاً إلا إذا كان مستطيعاً لفعل ذلك الشيء . ولا يكون مستطيعاً إلا إذا توافرت فيه شروط هي صحة الجسم واعتدال المزاج والمعرفة بكيفية الفعل .

(١٤) الحرية تعني بنظر الجاحظ القدرة على اختيار الشيء أو استطاعة فعله . ولا يكون

الإنسان حراً إلا إذا تعادلت فيه قوتنا العقل والشهوة . فمضى كانت القوتان متكافئتين كان الفعل اختياراً وإذا تغلبت إحداهما على الأخرى حدث الفعل اضطراراً . وهذه نظرية أصيلة وهامة ابتدعتها الجاحظ تستحق الإعجاب . راجع حول هذا الموضوع كتابنا « المناحي الفلسفية عند الجاحظ فصل الجاحظية » .

(١٥) معرفة الله تتم بواسطة الأنبياء . وينفي الجاحظ معرفة الله بأدلة أخرى بالحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان . والمعروف أن أرسطو أقدم من قال بدليل الحركة وتناهمه فيه الفلاسفة العرب . ويدهي أن بعض الموحدين أنكروا بأدلة تكلفوها ولم يكونوا بحاجة إليها . وينبغي أن نتساءل هنا : ألم يبحث الجاحظ نفسه عن أدلة أخرى عدا حجج النبوة ، على وجود الخالق كما فعل في كتاب « الحيوان » عندما اعتبر الحيوانات دليلاً على حكمة الخالق ؟

(١٦) معرفة صدق الرسل اضطرارية وليست مكتسبة ، لأن تجارب الطفل تجعله قادراً على التمييز بين الصدق والكذب .

(١٧) تجارب الطفل ليست إرادية أو قصدية كتجارب البالغين وإنما هي تجارب عفوية اضطرارية تتم طبعاً دون وعي وإرادة في الطفل . « إن التجربة على ضربين : أحدهما أن يقصد الرجل إلى امتحان شيء ليحرف مطبوعه كما يحرف منظره ، والأخر أن يهجم على علم ذلك من غير قصد » .

(١٨) البلوغ معناه استحكام المعارف عند الطفل وحياسة القدرة على التمييز بما في ذلك التمييز بين الصدق والكذب ، لقد عدل الله طبعه وأحكم صنعه وولر أسبابه فلا يحتاج عند معابته رسولاً يحمي الموتى ويهري الأكمه والأبرص ويفلق البحر إلى تفكير ولا تمثل ولا إمتحان ولا تجربة

أنظر حول نظرية المعرفة عند الجاحظ كتابنا « المناحي الفلسفية عند الجاحظ » (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٩ - ١٦٧) .



[١٦ - معنى التوحيد عدم تجزئة الواحد وعدم تشبيهه بشيء ذي اجزاء]

أما بعد ، فقد اختلف أهل الصلاة في معنى التوحيد ، وإن كانوا قد أجمعوا على انتحال اسمه . فليس يكون كل من انتحل اسم التوحيد موحداً إذا جعل الواحد ذا اجزاء ، وشبهه بشيء ذي اجزاء .

[١٧ - ليس موحداً من يزعم رزية الله بالعين]

ولو أن زاهماً زعم أن أحداً لا يكون مشبهاً وإن زعم أن الله يرى بالعين ، ويوجد ببعض الحواس ، حتى يزعم أنه يرى كما يرى الإنسان ، ويدرك كما تدرك الألوان كان كمن قال : لا يكون العبد لله مكذباً ، وإن زعم أنه يقول ما لا يفعل ، حتى يزعم أنه يكذب . ولا يكون العبد لله مجوراً ، وإن زعم أنه يعذب من لم يعطه السبب الذي به ينال طاعته ، حتى يزعم أنه يجور .

ولو أن رجلاً قال لفلان : عندي جدر مائة ، كان عندنا كقوله : لفلان عشرة . وكذلك إذا قال : فلان قد ناقض في كلامه ، فهو عندنا كقوله : فلان قد أحال في كلامه .

ولو قال : ناقض ولم يجل ، له عندي جدر مائة وليس له عندي عشرة ، كان كالذي يقول : ركبت عيراً ولم أركب حماراً ، وشربت المدامة ، ولم أشرب حمراً .

وللمعاني دلالات وأسماء ، فمن دل على المعنى بواحدة منها ، وباسم من
أسمائها ، لم نسأله أن يوفينا الجميع ، وأن يأتي على الكل ، ولم يلتفت الى منع ما
منع ، إذا كان الذي منع مثل الذي أعطى .

[١٨ - وليس موحداً من يقول ان الله جسم]

وقد أنبا الله عن نفسه ، على لسان نبيه ﷺ ، فقال ﴿ ليس كمثله شيء ﴾
فأقر القوم بظاهر هذا الكلام ، ثم جعلوه في المعنى [جسماً] يشبه كل شيء ،
وإذ جعلوه جسماً ، فقد جعلوه محدثاً ومخلوقاً ، لأن دلالة الحدوث ، والشهادة على
التدبير ، ثابتان في الأجسام ، وإنما لزمها ذلك لأنها أجسام لا لغير ذلك ، لأن
الجسم إذا تحرك وسكن ، وعجز وقوي ، وبقي وفقى ، وزاد ونقص ، وممازج
الأجسام وتخلص لأنه جسم ، ولولا أنه جسم لاستحال ذلك منه ، ولما جاز عليه
هذه الأمور التي أوجبتها الجسمية ، [و] هي الدالة على حدوث الأجسام .
فواجب أن يكون كل جسم كذلك ، إذا كانت الأجسام مستوية في الجسمية وإذا
كان كل جسم منها أيضاً لزمه ذلك .

[١٩ - بعض المشبهة قالوا ان الله جسم ليخرجوه من العدم ، وليعقل إذا لا

يعقل سوى الجسم]

وقد اختلف أصحاب التشبيه في مذاهب التشبيه .

فقال بعضهم : نقول : إنه جسم ، وكل جسم طويل .

وقال آخرون : نقول : إنه جسم ، ولا نقول إنه طويل ، لأننا إنما
جعلناه جسماً لنخرجه من باب العدم ، إذ كنا متى أخبرنا عن شيء ، فقد جعلناه
معقولا متوهماً ، ولا معقول ولا متوهم إلا الجسم . وليست بنا حاجة الى أن نجعله
طويلاً ، وليس في كونه جسماً إيجاب لأن يكون طويلاً .. لأن الجسم يكون طويلاً
وغير طويل ، كالدور ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك ، ولا يكون الشيء إلا
معقولا ، ولا المعقول إلا جسماً . فلذلك جعلناه جسماً ، ولم نجعله طويلاً .

فينبغي - يرحمك الله - لصاحب هذه المقالة ، إن لم يجعله طويلاً أن يجعله
عريضاً ، وإن لم يجعله عريضاً أن يجعله مدوراً ، وإن لم يجعله مدوراً أن يجعله
مثلاً ، وإن لم يجعله مثلاً أن يجعله مربعاً . وإن أقر بيته من الهيئات فقد دخل فيها
كره .

ولا أعلم المدور ، والمثلث ، والمربع ، والمخمس ، والمصلب ، والمزوي ،
وغير ذلك من الهيئات ، إلا أشنع في اللفظ . وأحقر في الوهم .

[٢٠ - تأويل اصحاب التشبيه لايات القرآن بصدد الرؤية : الآية ﴿ لا
تدركه الأبصار ﴾ تنسخها الآية ﴿ اعيون يومئذ ناظرة الى ربهنا ناضرة ﴾]

فصل منه : وقال اصحاب الرؤية : اذا احتلتم علينا بقول الله تعالى : ﴿ لا
تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ وقتلتم : هذه الآية مبهمة ، وخرجت مخرج
العموم ، والعام غير الخاص .

وقد صدقتم ، كذلك العام إلى أن يخصه الله بآية أخرى ، وذلك أن الله تعالى
لو كان قال : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ثم لم يقل : ﴿ وجوه
يومئذ ناظرة . إلى ربهنا ناظرة ﴾ لعلمنا أنه قد استثنى آخره من جميع
الأبصار .

قالوا : وإنما ذلك مثل قوله : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
إلا الله ﴾ ومثل قوله : ﴿ وما كان الله ليظلمكم على الغيب ﴾ وهذه الأخبار
مبهمة عامة ، فلما قال : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت
ولا قومك من قبل هذا ﴾ ولما قال ، أيضاً : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا
بما شاء ﴾ علمنا أن القول الثاني قد خص القول الأول . وكذلك أيضاً قوله :
﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ .

[٢١ - رد الجاحظ : كبار المفسرين يفسرون الآية ﴿ وجوه يومئذ ناظرة الى
ربهنا ناظرة ﴾ بمعنى الانتظار]

قلنا للقوم : إن الله تعالى لما قال : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ . بعد أن قال : ﴿ وما كان الله ليظلمكم على الغيب ﴾ . علمنا أن ذلك استثناء لبعض ما قال إني لا أظلمكم على الغيب . وهذا الاستثناء لا اختلاف في لفظه ولا في معناه ، ولا يحتمل ظاهر لفظه غير معناه عندنا .

وعند خصومنا فيه أشد الاختلاف . وظاهر لفظه يحتمل وجهاً آخر غير ما ذهبوا إليه . والفقهاء وأصحاب التفسير يختلفون في تأويله وهم لا يختلفون في تناول قوله : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ .

قال : ذكر ابن مهدي عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ قال : تنتظر ثواب ربها .

وذكر أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح مثل ذلك . وأبو صالح ومجاهد من كبار أصحاب ابن عباس ، ومن العاملة ، ومن المتقدمين في التفسير .

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية . فهذا فرق بين .

وبعد ، ففي حجج العقول أن الله لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، فإذا كان مرثياً فقد أشبهه في أكثر الوجوه .

وإذا كان قولهم في النظر يحتمل ما قلتم ، وما قال خصمكم ، مع موافقة أبي صالح ومجاهد في التأويل ، وكان ذلك أولى بنفي التشبيه الذي قد دل عليه العقل ، ثم القرآن : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ - كان التأويل ما قال خصمكم دون ما قلتم .

[٢٢ - القرآن هو الحكم وقد استعظم الرؤية في الآية ﴿ يسألك أهل الكتاب ﴾ - نقاش حولها]

فصل منه : ثم رجع الكلام إلى أول المسألة ، حيث جعلنا القرآن بهننا قاضياً ، واتخذناه حاكماً ، فقلنا :

قد رأينا الله استعظم الرؤية استعظماً شديداً ، وغضب على من طلب ذلك وأراده ، ثم عذب عليه ، وعجب عباده من سأل ذلك ، وحذرهم أن يسلكوا سبيل الماضين ، فقال في كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذهم الصاعقة ﴾ .

فإن كان الله تعالى - في الحقيقة - يجوز أن يكون مرثياً ، وبعض الحواس مدرئاً ، وكان ذلك عليه جائزاً ، فالقوم إنما سألوا أمراً ممكناً ، وقد طمعوا في مطمع ، فلم غضب هذا الغضب ، واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام ، وضرب به هذا المثل ، وجعله غاية في الجرأة وفي الاستخفاف بالربوبية .

فإن قالوا : لأن ذلك كان لا يجوز في الدنيا ، فقدره الله تعالى على ذلك في الدنيا كقدرته عليه في الآخرة .

فإن قالوا : ليس لذلك استعظم سؤالهم ، ولكن لأنهم تقدموا بين يديه .

قلنا : لم صار هذا السؤال تقدماً عليه واستخفافاً به ، والشيء الذي طلبوه هو يجوز في عقولهم ، وقد أطمعهم فيه أن جوزوه عندهم ، والقوم لم يسألوا ظلماً ولا عبثاً ولا محالاً . ومن عادة المسؤل التفضل ، وأنه فاعل ذلك بهم يوماً .

فإن قالوا : إنما صار ذلك الطلب كفوفاً وذنباً عظيماً لأنه قد كان قال لهم : إني لا أتجمل لأحد في الدنيا .

قلنا : فإن كان الأمر على ما قلتم لكان في تفسير إنكاره لطلبهم دليل على ما يقولون ، ولذكر تقدمهم بعد البيان ، بل قال : ﴿ لقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ لا غير ذلك .

فإن قالوا : إنما غضب الله عليهم لأنه ليس لأحد أن يظن أن الله تعالى يرى جهرة .

قلنا : وأي شيء تأويل قول القائل : رأيت الله جهرة إلا المعاينة ، أو إعلان
المعاينة ، قال الله عز ذكره : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ﴾ .
والجهر هو الإعلان والرفع والإشاعة ، فهل يراه أهل الجنة - إذا رفع عنهم
الحجب ، ودخلوا عليه وجلسوا على الكرسي عنده - إلا جهرة ؟ كما تأولتم الحديث
الذي روئتموه عن النبي ﷺ : « لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر
ليلة البدر » ، إلا أن يزعموا أنهم يرون ربهم سرّاً لأنه ليس إلا السر والجهر ،
وليس إلا الإعلان والإخفاء ، وليس إلا المعاينة .

فإن قالوا : نحن لا نقول بالمعاينة ، ونقول : نراه ، ولا نقول نعاينه .

قلنا : ولم ، وأنتم ترونه بأعينكم ؟ فمن جعل لكم أن تقولوا نراه بالعين ،
ومنعكم أن تقولوا نعاينه بالعين ؟ وهل اشتقت المعاينة إلا من العين ؟

فإن قالوا : لا يجوز أن يلفظ بالمعاينة إلا في الشيء الذي تقع عينه علي ،
وتقع عيني عليه . فإما إذا كان أحدهما ذا عين ، والآخر [ليس] ذا عين ، فغير
جائز أن تسمى الرؤية معاينة ، وإنما المعاينة مثل الخاصمة ، ولا يجوز أن أقول :
خاصمت إلا وهناك من يخاصمني .

قلنا : قد يقول الناس أسلم فلان حين عابن السيف ، وليس للسيف عين ،
وليس هناك من يقائله . هل أنكم قد تزعمون أن لله عيناً لا كالعيون وبدأ
لا كالأبدي ، أوله عين بلا كيف ، وسمع بلا كيف .

[٢٣ - دليل المشبهة على ان الله جسم الآية ﴿ وجاء ربك والملك صفاً
صفاً ﴾]

لصل منه : وقالت - أيضاً - المشبهة :

الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾
قالوا : فلا يجيء إلا إلى مكان هو فيه ، ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز

أن يخرج منه وهو فيه . فإذا أخبر الله أنه في السموات والأرض ، وقتلتم ان الدنيا كلها لا تخلو منه ، وإنه فيها ، فإذا كان الأمر كذلك ، وكانت الدنيا محدودة ، كان الذي يكون في بعضها أو في كلها محدوداً ، إذا كان لم يجاوزها . ولو جاوزها لخرج إلى مكان ، ولا يجوز أن يخرج منها إلا إلى مكان .

وقالوا : قد أخبر الله أنه في السموات والأرض ، والله لا يخاطب عباده إلا بما يعقلون ، ولو خاطبهم بما لا يعقلون لكان قد كلفهم ما لا يطيقون ، ومن خاطب من لا يفهم بالفهم عنه فقد وضع المخاطبة في غير موضعها . فهذا ما قال القوم .

[٢٤ - رد الجاحظ على دليل المشبهة الأعمى : يجب الأخذ بالمعنى المجازي لا

الأصل]

ونحن نقول : إن الشيء قد يكسب في الشيء على وجوه ، وسنذكر لك الوجوه ، ونلحق كل واحد منها بشكله وبما يجوز فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلنا للقوم : ألمس قد خاطب الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، والذين خبر أنهم لا يستطيعون سمعاً ؟

فإن قالوا : إن العرب قد تسمى المتعامي أعمى ، والمتصامم أصم ، ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل ، وإنما الكلام محمول على كلام . وذلك أن المتعامي إذا تعامى ، صار في الجهل كالأعمى ، فلما أشبهه من وجه سمي باسمه .

قلنا : قد صدقتم ، ولكن ليس الأصل . والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له . فإذا قالوا ذلك ، قلنا : فلم زعمتم أن له ناظراً ، وأغلتم بالمجاز والتشبيه ، وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه ؟

فإن قالوا : إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز هل الله تعالى ، والثاني جائز عليه ، والله لا يتكلم بكلام إلا ولذلك الكلام وجه إما أن يكون هو الأصل والمحمول عليه ، وإما أن يكون هو الفرع والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازاً .

فإذا نظرنا في كلام الله - وهو عندنا عادل غير جائر، وهو جل جلاله يقول : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين ، كانوا قد كلفوا ما لا يطيقون ، والمكلف لعباده ما لا يطيقون جائر ظالم . فإذا كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين . وإذا كانوا كذلك ، صار الواجب أن نحكم بالفرع والمجاز ، وندع الأصل والمحمول عليه وقلنا : هم عمي وصم ولا يعقلون على أنهم تعاموا وتصاموا وعملوا عمل من لا يعقل .

فإذا قالوا ذلك قلنا هم : فإننا لم نعد هذا المذهب في قوله : ﴿ ناضرة ﴾ ، ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ وفي قوله : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾ .

وقد يقولون : جاءنا فلان بنفسه ، ويقولون : جاءنا بولده ، وجاءنا بخير كثير . وذلك على معان مختلفة .

ويقولون : جاءتنا السماء بأمر عظيم ، والسياء في مكانها .

وقد يقولون - أيضاً - : جاءتنا السماء ، وهم إنما يريدون الغيم الذي يكون به المطر من شق السماء وناحيتها ووجهها .



[١ - مقدمة]

قال أبو عثمان :

أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك . إعلم أرشد الله أمرك أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليتها إلى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة :

[٢ - عصر النبي وأبي بكر وعمر وبعض عهد عثمان عهد اجتماع الكلمة]

فإن الطبقة الأولى عصر النبي ﷺ ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه . كانوا على التوحيد الصحيح والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاشية ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تناول ، حتى كان الذي كان من قتل عثمان رضي الله عنه وما انتهك منه ومن خبطهم إياه بالسلاح وببج بطنه بالحرايب وفري أوداجه بالمشاقص وشدخ هامته بالعمد ، مع كفه البسط ونهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة وصل القبله وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نساك بحضرته وإقحام الرجال على حرمة ، مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها حتى أطنوا إصبعين من أصابعها ، وقد كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم وكاسرا

من غريهم . مع وطئهم في أضلاعه بعد موته وإلقائهم على المذبذبة جسده مجردا بعد سحبه . وهي الجريسة التي جعلها رسول الله ﷺ كفاً لبناته وأياماه وعقائله ، بعد السب والتعطيش والحصار الشديد والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم وإفحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلا من ارتد بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل مؤمناً على عمد ، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطية ، ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة ولا يجهز منها على جريح . ثم مع ذلك كله ذمروا عليه وعلى أزواجه وحرمه وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره لا يرى أن موحدًا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

[٣ - ذبول مقتل عثمان]

لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ولا تسكن فورته ولا يموت نائره ولا بكل طالبه ، وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له ؟ وما سمعنا بدم بعد دم يحيى ابن زكريا عليهما السلام ، غلا غليانه وقتل سافحه وأدرك بطائلته وبلغ كل محبة كدمه رحمة الله عليه .

[٤ - كان بوسع الثائرين تجنب مقتل عثمان]

ولقد كان لهم في أخذه وفي إقامته للناس والاقتصاص منه وفي بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه وسائر أمواله وفي حبسه بما بقي عليه وفي طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه . وهذا كله بحضرة أجلة المهاجرين والسلف المقدمين والأنصار والتابعين .

[٥ - مواقف الناس تجاه عثمان]

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ومراتب متباينة : فمن قاتل ، ومن شاد على عضده ، ومن خاذل عن نصرته ، والعاجز ناصر بارادته ومضيق بحسن نيته . وإنما الشك منافيه وفي خاذليه ومن أراد عزله والاستبدال به . فأما قاتله والمعين على

دمه والمريد لذلك منه ، فضلال لا شك فيهم ، ومراق لا امتراء في حكمهم . هل
أن هذا لم يعد منهم الفجور : إما هل سوء تأويل ، وإما هل تعمد للشقاء .

[٦ - عهد علي بن أبي طالب]

ثم ما زالت الفتنة متصلة والحروب مترادفة ، كحرب الجمل وكوقائع صفين
وكيوم النهروان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة ، وفيه أسر ابن حنيف وقتل حكيم بن
جبله ، إلى أن قتل أشقاها علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فأسمده الله
بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعة .

[٧ - أسباب اعتزال الحسن بن علي]

إلى أن كان من اعتزال الحسن رضي الله عنه الحرب وتخليته الأمور عند انتشار
أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره وما حارب من اختلافهم هل أبيه وكثرة تلونهم
عليه .

[٨ - معاوية يحول الملك إلى كسروية]

فعمدها استوى معاوية هل الملك واستبد هل بقية الشورى وعلى جماعة
المسلمين من الانصار والمهاجرين في العام الذي سموه « عام الجماعة » وما كان عام
جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً
كسروياً والخلافة منصباً قبضياً ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق ، ثم ما زالت
معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا حتى رد قضية رسول الله ﷺ رداً
مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر ، مع اجماع
الامة هل أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً ، وأنه إنما كان بها عاهراً . فخرج
بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار .

[٩ - اخطاء معاوية]

وليس قتل حجر بن عدي ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد

الخليفة ، والاستتار بالفيء ، واختيار الولاية على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة . وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد .

[١٠ - ادعاء معاوية الخلافة كفر]

فهذه أول كفره كانت من الأمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعي إمامتها والخلافة عليها . على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره . وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت : لا تسبوه فإن له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة . فزعمت أن من السنة ترك البراءة عن جحد السنة . . ؟

[١١ - جرائم يزيد بن معاوية]

ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ورمي الكعبة واستباحة المدينة ، وقتل الحسين رضي الله عنه في أكثر أهل بيته مصابيح الظلام وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ومن تفريق أتباعه والرجوع إلى داره وحرمه أو الذهاب في الأرض حتى لا يحس به أو المقام حيث أمر به ، فأبوا إلا قتله والنزول على حكمهم . وسواء قتل نفسه بيده أو أسلمها إلى عدوه وخير فيها من لا يبرد غليله إلا بشرب دمه . فاحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمه ليس بجحد ، كي تقولون في رمي الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا التحرز به والمتحصن بحيطانه ! أمها كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه إلى أن يعطي بيده ! وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ! وأحسبوا ما رووا عليه من الأشعار التي قولها شرك والتمثل بها كفر ، شيئاً مصنوعاً . كيف نصنع بنقر القضيب بين ثناحي الحسين رضي الله عنه ! وحمل بنات رسول الله ﷺ حواسر على الاقتاب .

العارية ، والإبل الصعاب ، والكشف عن هرة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه ؟ علي أنهم إن وجدوه وقد أنبت قتلوه وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراري المشركين ؟! وكيف تقولون في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته : دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل فأحسم به هذا القرن وأميت به هذا الداء وأقطع به هذه المادة . . ١١

١٢ - يزيد يستحق اللعنة [

خبرنا : علام تدل هذه القسوة وهذا الغلظ بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ونالوا ما أحبوا ليهيم ؟ أتدل على نصب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول وإيمان خروج أم تدل على الاخلاص وعلى حب النبي ﷺ والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة !! فإن كان علي ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منزله . فالفاسق ملعون ومن نهي عن شتم الملعون فملعون .

[١٣ - مزاعم النابتة]

وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا أن سب ولادة السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السمي بالسمي والولي بالولي والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، وإظهار القدرة والتهاون بالامة ، والقمع للرحمة ، والتهم في غير مداراة ولا تقية ، وإن عدا ذلك إلى الكفر وجاوز الضلال إلى الجحد فذاك أضل ممن كذب عن شتمهم والبراعة منهم . على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كمن استحق برد السنة وهدم الكعبة . وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوهر . والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه . ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيرى :

لبت أشياخي ببدر شهدوا جنح الخزرج من وقع الأسل
لاستطاروا واستهلوا فرحاً ثم قالوا بما يزيد لا تسل

قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلنا ببيدر فاعتدل

[١٤ - تناقض النابتة]

كان تجوير النابتي لربه وتشبيهه بخلفه أعظم من ذلك وأفظع . على أنهم
مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا ، متعمدا أو متأولا . فإذا كان القاتل سلطانا
جائراً أو أميراً عاصياً لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه ، وإن أخاف
الصلحاء وقتل الفقهاء وأجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور وشرب
الخمور وأظهر الفجور . . . ؟!

[١٥ - مخازي عبد الملك بن مروان]

ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ويشاركونهم
مرة ، إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه
الوليد وعاملهما الحجاج بن يوسف ومولاه يزيد بن أبي مسلم . فأعادوا على البيت
بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرمه ، وحولوا قبلة
واسط ، وأخروا صلاة الجمعة إلى مغربان الشمس ، فإن قال رجل لأحدهم :
اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها ؟ قتله على هذا القول جهاراً غير ختم ،
وعلانية غير سر . ولا يعلم القتل على ذلك إلا أقبح من إنكاره . فكيف يكفر العبد
بشيء ولا يكفر بأعظم منه !

[١٦ - بطش عبد الملك بالوفاظ]

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبابرة وخوفهم العواقب وأراهم أن في
الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان والحجاج
ابن يوسف فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه ، فصاروا لا يتناهون عن منكر
فعلوه . فاحسب تحويل القبلة كان غلطاً ، وهدم البيت كان تأولاً ، واحسب ما رواوا
من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله
إليهم ، باطلاً ومسموعاً مولداً ، واحسب وسم أيدي المسلمين ونقش أيدي

المسلمات وردهم بعد الهجرة الى قراهم ، وقتل الفقهاء وسب أمة الهدى والنصب
 لعتره رسول الله ﷺ ، لا يكون كفرا ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن
 الجمعة ، ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس على أهالي الجدران كالملاء
 المعصفر ؟ فإن نطق مسلم بخط بالسيف وأخذته العمدة وشك بالرماح . ٢١ وإن قال
 قائل : اتق الله ! أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يرض إلا بشئ دماغه على صدره
 ويصلبه حيث تراه عياله .

[١٧ - بعض آثام الامويين]

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجل ،
 والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين والابتذال لأهل الحق ، أكل أمرائهم الطعام
 وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم . فعل ذلك حبيش بن دلجة ،
 وطارق مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف ، وغيرهم . وذلك إن كان كفرا كله فلم
 يبلغ كفر نابتة عصرنا وروافض دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك .

[١٨ - النابتة تقول بالجبر والتشبيه]

كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر .
 وتقول طائفة أخرى : كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي . ولم يكن أحد يقول : إن
 الله يعذب الأبناء ليغيظ الأباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى
 والبصر . وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى . لا تزيد على ذلك . فإن خافت
 أن يظن بها التشبيه قالت : يرى بلا كيف . تفززا من التجسيم والتصوير . حتى
 نبت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة فقالت جسيما ، وجعلت له صورة وحدا ،
 وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير .

[١٩ - النابتة تقول ان القرآن غير مخلوق]

ثم زعم أكثرهم ان كلام الله - سن وبين وحجة وبرهان ، وان التوراة غير
 الزبور ، والزبور غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ،

وأن الله تولى تأليفه وجعله برهانه على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخه ، وأنه أنزله تنزيلا ، وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلق . فأعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق .

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه . فلذا قالوا : خلق كذا وكذا . ولذلك قال ﴿ أحسن الخالقين ﴾ وقال ﴿ ومخلقون إلكاً ﴾ وقال : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير ﴾ قالوا : صنعه ، وقدره ، وأنزله ، وفصله ، وأحدثه ، ومنعوا : خلقه . وليس تأويل خلقه أكثر من قدره . ولو قالوا بدل قوهم : قدره ولم يخلقه : خلقه ولم يقدره ، ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد .

[٢٠ - النابتة يتابعون الامام أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن]

والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه ليس بمخلوق . وليس ذلك بهم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفيتين ، ولما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين : وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، إذ كنا غير خالقين لكلامنا . فأنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يقرؤا بذلك بألسنتهم فذلك معناهم وقصدتهم .

[٢١ - كفر النابتة]

وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيت لك عن بني أمية وبني مروان وعماهم ، ومن لم يدن باكفارهم ، حتى نجمت [هذه] النوابت وتابعتها هذه العوام . فصار الغالب على هذا القرن الكفر . وهو التشبيه والجبر . فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى في الأعمال التي هي الفسق

[وكانوا] شركاء من كفر منهم بتوليهم وترك إكفارهم . قال الله عز وجل من قائل : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .

[٢٢ - الشعوية ودهواها]

وأرجو أن يكون الله قد أخاث المحقين ورحمهم وقوى ضعفهم وكثر قتلهم حتى صار ولاية أمورنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصادفوا الناس وقد انتظموا معاني الفساد أجمع وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى ديناً إلا أفسدته ، ولا دنياً إلا أهلكتها . وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوية ، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب . وقد نجمت من الموالى ناجة ونبتت منهم نابتة تزعم أن المولى بولائه قد صار عربياً ، لقول النبي ﷺ : « مولى القوم منهم » . وقوله : « الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب » .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حول ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم .

قالوا : فنحن معاشر الموالى بقديمتنا في العجم أشرف من العرب ، وبالحدِيث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان وافتتان فينا جميعاً ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة . وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشياً بحلفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجمياً عربياً . ولولا قول النبي ﷺ : « إن إسماعيل كان عربياً » . ما كان عندنا إلا أعجمياً . لأن الأعجمي لا يصير عربياً كما أن العربي لا يصير أعجمياً . وإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عربياً بعد أن كان أعجمياً ، بقول النبي ﷺ . فكذلك حكم قوله : مولى القوم منهم . وقوله : الولاء لحمة .

قالوا : وقد جعل الله ابراهيم عليه السلام اباً لمن لم يلد ، كما جعله اباً لمن ولد . وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحداً . وجعل الجار والد من لم يلد . في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه .

وليس ادعى إلى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة ، وليس على ظهرها إلا فخور - إلا قليل - وأي شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ! وهو مقر بأنه صار شريفاً بعثتك إياه ؟

وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتباً في مفاخرة قحطان وفي تفضيل عدنان ، وفي رد الموالي إلى مكانهم في الفضل والنقص وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم وداعية إلى صلاحهم ومنبهة عليهم وهم . وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول إليك ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذانك واستثمارك والانتهاه في ذلك إلى رغبتك ، فرأيتك فيه موفق إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .



مركز تحقيقات كچو پوز علوم اسلامی

مقدمة رسالة الثابتة

- (١) يعني الجاحظ بالامة هنا المسلمين ويعني بالطبقة المعصر او المرحلة الزمنية ، كما يعني بها الفئة (انظر رقم ٥) .
- (٢) المعصر الاول او الطبقة الاولى يمتد من ظهور الاسلام حتى مقتل عثمان . كان الناس فيه مجتمعين الكلمة على الكتاب اي القرآن وعلى السنة أي أقوال الرسول والفعاله وتقريراته ، وليس فيهم بدعة اي الفكار جديدها وهربية ، ولا تأول أي تفسير وتعليل لكلام الله .
- ويعني بالفاسق مرتكب الكبيرة ، والفاسق برأي المعتزلة هو في منزلة بين المؤمن والكافر وهذا هو احد اصول المعتزلة الخمسة الذي سمي بالمنزلة بين المنزلتين ، وضعه واصل بن عطاء على الأرجح مؤسس الاعتزال لدى مناقشته هذه المسألة مع الحسن البصري . ويريد الجاحظ ان يقول ان عثمان لا يحل قتله بتهمة ارتكاب بعض الكبائر فالكبائر التي حدها القتل لم يقترفها عثمان وهي الردة والزنا بعد احصان ، وقتل المؤمن عمداً والاهتداء على الناس بالسيف ، وقتل الجريح .
- (٣) مقتل عثمان آثار الفتن وأرث العداوات بين المسلمين وادى الى سفك الدماء الغزيرة .
- (٤) كان بوسع الثوار الذين قتلوا عثمان أن يتجنبوا قتله والاقصاء على حبسه ومصادرة أمواله اذا كان قد اقترف ما ادعوه عليه . نفهم من كلام الجاحظ انه يميل الى القول بارتكاب عثمان بعض الاخطاء وان كان لا يؤكد ذلك صراحة .
- (٥) يحدد الجاحظ مواقف الناس من عثمان إبان محنته . لقد كانوا فئات مختلفة ، فئة قتله ، وفئة حرصتهم على قتله وفئة خذلته ، وفئة هجرت عن نصرته . ثم يحكم على كل فئة : فيشك في موقف عثمان ، وخافله (معاوية) ومن اراد عزله والاستبدال به ويرمي قتله ومن اراد ذلك واهان عليه بالضلال والمروق .
- (٦) يعتبر الجاحظ عليا بن ابي طالب شهيداً أما قتاله عبد الرحمن بن ملجم فانتفى الناس واحراهم باللعنة والنار ، وقد خلف عثمان وكانت خلافته سلسلة فتن وحروب .
- (٧) الحسن بن علي تنازل لمعاوية عن : لأسباب هي برأي الجاحظ تفرق اصحابه عنه

وتلونهم في الولاية له .

(٨) اما معاوية فقد اختصب الخلافة وحوّلها الى ملك كسروي والغى مبدأ الشورى ، ولا يزيد الجاحظ الخطوة التي خطاها الحسن في التنازل عن الخلافة لمعاوية بغية جمع كلمة الأمة .

(٩) يعدد الجاحظ مأخذه على معاوية وهي الحاقه زياداً بنسبه اذ جعله أخاً له من والده سفيان وهذا برأيه مخالف للشرع لأن ابا سفيان لم يتزوج سمية والدة زياد على سنة الله ورسوله ، ثم قتله حجر بن عدي ، ثم اطعم عمرو بن العاص خراج مصر ، ثم بيعة يزيد الخليع ، ثم الاستشارة بالفقيه ، ثم اختيار الولاية على المهدي ، ثم تعطيل الحدود بالشفاعة ثم جحد الاحكام المنصوصة والشرايع المشهورة .

(١٠) ان ادعاء معاوية الامامة كفر ، وكذلك تأييده فيها كفر . والنايبة الذين يدعون ان سب معاوية بدعة لأنه له صحبة مع النبي هم مبتدعة عصر الجاحظ ، فالنايبة هم فئة ظهرت في عصر الجاحظ واهدت معاوية .

(١١) اما يزيد بن معاوية فقد تمادى في حبه اذ رمى الكعبة واباح المدينة وقتل الحسين بن علي ومثل برأسه وكشف عن هرة علي بن الحسين .

(١٢) ان قسوة يزيد بن معاوية دليل على الحقد والتفاني والايمان المخروج واقل ما توصف به الفسق والضلال والفاسق يجب ان يلعن .

(١٣) النايبة تزعم ان سب ولاية السوء فتنه ولعن الجورة بدعة وهذا ضلال .

(١٤) النايبة يناقضون انفسهم فهم يجمعون من جهة على ان قاتل المؤمن متمعداً او متأولاً يستحق اللعنة ومن جهة ثانية لا يستحلون سب القاتل هذا اذا كان سلطاناً او اميراً وان قتل الفقهاء وظلم الضعيف وعطل الحدود وشرب الخمر وفجر .

(١٥) عبد الملك بن مروان اذى في كفره على يزيد ومعاوية اذ رمى الكعبة وهدمها وحول القبلة واخر صلاة الجمعة الى مغرب الشمس .

(١٦) بطش عبد الملك والحجاج بالوفاظ الذين يتهون عن الفساد .

(١٧) من آثام الامويين اكل امرئهم الطعام وشربهم الشراب على منابر المساجد امام الجموع . وايام الجمع .

(١٨) النايبة تقول بان الايمان والكفر مخلوقان لله كالعلمي والبصر وتقول ان الله يفعل الجور فيعذب الابناء ليغيظ الابهاء ، وتقول ان الله جسماً وصورة يمكن رؤيتها ، وقالوا ان القرآن غير مخلوق .

(١٩) مناقشة رأي النايبة في خلق القرآن . لانهم يناقضون انفسهم فهم من جهة يقولون ان الله صنع القرآن وقدره وانزله وفصله واحده ومن جهة ثانية يقولون انه لم يخلق . والخلق معناه في اللغة التقدير .

(٢٠) النابتة يتابعون في رأيهم بعدم خلق القرآن الإمام ابن حنبل وحجته في ذلك هو انه لم يسمع من سلفه من يقول انه مخلوق وسيعود الى تفصيل ذلك في رسالته الخاصة بخلق القرآن . اهم شبهوا الله بالانسان وكلامه بكلامهم اذ الكلام معناه خروج الصوت من الجوف ، وبما ان الانسان غير خالق لاهماله وكلامه ، كذلك الله ليس بخالق لكلامه اي القرآن .

(٢١) ان النابتة ومن تابعهم من العوام كفروا لقولهم بالتشبيه والجبر ، وكفروا ايضاً لتركهم إكفار الكافرين ، ويقصد بهم خلفاء بني امية الذين سبق ذكرهم .

(٢٢) هذا النابتة يوجد بدعة أخرى لا تقل عنها خطراً هي الشعوبية حمل لواءها المعجم والموالي . وتقوم على تفضيل سائر الشعوب على العرب . وحجتهم هي ان المعجم كانوا اشرف من العرب قبل الاسلام لان الملك والنبوة كانا فيهم : ولما جاء الاسلام سوى بينهم وبين العرب تبعاً للمحدث الشريف : مولى القوم منهم . فاجتمع للموالي شرف المعجم القديم وشرف العرب التليد .

وقد وقف الجاحظ ضد الدعوة الشعوبية ورد حججها . إن تلك الدعوة بنظره تعتمد على المفاخرة على العرب والخط من شأنهم وتبخسهم قدرهم ، وكل هذا فساد وشر . وقد عاد الجاحظ الى بحث مسألة الشعوبية في أماكن أخرى من كتبه ولا سيما في البيان والتبيين ، ومناقب الترك ، حيث أسهب في تفنيد آرائهم والرد عليها .

وقارن بين ما جاء في هذه الفقرة (٢٢) وما جاء في رسالة مناقب الترك حول ادعاءات الموالي .



فصل من صدر كتابه في
الرد على النصارى

[١ - بعض مبادئ المعتزلة]

الحمد لله الذي من علينا بتوحيده ، وجعلنا ممن ينفي شبهة خلقه وسياسة
عباده ، وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ، ولا نجحد كتاباً أوجب علينا
الإقرار به ، ولا نضيف إليه ما ليس منه ، إنه حميد مجيد ، فعال لما يريد .

[٢ - ما أخذ النصارى على المسلمين]

أما بعد فقد قرأت كتابكم ، وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى
قبلكم ، وما دخل على قلوب أجدانكم وضعفائكم من اللبس ، والذي خفتموه على
جواباتهم من العجز ، وما سألتهم من إقرارهم بالمسائل ، ومن حسن معونتهم
بالجواب .

[٣ - القول ان مريم وعيسى إلهين]

وذكرتم أنهم قالوا : إن الدليل على أن كتابنا باطل ، وأمرنا فاسد ، أننا
ندعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ، ولا يعرفونه من أسلافهم ، لانا نزعم أن الله
جل وعز قال في كتابه على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ ، وأهم زعموا أنهم لم

يدبنوا قط بأن مريم إله في سرهم ، ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم . وأبهم زعموا
 أنا ادعينا عليهم ما لا يعرفون ، كما ادعينا على اليهود ما لا يعرفون ، حين نطق
 كتابنا ، وشهد نبينا : أن اليهود قالوا : إن عزيراً ابن الله ، وإن يد الله
 مغلولة ، وإن الله فقير وهم أغنياء . وهذا ما لا يتكلم به إنسان ، ولا يعرف
 في شيء من الأديان .

[٤ - القول أن عزيراً ابن الله]

ولو كانوا يقولون في عزير ما نحلتموه وادعيتموه ، لما جحدوه من دينهم ،
 ولما أنكروا أن يكون من قولهم ، ولما كانوا بإنكار بنوة عزير أحق منا بإنكار بنوة
 المسيح ، ولما كان علينا منكم بأس بعد عقد الدمة ، وأخذ الجزية .

[٥ - القول أن فرعون طلب من هامان أن يبني له صرحاً]

وذكرتم أنهم قالوا : وما يدل على غلطكم في الاخبار ، وأخذكم العلم عن
 غير الثقات ، أن كتابكم ينطق : أن فرعون قال لهامان : ﴿ ابن لي
 صرحاً ﴾ . وهامان لم يكن إلا في زمن الفرس ، وبعد زمن فرعون بدهر طويل ،
 وإن ذلك معروف عند أصحاب الكتب ، مشهور عند أهل العلم . وإنما اتخذ
 صرحاً ليكون إذا علاه أشرف على الله .

وفرعون لا يخلو من أن يكون جاحداً لله تعالى ، أو مقرأ به . فإن كان دينه
 عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحدته ، فما وجه اتخاذ الصرح وطلب الإشراف ،
 وليس هناك شيء ولا إله ؟

وإن كان مقرأ بالله عارفاً به ، فلا يخلو من أن يكون مشبهاً أو نافياً للتشبيه .
 فإن كان ممن ينفي الطول والعرض والعمق والحدود والجهات ، فما وجه طلبه له في
 مكان بعينه ، وهو عنده بكل مكان ؟ وإن كان مشبهاً فقد علم أنه ليس في طاقة بني
 آدم أن يبنيوا بنياناً ، أو يرفعوا صرحاً يخرق سبع سموات بأعماقهن ، والأجزاء التي
 بينهن ، حتى يحاذي العرش ثم يعلوه . .

وفرعون وإن كان كافراً فلم يكن مجنوناً ، ولا كان إلى نقص العقل من بين الملوك منسوباً . على أن الحكم قد يقوم بعقول الملوك بالفضيلة على عقول الرعية .

[٦ - القول أن يحيى بن زكريا ليس له سمي]

وذكرتم أنهم قالوا : تزعمون أن الله تعالى ذكر يحيى بن زكريا يخبر أنه : ﴿ لم يجعل له من قبل سمياً ﴾ ، وأنهم يحددون في كتبهم وفيها لا يختلف فيه خاصتهم وعامتهم أنه كان من قبل يحيى بن زكريا غير واحد يقال له يحيى ، منهم : يوحنا بن فرح .

[٧ - القول أن الله لم يرسل انبياء الا من الرجال]

وزعمتم أنهم قالوا لكم : إنكم ذكرتم أن الله قال في كتابه لنبيكم : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ ، وإنما عني بقوله : ﴿ أهل الذكر ﴾ : أهل التوراة ، وأصحاب الكتب يقولون : إن الله قد بعث من النساء نبيات ، منهن مريم بنت عمران ، وبعث منهن حنة ، وسارة ، ورفقى .

[٨ - القول أن عيسى تكلم في المهدي]

وذكرتم أنهم قالوا : زعمتم أن عيسى تكلم في المهدي ، ونحن على تقديمنا له ، وتقريبنا لأمره ، وإفراطنا بزعمكم فيه ، على كثرة عددنا ، وتفاوت بلادنا ، واختلافنا فيما بيننا ، لا نعرف ذلك ولا ندعيه ، وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلف ، ولا ادعاه منا مدع .

ثم هذه اليهود لا تعرف ذلك ، وتزعم أنها لم تسمع به إلا منكم ، ولا تعرفه المجوس ، ولا الصابئون ، ولا عباد البددة من الهند وغيرهم ، ولا الترك والحزر ، ولا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، ولا في

الانجيل ، ولا في ذكر صفات المسيح في الكتب والبشارات به على السنة الرسل .

ومثل هذا لا يجوز أن يجهله الوحي والعدو ، وغير الوحي وغير العدو ، ولا يضرب به مثل ، ولا يروح به الناس ، ثم يجمع النصارى على رده ، مع حبهم لتقوية امره . ولم يكونوا ليضادوكم فيما يرجع عليهم نفعه . وكيف لم يكذبوكم في إحيائه الموت ، ومشيه على الماء ، وإبراء الأكمة والأبرص ١٩ بل لم يكونوا ليتفقوا على إظهار خلاف دينهم ، وإنكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ، ومثل هذا لا ينكتم ولا ينفك ممن يخالف وينم .

والكلام في المهد أعجب من كل عجب ، وأغرب من كل غريب ، وأبدع من كل بديع ، لأن إحياء الموت والمشى على الماء ، وإقامة المقعد ، وإبراء الأعمى ، وإبراء الأكمة قد أنت به الأنبياء ، وهرفه الرسل ، ودار في أسماهم . ولم يتكلم صبي قط ، ولا مولود في المهد .

وكيف ضاعت هذه الآية ، وسقطت حجة هذه العلامة من بين كل علامة ١٩

وبعد ، فكل أهجوبة يأتي بها الرجال ، والمعروفون بالبيان ، والمنسوبون إلى صواب الرأي ، تكون الحيلة في الظن إليها أقرب ، وخوف الخدعة عليها أغلب . والصبي المولود عاجز في الفطرة ، ممتنع من كل حيلة ، لا يحتاج فيه إلى نظر ، ولا يشبهه من شاهده بدخل .

[٩ - لحظة الجاحظ في الرد على النصارى]

فصل منه : وسنقول في جميع ما ورد علينا من مساللكم ، وفيها لا يقع إليكم من مساللكم ، بالشواهد الظاهرة ، والحجج القوية ، والأدلة الأضرارية ، ثم نسألهم بعد جوابنا إياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم ، وانتشار مذهبهم ، وتهافت دينهم .

ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال ما لا نحسن ، ونسأله القصد في القول والعمل ، وأن يكون ذلك لوجهه ، ولنصرة دينه ، إنه قريب مجيب .

[١٠ - الأسباب التي قربت النصارى من المسلمين دون اليهود]

فأنا مبتدئ في ذكر الأسباب التي لها صارت النصارى أحب الى العوام من المجوس ، وأسلم صدوراً عندهم من اليهود ، وأقرب مودة ، وأقل غائلة ، وأصغر كفراً ، وأهون عذاباً .

ولذلك أسباب كثيرة ، ووجوه واضحة ، يعرفها من نظر ، ويجهلها من لم ينظر .

[١١ - نزاع الجوار بين المسلمين واليهود في يثرب]

أول ذلك أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها ، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدة التمكن وثبات الحقد ، وإنما يعادي الإنسان من يعرف ، ويميل على من يرى ، ويناقض من يشاكل ، ويبدو له عيوب من يخالط . وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ، ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام من سائر الناس وسائر العرب أطول ، وعداوتهم أشد .

فلما صار المهاجرون لليهود جيراناً ، وقد كانت الأنصار متقدمة الجوار ، مشاركة في الدار ، حسدتهم اليهود على النعمة في الدين ، والاجتماع بعد الافتراق ، والتواصل بعد التقاطع ، وشبهوا على العوام ، واستمالوا الضعفة ، ومالؤوا الأعداء والحسدة ، ثم جاوزوا الطعن وإدخال الشبهة ، إلى المناجزة والمناجزة بالعداوة ، فجمعوا كيدهم ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في قتالهم ، وإخراجهم من ديارهم ، وطال ذلك واستفاض فيهم وظهر ، وترادف لذلك الغيظ ، وتضاعف البغض ، وتمكن الحقد .

وكانت النصارى لبعديارهم ، من مبعث النبي ﷺ ومهاجره ، لا

يتكفون طعنا ، ولا يثيرون كيداً ، ولا يجمعون على حرب . فكان هذا أول أسباب ما غلظ القلوب على اليهود ، ولينها على النصارى .

[١٢ - إيهاء نصارى الحبشة للمهاجري المسلمين]

ثم كان من أمر المهاجرين إلى الحبشة ، واعتمادهم على تلك الجنبية ما حبيبهم إلى صوام المسلمين . وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم ، ويقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود .

ومن شأن الناس حب من اصطنع إليهم خيراً أو جرى على يديه ، أراد الله بذلك أو لم يرد ، ويقصد كان أم باتفاق .

[١٣ - تأويل الآية : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . . .]

وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلظت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجت ، واستمالت قلوب الرعاع والسفلة ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ . إلى قوله : ﴿ وفلك جزاء المحسنين ﴾ . وفي نفس الآية أعظم الدليل على أن الله تعالى لم يمن هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية واليعقوبية ، وإنما على ضرب بحيرا ، وضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان .

وبين حمل قوله : ﴿ الذين قالوا إنا نصارى ﴾ على الغلط منهم في الأسماء ، وبين أن نجزم عليهم لأنهم نصارى - فرق .

[١٤ - تنصر بعض ملوك العرب]

كما ذكر اليهود أنه جاء الإسلام وملوك العرب رجلاً : غسانى ولخمي ، وهما نصرانيان ، وقد كانت العرب تدين لهما ، وتؤدي الإتاوة إليهما ، فكان تعظيم قلوبهم لهما

راجعاً إلى تعظيم دينها . وكانت تهامة ، وإن كانت لقاحاً لا تدين الدين ، ولا تؤدي الإتاوة ، ولا تدين للملوك ، فإنها كانت لا تمنع من تعظيم ما عظم الناس ، وتصغير ما صغروا .

ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب ، معروفة عند أهل النسب ، ولولا ذلك لدلت عليها بالأشعار المعروفة ، والأخبار الصحيحة .

[١٥ - العلاقات التجارية بين العرب ونصارى الروم والحبشة]

وقد كانت تتجر إلى الشام ، وينفذ رجالها إلى ملوك الروم ، ولها رحلة في الشتاء والصيف ، في تجارة مرة إلى الحبشة ، ومرة قبل الشام ، ومرة يشرب ، ومصيفها بالطائف ، ومرة ميمنين مستأنفاً بحمده ، فكانوا أصحاب نعمة ، وذلك مشهور مذكور في القرآن ، وعند أهل المعرفة .

وقد كانت تهاجر إلى الحبشة ، وتأتي باب النجاشي والهدنة ، فيحبوهم بالجزيل ، ويعرف لهم الأقدار ، ولم تكن تعرف كسرى ، ولا تأنس بهم ، وقبصر والنجاشي نصرانيان ، فكان ذلك أيضاً للنصارى دون اليهود .

والآخر من الناس تبع للأول في تعظيم من عظم ، وتصغير من صغر .

[١٦ - تفشي النصرانية بين قبائل العرب]

وأخرى : أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية ، وعليها غالبية ، إلا مضر ، فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ، ولم تفش فيها النصرانية ، إلا ما كان من قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون : العباد ، فإنهم كانوا نصارى ، وهم مغمورون مع نبد يسير في بعض القبائل . ولم تعرف مضر إلا دين العرب ، ثم الإسلام .

وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها : على لحم ، وغسان ، والحارث بن كعب بنجران ، وقضاة ، وطى ، في قبائل كثيرة ، وأحياء معروفة .

ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس وأفناء بكر ، ثم في آل ذي
الجدلين خاصة .

وجاء الإسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة ، إلا ما كان من ناس من
اليمانية ، ونبذ يسير من جميع إباد وربيعة . ومعظم اليهودية إنما كانت يشرب
وحير وثبهاء ووادي القرى ، في ولد هارون ، دون العرب .

فعطف قلوب دهماء العرب على النصارى الملك الذي كان فيهم ، والقراية
التي كانت لهم . ثم رأت هوامنا أن فيها ملكاً قائماً ، وأن فيهم عرباً كثيراً ، وأن
بنات الروم ولدن ملوك الإسلام ، وأن في النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين ،
فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ، ولم يروا ذلك في اليهود .

[١٧ - ظن العرب أن النصارى أصحاب علم وفلسفة]

وإنما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لأن اليهود ترى أن النظر في
الفلسفة كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنه مجلبة لكل شبهة ، وأنه لا علم إلا
ما كان في التوراة وكتب الأنبياء ، وأن الإيمان بالطب ، وتصديق المنجمين من أسباب
الزندقة والخروج إلى الدهرية ، والخلاف على الأسلاف وأهل القدوة ، حتى أنهم
ليهرجون المشهور بذلك ، ويحرمون كلام من سلك سبيل أولئك .

ولو علمت العوام أن النصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان ، ولا بعد
روية ، إلا حكمة الكف ، من الخسر والنجر والتصوير ، وحماسة البيزون
لاخرجتهم من حدود الأدباء ، ولحنتهم من ديوان الفلاسفة والحكماء ، لأن كتاب
المنطق والكون والفساد ، وكتاب العلوي ، وغير ذلك ، لأرسطاطاليس ، وليس
برومي ولا نصراني .

وكتاب المجسطي لبطليموس ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتاب إقليدس لإقليدس ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتاب الطب لجالينوس ، ولم يكن رومياً ولا نصرانياً .

وكذلك كتب ديمقراط وبقراط وأفلاطون ، وفلان وفلان .

وهؤلاء ناس من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم ، وهم اليونانيون ،
ودينهم غير دينهم ، وأديبهم غير أديبهم ، أولئك علماء ، وهؤلاء سناع أخذوا كتبهم
لقرب الجوار ، وتداني الدار ، فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم ، ومنها ما حولوه إلى
ملتهم . إلا ما كان من مشهور كتبهم ، ومعروف حكمهم ، فلأنهم حين لم يقدروا
على تغيير أسمائها زعموا أن اليونانيين قبيل من قبائل الروم ، ففخروا بأديابهم
على اليهود ، واستطالوا بها على العرب ، وبلغوا بها على الهند ، حتى زعموا أن
حكماؤنا أتباع حكمائهم ، وأن فلاسفتنا اقتدوا على مثالمهم ، فهذا هذا .

ودينهم يرحمك الله - يضاهي الزندقة ، ويناسب في بعض وجوهه قول

الدهرية ، وهم من أسباب كل حيرة وشبهة .

والدليل على ذلك أنا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى ، ولا أكثر
متحيراً أو مترنجاً منهم .

مركز تحقيق تكملة تكملة علوم إسلامية

وكذلك شأن كل من نظر في الأمور الغامضة بالمعقول الضعيفة : ألا ترى أن
أكثر من قتل في الزندقة ممن كان يتحمل الإسلام ويظهره ، هم الذين آباؤهم
وأمهاتهم نصارى .

[١٨ - المراتب الرفيعة التي تبوأها النصارى لدى الخلفاء]

على أنك لو عدت اليوم أهل الظنة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم إلا
كذلك .

ومما عظمهم في قلوب الموم ، وحببهم إلى السطام ، أن منهم كتاب
السلطين ، وفراشي الملوك ، وأطباء الاشراف ، والعطارين والصيدان . ولا تجد
اليهودي إلا صباغاً ، أو دباغاً ، أو حجاماً ، أو قصاباً ، أو شعباً .

فلما رأَت العوام اليهود والنصارى توهمت أن دين اليهود في الأديان كصناعتهم
في الصناعات ، وأن كفرهم أقل الكفر ، إذ كانوا هم أقل الأمم .

وإنما صارت النصارى أقل مساختة من اليهود ، على شدة مساختة
النصارى ، لأن الأسرائيلي لا يزوج إلا الأسرائيلي ، وكل مناكحهم مردودة
فيهم ومقصورة عليهم ، وكانت الغرائب لا تشوبهم ، وفحولة الأجناس لا
تضرب ولا تضرب فيهم ، لم ينجبوا في عقل ولا أسر ولا ملح . وإنك لتعرف
ذلك في الخيل والإبل ، والحمير والحمام .

ونحن - رحمك الله - لم نخالف العوام في كثرة أموال النصارى ، وأن فيهم
ملكاً قائماً ، وأن ثيابهم أنظف ، وأن صناعتهم أحسن .

وإنما خالفنا في فرق ما بين الكافرين والفرقتين ، في شدة المعاندة واللجاجة ،
والإرصاد لأهل الإسلام بكل مكيدة ، مع لزوم الأصول وخبث الأعراف .

[١٩ - التسامح مع النصارى]

فأما الملك والصناعة والهبة ، فقد علمنا أنهم اتخذوا البراذين الشهرية ،
والخيل العتاق ، واتخذوا الجوقات ، وضربوا بالصواجحة ، وتحذفوا المديني ، ولبسوا
الملحم والمطبعة ، واتخذوا الشاكرية ، وتسموا بالحسن والحسين ، والعباس والفضل
وعلي ، واكتنوا بذلك أجمع ، ولم يبق إلا أن يتسموا بمحمد ، ويكتنوا بأبي القاسم .
فرغب إليهم المسلمون ، وترك كثير منهم عقد الزنابير ، وعقدتها آخرون دون
ثيابهم ، وامتنع كثير من كبرائهم من إعطاء الجزية ، وأنفوا مع أقدارهم من دفعها
وسبوا من سبهم ، وضربوا من ضربهم .

وما لهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه ، وفضائنا أو صامتهم يرون أن دم
الجالليق والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلي والعباس وحمزة .

ويرون أن النصارى إذا قذف أم النبي ﷺ بالغواية أنه ليس عليه إلا

التميز والتأديب ، ثم يحتجون أنهم إنما قالوا ذلك لأن أم النبي ﷺ لم تكن مسلمة . فسبحان الله العظيم ! ما أعجب هذا القول وأبين انتشاره !

ومن حكم النبي ﷺ : أن لا يساونا في المجلس ومن قوله : « وإن سبوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم » .

وهم إذا قذفوا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن له عند أمته إلا التمييز والتأديب . وزعموا أن افتراءهم على النبي ليس بنكث للعهد ، ولا بنقض للعقد .

وقد أمر النبي عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد منا عالية في قبولنا منهم ، وعقدنا لدمتهم ، دون إراقة دمهم . وقد حكم الله تعالى عليهم بالذلة والمسكنة .

أو ما ينبغي للجاهل أن يعلم أن الأئمة الراشدين ، والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية ، وعقد الذمة عدم الافتراء على النبي ﷺ وأمه ، إلا لأن ذلك عندهم أعظم في العيون ، وأجل في الصدور من أن يحتاجوا إلى تخليده في الكتب ، وإلى إظهار ذكره بالشرط ، وإلى تشيئه بالبينات ، بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم ، والمظنعة فيهم ، ولظنوا أنهم في القدر الذي يحتاج فيه إلى هذا وشبهه .

وإنما يتواثق الناس في شروطهم ، ويفسرون في عهودهم ما يمكن فيه الشبهة ، أو يقع فيه الغلط ، أو يفتى عنه الحاكم ، وينسأه الشاهد ، ويتعلق به الخصم ، فأما الواضح الجلي ، والظاهر الذي لا يجيل فما وجه اشتراطه ، والتشافل بذكره .

وأما ما احتاجوا إلى ذكره في الشروط ، وكان مما يجوز أن يظهر في العهد فقد فعلوه ، وهو كالدلة والصغارة ، وإعطاء الجزية ، ومقاسمة الكنائس ، وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض ، وأشبه ذلك . فأما أن يقولوا لمن هو أذل من الذليل ، وأقل من القليل ، وهو الطالب الراغب في أخذ فديته ، والإنعام عليه

بقبض جزيته وحقن دمه : نعامك على أن لا نفتري على أمة رسول رب
العالمين ، وخاتم النبيين ، وسيد الأولين والآخرين فهذا ما لا يجوز في تدبير
أوساط الناس ، فكيف بالجملة والعلية ، وأئمة الخليقة ، ومصايح الدجى ، ومنار
الهدى ، مع أنفة العرب ، وبأس السلطان ، وغلبة الدولة ، وعز الإسلام ، وظهور
الحجة ، والوعد بالنصرة .

[٢٠ - دور النصارى في نشر الزندقة والتشكيك بالدين]

على أن هذه الأمة لم تتبل باليهود ولا المجوس ، ولا الصابئين كما ابتليت
بالنصارى . وذلك أنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا ، والضعيف بالأسناد من
روايتنا ، والمتشابه من أي كتابنا ، ثم يخلون بضعفائنا ، ويسألون عنها عوامنا ، مع
ما قد يعلمون من مسائل الملحدين ، والزنادقة الملاحين ، وحتى مع ذلك ربما
تسراوا إلى علمائنا ، وأهل الأقدار منا ، ويشغبون على القوي ، ويلبسون على
الضعيف .

ومنم البلاء أن كل إنسان من المسلمين يرى أنه متكلم ، وأنه ليس أحد أحق
بحاجة الملحدين من أحد .

وبعد ، فلولا متكلمو النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ما صار إلى أغيائنا
وظرفائنا ، ومجاننا وأحدائنا شيء من كتب المنانسة ، والديصانية والمرقونية ،
والفلانية ، ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، ولكانت تلك
الكتب مستورة عند أهلها ، ومخلاة في أيدي ورثتها . فكل سخنة عين رأيناها
في أحدائنا وأغيائنا فمن قبلهم كان أولها .

[٢١ - بعض عقائد النصارى]

وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح ، وذكرهم للسياحة ، ووزرايتهم
على كل من أكل اللحمان ، ورغبتهم في أكل الحبوب ، وترك الحيوان ،
وتزهيدهم في النكاح ، وتركهم لطلب الولد ، ومدبجهم للجائليق والمطران والأسقف

والرهبان ، بترك النكاح وطلب النسل ، وتعظيمهم الرؤساء - علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسباً ، وأنهم يحنون إلى ذلك المذهب .

والمعجب أن كل جائلق لا ينكح ، ولا يطلب الولد . وكذلك كل مطران ، وكل أسقف . وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية ، والمقيميين في الديارات والبيوت من النسطورية . وكل راهب في الأرض وراهبة ، مع كثرة الرهبان والرواهب ، ومع تشبه أكثر القسيسين بهم في ذلك ، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة ، وما يكون فيهم مما يكون في الناس ، من المرأة العاقر ، والرجل العقيم .

على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ، ولا على أن يتزوج أخرى معها ، ولا على التسري عليها . وهم مع هذا قد طبقوا الأرض ، وملأوا الأفاق ، وغلّبوا الأمم بالعدد ، وبكثرة الولد . وذلك مما زاد في مصائبنا ، وعظمت به محتنا .

ومما زاد فيهم ، وأثمن عندهم ، أنهم يأخذون من سائر الأمم ، ولا يعطونهم ، لأن كل دين جاء بعد دين ، أخذ منه الكثير ، وأعطاه القليل .

[٢٢ - تفشي الخصاء بين النصارى]

فصل منه : ومما يدل على قلة رحمتهم وفساد قلوبهم أنهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم ، والخصاء أشد المثلة ، وأعظم ما ركب به إنسان ثم يفعلون بأطفال لا ذنب لهم ، ولا دفع عندهم .

ولا نعرف قوماً يعرفون بخصاء الناس حيث ما كانوا إلا ببيلاد الروم والحبشة ، وهم في غيرها قليل ، وأقل قليل .

على أنهم لم يتعلموا إلا منهم ، ولا كان السبب في ذلك غيرهم ، ثم خصوا أبناءهم وأسلموهم في بيهم . وليس الخصاء إلا في دين الصابئين ، فإن العابد ربما

نحى نفسه ، ولا يستحل خصاء ابنه . فلو تمت إرادتهم في خصاء أولادهم في ترك النكاح وطلب النسل كما حكيت لك قبل هذا - لانقطع النسل ، وذهب الدين ، وفتن الخلق .

[٢٣ - بعض عادات النصراني]

والنصراني وإن كان أنظف ثوباً ، وأحسن صناعة ، وأقل مساختة ، فإن باطنه الأم وأقذر وأسمج ، لأنه ألقف ، ولا يغتسل من الجنابة ، ويأكل لحم الخنزير ، وامراته جنب لا تطهر من الحيض ، ولا من النفاس ، ويغشاها في الطمث ، وهي مع ذلك غير محتونة .

وهم مع شرارة طبائعهم ، وغلبة شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الأبد في الآخرة ، وكالحدود والقود والقصاص في الدنيا ، فكيف يجانب ما يفسده ، ويؤثر ما يصلحه من كانت حاله كذلك . وهل يصلح الدنيا من هو كما قلنا ؟ وهل يبيع حل الفساد إلا من وصفنا ؟

[٢٤ - الغموض حول حقيقة النصرانية]

ولو جهدت بكل جهدك ، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح ، لما قدرت عليه ، حتى تعرف به حد النصرانية ، وخاصة قولهم في الإلهية .

وكيف تقدر حل ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً ، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف أخيه وصنوه . وكذلك جميع الملكانية واليهودية . ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف جميع الأديان .

حل أنهم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس ، ولا يقوم حل المسائل ، ولا يثبت في الامتحان ، وإنما هو بالتسليم لما في الكتب ، والتقليد للأسلاف . ولعمري ، إن من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم .

وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور ، ما لم يتعمد الباطل ، ويعاند الحق . فإذا صاروا إلى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة ، وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة .

[٢٥ - الرد على النصراني حول مسألة كلام عيسى في المهد]

فصل منه : فأما مسألتهم في كلام عيسى في المهد : ان النصراني مع حبه لتقوية أمره لا يثبتونه ، وقولهم : إنا نقولناه ورويناه عن غير الثقات ، وأن الدليل على أن عيسى لم يتكلم في المهد أن اليهود لا يعرفونه ، وكذلك المجوس ، وكذلك الهند والخزر والديلم . فنقول في جواب مسألتهم عند إنكارهم كلام المسيح في المهد مولوداً .

يقال لهم : إنكم حين سويتم المسألة وموهمتوها ، ونظمتم ألفاظها ، ظنتم أنكم قد أنجحتهم ، وبلغتم غايتكم . ولعمري لئن حسن ظاهرها ، وراع الأسماع مخرجها ، انها لقبیحة الفتش ، سيئة المعري .

ولعمري أن لو كانت اليهود تقر لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون ، وإقامة المقعد الذي تدعون ، وإطعام الجمع الكثير من الأرخفة اليسيرة ، وتصيير الماء جداً ، والمشي على الماء ، ثم أنكرت الكلام في المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم في ذلك مقال ، وإلى الطعن سبيل . فأما وهم يحددون ذلك أجمع ، فمرة يضحكون ، ومرة يفتاظلون ويقولون : إنه صاحب رقى ونيرجات ، ومداوي مجانين ، ومتطيب ، وصاحب حيل وتربص خدع ، وقراءة كتب ، وكان لسناً مسكيناً ، ومفتولاً مرحوماً ، ولقد كان قبل ذلك صياد سمك ، وصاحب شبك ، وكذلك أصحابه . وأنه خرج على مواطأة منهم له ، وأنه لم يكن لرشدة .

وأحسنهم قولاً ، وألينهم مذهباً من زعم أنه ابن يوسف النجار .

وأنه قد كان واطاً ذلك المقعد قبل إقامته بسنين ، حتى إذا شهره بالقعدة ، وحرف موضعه في الزمنى ، مر به في جمع من الناس كأنه لا يريد ، فشكا إليه

الزمانة وقلة الحيلة ، وشدة الحاجة ، فقال : ناولني يدك . فناوله يده ، فاجتذبه فأقامه ، فكان تجمع لطول القعود ، حتى استمر بعد ذلك .

وإنه لم يحي ميتاً قط ، وإنما كان داوى رجلاً يقال له « لاهازار » إذ أهمني عليه يوماً وليلة ، وكانت أمه ضعيفة العقل ، قليلة المعرفة ، فمر بها ، فإذا هي تصرخ وتبكي ، فدخل إليها ليسكنها ويعزيها ، وجس عرقه فرأى فيه علامة الحياة ، فداواه حتى أقامه ، فكانت لقلة معرفتها ، لا تشك أنه قدم مات ، ولفرحها بحياته تشي عليه بذلك ، وتتحدث به .

فكيف تستشهدون قوماً هذا قولهم في صاحبكم ، حين قالوا : كيف يجوز أن يتكلم صبي في المهد مولوداً فيجعله الأولياء والأعداء .

ولو كانت المجوس تفر لعيسى بعلامة واحدة ، وبأدنى أعجوبة ، لكان لكم أن تنكروا علينا بهم ، وتستمينوا بإنكارهم . فأما وحال عيسى في جميع أمره عند المجوس كحال زرادشت في جميع أمره عند النصارى فما احتلهم بهم ، وتعلقهم في إنكارهم ؟

مركز تحقيقات كويت للدراسات والبحوث الإسلامية

وأما قولكم : وكيف لم تعرف الهند والخزر والترك ذلك ؟ لمقى أقرت الهند لموسى بأعجوبة واحدة ، فضلاً عن عيسى ؟ ومقى أقرت لنبي بآية ، أורות له سيرة ، حتى تستشهدوا الهند على كلام عيسى في المهد .

ومقى كانت الترك والديلم والخزر والبير والطيلسان المذكورة في شيء من هذا الجنس ، محتجاً بها على هذا الضرب ؟

فإن سألونا عن أنفسهم فقالوا : ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحد بشة ؟ أجبتناهم بعد إسقاط نكيرهم وتشنيعهم ، وتزوير شهودهم .

وجوابنا : أنهم إنما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس : اثنتان منهم من الحواريين بزعمهم : يوحنا ، ومقى . والثنتان من المستجيبة وهما : مارقش ونوقش ، وهؤلاء

الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ، ولا تعتمد الكذب ، ولا التواطؤ على الأمور ، والاصطلاح على اقتسام الرياسة ، وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التي شرطها له .

فإن قالوا : إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذباً ، واحفظ من أن ينسوا شيئاً ، وأعلى من أن يغلطوا في دين الله تعالى ، أو يضيعوا عهداً .

قلنا : إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل ، وتضادها في كتبهم ، واختلافهم في نفس المسيح ، مع اختلاف شرائعهم ، دليل على صحة قولنا لهم ، وغفلتكم عنهم .

وما ينكر من مثل لوقس أن يقول باطلاً ، وليس من الحواريين ، وقد كان يهودياً قبل ذلك بأهلام بسيرة ، ومن هو عندكم من الحواريين خير من لوقس عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة ، والطباغ الشريفة ، وبراعة الساحة .

[٢٦ - الرد على النصارى حولاً بنوثة المسيح]

فصل منه : وسألتكم عن قولهم : إذا كان تعالى قد اتخذ عبداً من عباده خليلاً ، فهل يجوز أن يتخذ عبداً من عباده ولداً ، يريد بذلك إظهار رحمته له ، إياه ، وحسن تربيته وتأديبه له ، ولطف منزلته منه ، كما سمي عبداً من عباده خليلاً ، وهو يريد تشريفه وتعظيمه ، والدلالة على خاص حاله عنده .

وقد رأيت من المتكلمين من يميز ذلك ولا ينكره ، إذا كان ذلك على التبي والتربية والإبانة له بلطف المنزلة ، والاختصاص له بالمرحمة والمحبة ، لا على جهة الولادة ، واتخاذ الصاحبة . ويقول : ليس في القياس فرق بين اتخاذ الولد على التبي والتربية وبين اتخاذ الخليل على الولاية والمحبة .

وزعم أن الله تعالى يحكم في الأسماء بما أحب ، كما أن له أن يحكم في المعاني بما أحب .

وكان يجوز دعوى أهل الكتاب على التوراة والإنجيل والزبور ، وكتب الأنبياء صلوات الله عليهم في قولهم : إن الله قال : « إسرائيل بكري » . أي هو أول من تبنت من خلقي . وأنه قال : « إسرائيل بكري » ، وبنوه أولادي » . وأنه قال لداود : « سيولد لك غلام ، ويسمى لي ابناً ، وأسمى له أباً » . وأن المسيح قال في الإنجيل : « أنا أذهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » ، وأن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا في صلواتهم : « يا أبانا في السماء ، تقدس اسمك » . في أمور عجيبة ، ومذاهب شنيعة ، يدل على سوء عبادة اليهود ، وسوء تأويل أصحاب الكتب ، وجهلهم مجازات الكلام ، وتصريف اللغات ، ونقل لغة إلى لغة ، وما يجوز على الله ، وما لا يجوز . وسبب هذا التأويل كله العمى والتقليد ، واعتقاد التشبيه .

وكان يقول : وإنما وضعت الأسماء على أقدار المصلحة ، وعلى قدر ما يقابل من طبائع الأمم . فربما كان أصلح الأمور وأمتها أن يتبناه الله أو يتخلده خليلاً ، أو يخاطبه بلا ترجمان ، أو يخلقه من غير ذكر ، أو يخرج من بين هاتر وعقيم . وربما كانت المصلحة غير ذلك كله . وكما تعبدنا أن نسميه جواداً وبهانا أن نسميه سخياً أو سرياً وأمرنا أن نسميه مؤمناً وبهانا أن نسميه مسلماً ، وأمرنا أن نسميه رحيماً وبهانا نسميه رقيقاً .

وقياس هذا كله واحد ، وإنما يتسع ويسهل على قدر العادة وكثرتها . ولعل ذلك كله قد كان شائعاً في دين هود وصالح وشعيب واسماعيل ، إذ كان شائعاً في كلام العرب في إثبات ذلك وإنكاره .

وأما نحن - رحمك الله - فإننا لا نجيز أن يكون لله ولد ، لا من جهة الولادة ، ولا من جهة التبني ، ونرى أن تجوز ذلك جهل عظيم ، وإثم كبير ، لأنه لو جاز أن يكون أباً ليعقوب لجاز أن يكون جداً ليوسف ، ولو جاز أن يكون جداً وأباً ، وكان ذلك لا يسوجب نسبا ، ولا يهضم مشاكلة في بعض الوجوه ، ولا ينقص من عظم ، ولا يحط من بهاء ، لجاز أيضاً أن يكون عمياً وخالاً ، لأنه إن جاز أن

يسميه من أجل المرحمة والمحبة والتأديب - أباً ، جاز أن يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد أخاً ، ولجاز أن يمجده له صاحباً وصديقاً ، وهذا ما لا يجوزه إلا من لا يعرف عظمة الله ، وصغر قدر الإنسان .

وليس بحكيم من ابتذل نفسه في توقير عبده ، ووضع من قدره في التوفر على غيره . وليس من الحكمة أن تحسن إلى عبدك بأن تسيء إلى نفسك ، وتأتي من الفضل ما لا يجب بتضييع ما يجب . وكثير الحمد لا يقوم بقليل الذم ، ولم يحمد الله ولم يعرف إنهيته من جوز عليه صفات البشر ، ومناسبة الخلق ، ومقاربة العباد .

وبعد ، فلا يخلو المولى من رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين :

إما أن يكون لا يقدر على كرامته إلا بهوان نفسه ، ويكون على ذلك قادراً ، مع وفارة العظمة ، وتمام البهاء .

وإن كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلا بأن ينقص من قدر نفسه فهذا هو المعجز ، وضيق الذرع .

وإن كان على ذلك قادراً فألتر ابتذال نفسه والحط من شرفه فهذا هو الجهل الذي لا يحتمل .

والوجهان عن الله جل جلاله منفيان .

ووجه آخر يعرفون به صحة قولي ، وصواب مذهبي ، وذلك أن الله تبارك وتعالى لو علم أنه قد كان فيما أنزل من كتبه على بني إسرائيل : إن أباكم كان بكري وابني ، وإنكم أبناء بكري - لما كان تغضب عليهم إذ قالوا : نحن أبناء الله ، فكيف لا يكون ابن ابن الله ابنة ، وهذا من تمام الإكرام ، وكمال المحبة ، ولا سيما إن كان قال في التوراة : بنو إسرائيل أبناء بكري .

وأنت تعلم أن العرب حين زعمت أن الملائكة بنات الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره ، وغضب على أهله ، وإن كان يعلم أن العرب لم تحمل الملائكة

بنائه على الولادة واتخاذ صاحبة ، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله قد كان يخبر عباده قبل ذلك بأن يعقوب ابنه ، وأن سليمان ابنه ، وأن عزيزاً ابنه ، وأن عيسى ابنه ؟ .

فإنه تعالى أعظم من أن يكون له أبوة من صفاته ، والإنسان أحقر من أن يكون بنوة الله من أنسابه .

والقول بأن الله يكون أباً وجداً وأخاً وصياً ، للنصارى ألزم ، وإن كان للآخرين لازماً ، لأن النصارى تزعم أن الله هو المسيح بن مريم ، وأن المسيح قال للحواريين : « إخوتي » . فلو كان للحواريين أولاد لجاز أن يكون الله معهم ،

بل قد يزعمون أن مرقس هو ابن شمعون الصفا ، وأن زوزري ابنته ، وأن النصارى تقرر أن في إنجيل مرقس : « ما زاد أمك وأخوتك على الباب » وتفسيرها : ما زاد : معلم . فهم لا يمتنعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أباً وجداً وصياً .

ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا : « إن عزيزاً ابن الله » ، « ويهد الله مفلوكة » ، « إن الله فقير ونحن أغنياء » وحكى عن النصارى أنهم قالوا : « المسيح ابن الله » وقال : « قالت النصارى المسيح ابن الله » . وقال : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » . لكنك لأن آخر من السماء أحب إلي من أن ألفظ بحرف مما يقولون . ولكني لا أصل إلى إظهار جميع مخازيمهم ، وما يسرون من فضائلهم ، إلا بالإخبار عنهم ، والحكاية منهم .

فإن قالوا : خبرونا عن الله ، وعن التوراة ، أليست حقاً ؟ قلنا : نعم . قالوا : فإن فيها « إسرائيل بكري » وجميع ما ذكرتم هنا معروف في الكتب .

قلنا : إن القوم إنما اتوا من قلة المعرفة بوجوه الكلام ، ومن سوء الترجمة ، مع الحكم بما يسبق إلى القلوب . ولعمري أن لو كانت لهم عقول المسلمين ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب ، وما يجوز على الله ، مع فصاحتهم بالعبرانية ،

لوجدوا لذلك الكلام تأويلاً حسناً ، ومخرجاً سهلاً ، ووجهاً قريباً . ولو كانوا أيضاً لم يعطلوا في سائر ما ترجموا لكان لقاتل مقال ، ولطاعن مدخل ، ولكنهم يجبرون أن الله تبارك وتعالى قال في العشر الآيات التي كتبها أصابع الله : « إني أنا الله الشديد ، وإني أنا الله الثقف ، وأنا النار التي تأكل النيران ، آخذ الأبناء بحوب الأباء ، القرن الأول والثاني والثالث إلى السابع » . وأن داود قال في الزبور : « افتح عينك يا رب » و « قم يا رب » ، و « أصغ إلي سمعك يا رب » . وأن داود خبر أيضاً في مكان آخر عن الله تعالى : « وانتبه الله كما ينتبه السكران الذي قد شرب الخمر » . وأن موسى قال في التوراة : « خلق الله الأشياء بكلمته ، وبروح نفسه » . وأن الله قال في التوراة لبني إسرائيل : « بذراعي الشديدة أخرجتكم من أهل مصر » . وأنه قال في كتاب إشعيا : « حمد الله حمداً جديداً ، حمده في أقاصي الأرض ، بملا الجزائر وسكانها ، والبحور والقفار وما فيها ، ويكون بنو قيدار في القصور ، وسكان الجبال - يعني قيدار بن إسماعيل - ليصبحوا ويصيروا لله الفخر والكرامة ، ويسبحوا بحمد الله في الجزائر »

وأنه قال على إثر ذلك : « ويخرج الرب كالجبار ، وكالرجل الشجاع المجرّب ، ويزجر ويصرخ ، ويبجج الحرب والحمية ، ويقتل أهداه ، يفرح السباه والأرض » .

وأن الله قال أيضاً في كتاب إشعيا : « سكت . قال : هو منى أسكت ، مثل المرأة التي قد أخذها الطلق للولادة أتلهف ، وإن ترابي أريد أحرث الجبال والشعب ، وأخذ بالعرب في طريق لا يعرفونه » .

وكلهم على هذا اللفظ العربي مجمع . ومعنى هذا لا يجوزه أحد من أهل العلم ، ومثل هذا كثير تركته لمعرفةكم به .

وأنت تعلم أن اليهود لو أخذوا القرآن فترجموه بالعبرانية لأخرجوه من معانيه ، ولحولوه عن وجوهه ، وما ظنك بهم إذا ترجموا : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » ،

﴿ لتصنع على عيني ﴾ ، و﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ ، و﴿ على المرش استوى ﴾ ، و﴿ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ ، وقوله : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ﴾ ، و﴿ كلم الله موسى تكليماً ﴾ ، و﴿ جاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ .

وقد يعلم أن مفسري كتابنا وأصحاب التأويل منا أحسن معرفة ، وأعلم بوجوه الكلام من اليهود ، ومتأولي الكتب ، ونحن قد نجد في تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صفته ، ولا عند المتكلمين في مقاييسهم ، ولا عند النحويين في هريتهم . فما ظنك باليهود مع غباوتهم وغيرهم ، وقلة نظرهم وتقليدهم ؟

وهذا باب قد خلطت فيه العرب أنفسها ، وفصحاء أهل اللغة إذا خلطت قلوبها ، وأخطأت قلوبها ، وأخطأت عقولها ، فكيف بغيرهم من لا يعلم كعلمها ؟

سمع بعض العرب قول جميع العرب : « القلوب بيد الله » ، وقولهم في الدهاء : « نواصينا بيد الله » وقوله جل ذكره : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ، وقولهم : « هذا من أيادي الله ونعمه عندنا » وقد كان من لغتهم أن الكف أيضاً يد ، كما أن النعمة يد ، والقدرة يد ، فغلط الشاعر فقال :

هون عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها

وقد كان إبراهيم بن سيار النظام يجيب بجواب ، وأنا ذاكره إن شاء الله . وعليه كانت علماء المعتزلة ، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً .

وذلك أنه كان يجعل الخليل مثل الحبيب ، مثل الولي ، وكان يقول : خليل الرحمن مثل حبيبه ووليه وناصره . وكانت الخلة والولاية والمحبة سواء .

قالوا : ولما كانت كلها عنده سواء جاز أن يسمى عبداً له ولداً ، لمكان التربية التي ليست بحضانة ، ولمكان الرحمة التي لا تشتق من الرحم ، لأن إنساناً لو رحم جرو كلب فرباه لم يجوز أن يسميه ولداً ويسمي نفسه أباً . ولو التقط صبياً فرباه جاز أن يسميه ولداً

ويسمى نفسه له أباً ، لأنه شبيه ولده ، وقد يولد لمثله مثله . وليس بين الكلاب والبشر أرحام ، فإذا كان شبه الإنسان أبعد من الله تعالى من شبه الجرو وبالإنسان ، كان الله أحق بالأب يجعله ولده ، وينسبه إلى نفسه .

قلنا لإبراهيم النظام عند جوابه هذا وقياسه الذي قاس عليه ، في المعارضة والموازنة بين قياسنا وقياسه : رأيت كلباً ألف كلابه ، وحامى وأحمى دونه ، هل يجوز أن يتخذة بذلك كله خليلاً ، مع بعد التشابه والتناسب ؟

فإذا قلنا : لا . قلنا : فالعبد الصالح أبعد شبيهاً من الله من ذلك الكلب المحسن إلى كلابه ، فكيف جاز في قياسك أن يكون الله خليل من لا يشاكره لمكان إحسانه ، ولا يجوز للكلاب أن يسمى كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حسن تربيته له ، وتأديبه إياه ، ولمكان حسن الكلب وكسبه عليه ، وقيامه مقام الولد الكاسب والأخ ، والبار .

والعبد الصالح لا يشبه الله في وجهه من الوجوه ، والكلب قد يشبه كلابه لوجوه كثيرة ، بل ما أشبهه به مما خالفه فيه ، وإن كانت العلة التي منعت من تسمية الكلب خليلاً وولداً أبعد شبهة من الإنسان .
فلو قلتم : فما الجواب الذي أجبت فيه ، والوجه الذي ارتضيته ؟

قلنا : إن إبراهيم صلوات الله عليه ، وإن كان خليلاً ، فلم يكن خليله بخلة كانت بينه وبين الله تعالى ، لأن الخلة والإخاء والصدقة والتصافي والخلطة وأشبه ذلك منفية عن الله تعالى عز ذكره ، فيها بينه وبين عباده ، على أن الإخاء والصدقة داخلتان في الخلة ، والخلة أهم الأسمين ، وأخص الحالين . ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخلة التي أدخلها الله على نفسه وماله ، وبين أن يكون خليلاً [بالخلة وأن يكون خليلاً] بخلة بينه وبين ربه - فرق ظاهر - وبون واضح . وذلك أن إبراهيم عليه السلام اختل في الله تعالى اختلا لا لم يحتلله أحد قبله . لقد فهم إياه في النار ، وذبحه ابنه ، وحمله على ماله في الضيافة والمواساة والأثرة . وبعداوة قومه ، والبراءة من أبويه في حياتهما ، وبعد موتهما ، وترك وطنه ، والهجرة إلى غير داره ومسقط رأسه . فصار لهذه الشدائد اختلاً في الله ،

وخليلاً في الله . والخليل والمختل سواء في كلام العرب . والدليل على أن يكون الخليل من الخلّة كما يكون من الخلّة قول زهير بن أبي سلمى ، وهو يمدح هرمياً :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا عاجز مالي ولا حرم
وقال آخر :

وإني إلى أن تسعفاني بحاجة إلى آل ليل مرة لخليل
وهو لا يمدحه بأن خليله وصديقه يكون فقيراً سائلاً ، يأتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والمطية ، وإنما الخليل في هذا الموضع من الخلّة والاختلال ، لا من الخلّة والخلال .

وكأن إبراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلاً أضافه الله إلى نفسه ، وأبانه بذلك عن سائر أوليائه ، فسماه خليل الله من بين الأنبياء ، كما سمي الكعبة : بيت الله من بين جميع البيوت ، وأهل مكة : أهل الله من بين جميع البلدان . وسمى ناقة صالح عليه السلام : ناقة الله من بين جميع النوق . وهكذا كل شيء عظمه الله تعالى ، من خير وشر ، وثواب وعقاب . كما قالوا : دعه في لعنة الله ، وفي نار الله وفي حرقه . وكما قال للقرآن : كتاب الله ، وللمحرم : شهر الله . وعلى هذا المثال قيل لحمزة رحمة الله ورضوانه عز ذكره عليه : أسد الله ، ولخالد رحمة الله عليه : سيف الله تعالى .

وفي قياسنا هذا لا يجوز : أن الله خليل إبراهيم ، كما يقال : أن إبراهيم خليل الله .

فإن قال قائل : فكيف لم يقدموه على جميع الأنبياء ، إذ كان الله قدمه بهذا الاسم الذي ليس لأحد مثله ؟

قلنا : إن هذا الاسم اشتق له من عمله وحاله وصفته ، وقد قيل لموسى عليه

السلام : كلیم الله ، وقيل لعيسى : روح الله ، ولم يقل ذلك لإبراهيم ، ولا لمحمد عليهما السلام ، وإن كان محمد ﷺ أرفع درجة منهن لأن الله تعالى كلم الأنبياء عليهم السلام على السنة الملائكة ، وكلم موسى كما كلم الملائكة ، فلهذه العلة قيل : كلیم الله . وخلق في نطف الرجال أن قذفها في أرحام النساء على ما أجرى عليه تركيب العالم ، وطباع الدنيا وخلق في رحم مريم روحاً وجسداً ، على غير مجرى العادة ، وما عليه المناكحة . هذه الخاصة قيل له : روح الله .

وقد يجوز أن يكون في نبي من الأنبياء خصلة شريفة ، ولا تكون تلك الخصلة بعينها في نبي أرفع درجة منه ، ويكون في ذلك النبي خصال شريفة ليست في الآخر . وكذلك جميع الناس ، كالرجل يكون له أبوان ، فيحسن برهما وتعهدهما ، والصبر عليهما ، وهو أعرج لا يقدر على الجهاد ، وفقير لا يقدر على الإنفاق . ويكون آخر لا أب له ولا أم له ، وهو ذو مال كثير ، وخلق سوى ، وجلد طاهر ، فاطاع هذا بالجهاد والإنفاق ، وأطاع ذلك ببر والديه والصبر عليهما .

والكلام إذا حرك تشعب ، وإذا ثبت أصله كثرت فنونه ، واتسعت طرقه . ولولا ملالة القاريء ، ومداراة المستمع لكان بسط القول في جميع ما يعرض أتم للدليل ، وأجمع للكتاب ، ولكننا إنما ابتدأنا الكتاب لنقتصر به على كسر النصرانية فقط .

قلنا في جواب آخر : إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر ، فأدم وحواء إذ كانا من غير ذكر وأنثى أحق بذلك ، إن كانت العلة في اتخاذ ولد أنه خلقه من غير ذكر . وإن كان ذلك لمكان التربية فهل رباه إلا كما ربه موسى ، وداود ، وجميع الأنبياء . وهل تأويل : « رباه » إلا غذاه ورزقه واطعمه وسقاه فقد فعل ذلك بجميع الناس ، ولم سميتم سقيه لهم واطعامه إياهم تربية ، ولم رباه وانتم لا تريدون إلا غذاه ورزقه وهو لم يرضه ، ولم يباشر تغليبه ، ولم يتول بنفسه سقيه واطعامه ، فيكون ذلك سبباً له دون غيره ، وإنما سقاه لبن أمه في صغره ، وغذاه بالحبوب والماء في كبره .

فصل منه: والاعجوبة في آدم عليه السلام أبدع، وتربيته أكرم، ومنقلبه أهل وأشرف إذ كانت السماء داره، والجنة منزله، والملائكة خدامه. بل هو المقدم بالسجود، والسجود أشد الخضوع. وإن كان بحسن التعليم والتثقيف، فمن كان الله تعالى يخاطبه، ويتولى مناجاته دون أن يرسل إليه ملائكته ويبحث إليه رسله، أقرب منزلة، وأشرف مرتبة، وأحق بشرف التأديب وفضيلة التعليم.

وكان الله تعالى يكلم آدم كما كان يكلم ملائكته، ثم علمه الأسماء كلها، ولم يكن ليعلمه الأسماء كلها إلا بالمعاني كلها، فإذا [كان] ذلك كذلك فقد علمه جميع مصالحه ومصالح ولده، وتلك نهاية طباع الأدميين، ومبلغ قوى المخلوقين.

[٢٧ - الرد على النصارى حول فقر الله]

فصل منه: فأما قولهم إنا نقول على الناس ما لا يعرفونه، ولا يجوز أن يدينوا به، وهو قولنا إن اليهود قالت: إن الله تعالى فقير ونحن أغنياء. وأنها قالت: إن يد الله مغلولة، وأنها قالت: إن عزيزاً ابن الله، وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم، ينكرون ذلك ويأبونه أشد الإباء.

قلنا لهم: إن اليهود لعنهم الله تعالى كانت تطعن على القرآن، وتلتبس نقضه، وتطلب عيبه، وتخطيء فيه صاحبه وتأتيه من كل وجه، وترصده بكل حيلة، ليلتبس على الضعفاء، وتستميل قلوب الأغبياء.

فلما سمعت قول الله تعالى لعباده الذين أعطاهم، قرضاً وسأهم قرضاً على التضعيف، فقال عز من قائل: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾. قالت اليهود على وجه الطعن والعيب والتخطئة والتعننت: تزعم أن الله يستقرض منا، وما استقرض منا إلا لقره وغنانا! فكفرت بذلك القول إذ كان على وجه التكذيب والتخطئة، لا على وجه أن دينها كان في الأصل أن الله فقير، وأن عباده أغنياء. وكيف يعتقد إنسان أن الله عاجز عما يقدر عليه، مع إقراره بأنه الذي خلقه ورزقه، وإن شاء حرمه، وإن شاء هدبه، إن شاء عفا

عنه ، وقدرته على جميع ذلك كقدرته على واحد .

ومجاز الآية في اللغة واضح ، وتأويلها بين ؟ وذلك أن الرجل منهم كان يفرض صاحبه لإرفاقه ، ليعود إليه مع أصل ماله اليسير من ربحه ، ثم هو خاطر به إلى أن يعود في ملكه . فقال لهم - بحسن عاداته ومنتته : أسوأ فقراءكم ، وأعطوا في الحق أقرباءكم ، من المال الذي أعطيتكم ، والنعمة التي خولتكم ، بأمرى إياكم وضمان لكم ، فأعتده منكم قرضاً وإن كنت أولى به منكم ، فأنا موفيكم حقوقكم إلى ما لا ترتقي إليه همة ولا تبلغه أمنية . على أنكم قد أمتمت من الخطار ، وسلمتم من التفرير .

والرجل يقول لعبده : أسلفني درهماً ، عند الحاجة تعرض له ، وهو يعلم أن عبده وماله له . وإنما هذا كلام وفعال يدل على حسن الملكة ، والتفضل على العبد والأمة ، وإخبار منه لعبده أنه سيعيد عليه ما كانت سخطت به نفسه .

وهذا ليس بغلط في الكلام ولا بضيق فيه ولكن المتعنت يتعلق بكل سبب ، ويتشبث بكل ما وجدته في كلامه .

وأما إخباره عن اليهود أنها قالت : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ ، فلم يذهب إلى أن اليهود ترى أن ساعده مشدودة إلى عنقه بغل . وكيف يذهب إلى هذا ذاهب ، ويدين به دائن ؟ لأنه لا بد أن يكون يذهب إلى أنه غل نفسه أو غله غيره ، وأبيها كان ، فإنه منفي عن وهم كل بالغ يحتمل التكليف ، وعاقل يحتمل الثقيف ، ولكن اليهود قوم جبرية ، والجبرية تبخل الله مرة ، وتظلمه مرة ، وإن لم تقر بلسانها وتشهد على إقرارها ، بقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ يمنون به وإحسانه . وقولهم : مغلولة ، لا [يعني] أن غيره حبسه ومنعه ، ولكن إذا كان عندهم أنه الذي منع أياديه ، وحبس نعمه ، فهي محبوسة بحبسه ، ومنوعة بمنعه .

والذي يدل على أنهم أرادوا باليدين النعمة والإفضال ، دون الساعد

والذراع ، جواب كلامهم حين قال : ﴿ هل يبداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾
دليلاً على ما قلنا ، وشاهداً على ما وصفنا .

فإن قالوا : فكيف لم نقل إن اليهود بخلت الله وجحدت إحسانه ، دون أن
يقال إن يد الله مغلولة ؟

قلنا : إن أراد الله الإخبار عن كفر قوم وسخط عليهم ، فليس لهم عليه
أن يعبر عن دينهم وعبوبهم بأحسن المخارج ، ويحليها بأحسن الألفاظ . وكيف
وهو يريد التنفير عن قولهم ، وأن يبغضهم إلى من سمع ذلك عنهم .

ولو أراد الله تعالى تليين الأمر وتصغيره وتسهيله ، لقال قولاً غير هذا .
وكل صدق جائز في الكلام . فهذا مجاز مسألته في اللغة ، وهو معروف عند
أهل البيان والفصاحة .

[٢٨ - الرد على النصارى حول نبوة عزير]

وأما قولهم : إن اليهود لا تقول إن عزيراً ابن الله . فإن اليهود في ذلك على
قولين : أحدهما خاص ، والآخر عام في جماعتهم .

فأما الخاص ، فإن ناساً منهم لما رأوا عزيراً أعاد عليهم التوراة من تلقاء
نفسه ، بعد دروسها وشتات أمرها خلوا فيه ، وقالوا ذلك ، وهو مشهور من
أمرهم . وإن فريقاً من بقاياهم لباليمن والشام ودخل بلاد الروم . وهؤلاء بأعيانهم
يقولون : إن إسرائيل الله ابنه ، وإذا كان ذلك على خلاف تناسب الناس ،
وصار ذلك الاسم لعزير بالطاعة والعلامة ، والمرتبة لأنه من ولد إسرائيل .

والقول الذي هو عام فيهم ، أن كل يهودي ولده إسرائيل ، فهو ابن
الله ، إذ لم يجدوا ابن ابن قط إلا وهو ابن .

[٢٩ - الرد على النصارى حول كون المسيح روح الله]

فصل منه : فإن قالوا : ليس المسيح روح الله وكلمته ، كما قال عز ذكره :

﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ أو ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أمه أنه نفخ فيها من روحه ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر أنه لا أب له ، وأنه كان خالقاً ، إذ كان يخلق من العطين كهيشة الطير ، فيكون حياً طائراً ؟ فأي شيء بقي من الدلالات على مخالفته لمشاكلة جميع الخلق ، ومباينة جميع البشر ؟

قلنا لهم : إنكم إنما سألتمونا عن كتابنا ، وما يجوز في لغتنا وكلامنا ، ولم تسألونا عما يجوز في لغتكم وكلامكم . ولو أننا جوزنا ما في لغتنا ما لا يجوز ، وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف ، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكائيرين ، وأسوأ حالاً من المنافقين ، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتكم ، وجزنا بكم فوق أمينتكم .

ولو كنا إذا قلنا : عيسى روح الله وكلمته ، وجب علينا في لغتنا أن يجعله ولداً ، ونجعل مع الله تعالى آلهاً ، ونقول : إن روحاً كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم . فكنا إذا قلنا : إن الله سمى جبريل روح الله وروح القدس ، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى . وقد علمتم أن ذلك ليس في ديننا ، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا ، فكيف نظهر للناس قولاً لا نقوله ، وديناً لا نرتضيه .

ولو كان قوله جل ذكره : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ يوجب نفخاً كنفخ الزق ، أو كنفخ الصائغ في المنفخ ، وأن بعض الروح التي كانت فيه انفصلت فاصلة إلى بطنه وبطن أمه ، لكان قوله في آدم يوجب له ذلك ، لأنه قال : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ وكذلك قوله : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .

والنفخ يكون من وجوه ، والروح يكون من وجوه :

فمنها ما أضافه إلى نفسه ، ومنها ما لم يصفه إلى نفسه . وإنما يكون ذلك على

قدر ما عظم من الأمور ، فما سمي روحاً وأضافه الى نفسه ، جبريل الروح الأمين ، وعيسى بن مريم . والتوفيق كقول موسى حين قال : إن بني فلان أجابوا فلاناً النبي ولم يجيبوك . فقال له : « إن روح الله مع كل أحد » .

وأما القرآن فإن الله سماه روحاً ، وجعله يقيم للناس مصالحهم في دنياهم وأبدانهم ، فلما اشتبهها من هذا الوجه ألزمها اسمها فقال لنبيه ﷺ : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ وقال : ﴿ تنزل الملائكة والروح ﴾ .

[٣٠ - خلاف النصارى حول طبيعة المسيح وميلهم الى التشبيه]

لفصل منه : قد جعلنا في جواباتهم وقدمنا مسائلهم ، بما لم يكونوا ليبلغوه لأنفسهم ، ليكون الدليل تاماً ، والجواب جامعاً ، وليعلم من قرأ هذا الكتاب ، وتدبر هذا الجواب ، أننا لم نغتنم عجزهم ، ولم ننتهز غرمتهم ، وأن الإدلال بالحجة ، والثقة بالفالج والنصرة ، هو الذي دعانا الى أن نخبر عنهم بما ليس عندهم ، وألا نقول في مسألتهم بمعنى لم يتببه له منتبه ، أو يشر إليه مشير ، وألا يوردوا فيما يستقبلون ، على ضعفائنا ومن قصر نظره منا ، شيئاً إلا والجواب قد سلف فيه ، وألستهم قد مدلت به .

وسنسالهم إن شاء الله ، ونجيب عنهم ، ونستقصي لهم في جواباتهم ، كما سألناهم أنفسنا ، واستقصينا لهم في مسائلهم .

فيقال لهم : هل يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله ، أو إنهما بلا إنسان ؟ أو أن يكون إلهاً وإنساناً ؟

فإن زعموا أنه كان إنهما بلا إنسان ، قلنا لهم : فهو الذي كان صغيراً فشب والتحق ، والذي كان يأكل ويشرب ، وينجو ويبول ، وقتل بزعمكم وصلب ، وولده مريم وأرضعته ، أم غيره هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا ؟ فأى شيء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعدنا ؟

وكيف يكون آلهاً بلا إنسان ، وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان . وليس
القول في غيره من صفته كصفته إلا كالقول فيه كاشتمالها على غيره ؟

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول من جوهر البشرية ، ولكن
لما كان اللاهوت فيه ، صار خالقاً وسمي إلهاً . قلنا لهم : خبرونا عن اللاهوت .
أكان فيه وفي غيره ، أم كان فيه دون غيره ؟

فإن زعموا أنه كان فيه وفي غيره ، فليس هو أولى بأن يكون خالقاً ويتسمى
إلهاً من غيره . وإن كان فيه دون غيره ، فقد صار اللاهوت جسماً .

وسنقول في الكسر عليهم إذا صرنا إلى القول في التشبيه ، وهو قول
معظمهم ، والذي كان عليه جماعتهم ، إلا من خالفهم من متكلميهم
ومتفلسفيهم ، فإنهم يقولون بالتشبيه والتجسيم ، فراراً من كثرة الشناعة ، وعجزاً
عن الجواب . وكفى بالتشبيه قبحاً ، وهو قول يعم اليهود وإخوانهم من الرافضة ،
وشياطينهم من المشبهة والحشوية والناطقة ، وهو بعد متفرق في الناس . والله
تعالى المستعان .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

هامش كتاب الرد على النصارى

- (١) يذكر الجاحظ بعض مبادئ المعتزلة وهي التوحيد او نفي التشبيه ، والعدل الذي يستتبع حرية الانسان ، والاقرار بالرسول والكتب المنزلة .
- (٢) موضوع الكتاب هو المسائل التي اثارها النصارى والجاحظ يزعم ان شخصاً ارسل اليه كتاباً يسأله فيه الرد على تلك المسائل . ونعتقد ان ذلك الشخص وهي ، وان الجاحظ يفترض وجوده او يتوهمه هل عادته في كتبه للفت الانتباه وليكون اسلوبه خطيباً .
- (٣) الطعن في القرآن من قبل النصارى يقوم على دليل يتلخص في تضمنه معلومات عن النصارى غير صحيحة ولا عهد لهم بها . مثل اعتقاد النصارى بان مريم امة .
- (٤) اليهود لا يعتقدون ان عزيراً هو ابن الله على خلاف ما ورد في القرآن والدليل هو انهم جحدوه من دينهم .
- (٥) اتهام النبي بانه اخذ علمه الذي اودعه القرآن عن غير الثقات . وهذا يعني ان النصارى لا يؤمنون بالوحي كمصدر للقرآن ، ويقولون ان القرآن من صنع محمد . والشاهد الذي اق به النصارى هو ما ورد في القرآن من ان لرهون طلب من هامان ان يبني له صرحاً . وهذا لا يتفق مع الحقيقة التاريخية ، لأن لرهون لم يمش في زمن هامان . ولم يرد في كتاب الجاحظ او فيها انتهى اليقائنه رد على هذه المسألة .
- (٦) النصارى لا يجارون القرآن في قوله ان يحيى بن زكريا لم يكن له سمي من قبل . وان كتبهم تذكر عدة اشخاص يحملون هذا الاسم . ولن نجد للجاحظ رداً على هذه المسألة .
- (٧) النصارى لا يقرن القرآن في قوله ان الله لم يرسل انبياء الا من الرجال . ويقولون انه ارسل عدداً من النساء مثل مريم بنت عمران ، وحنة وسارة ورفقى . وقد وردت اخبارهن في التوراة والانجيل . وسارة هي امرأة ابراهيم ، ورفقى هي امرأة اسحاق .
- (٨) النصارى لا يعرفون ان عيسى تكلم في المهدي كما ورد في القرآن . وكذلك لا يعرفه المجوس (اتباع زرادشت) والصابئون (عبدة النجوم في حران) . ويورد الجاحظ عدداً من الاعاجيب التي يؤمن بها النصارى وينسبونها الى المسيح كإحياء الموتى والمشي على الماء ، والقامة المقعد ،

وابراء الأعمى والأكمه .

(٩) خطة الجاحظ في الرد على النصارى هي : (١) القول في جميع ما ورد من مسائلهم . (٢) وفيما لم يقع في مسائلهم . (٣) ثم يسألهم بعد جوابه إياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاص قولهم وانتشار مذهبهم ، وتهافت دينهم . وهذه الردود تدعمها الشواهد الظاهرة ، والحجج القوية ، والأدلة الاضطرارية مع الابتعاد عن التكلف او انشغال ما لا يحسن . وهو يقوم بهذا العمل في سبيل نصره الدين الاسلامي .

ولم يف الجاحظ بكل ما وعد به . لم يرد على جميع المسائل كما ذكرنا ، وهو لم يتقيد بأحد المبادئ التي اعلنها في مطلع الكتاب ، وهي الاقرار بالكتب الدينية التي ورد ذكرها في القرآن . فهو يشك في صحة الاناجيل الاربعة التي يقدسها المسيحيون ويسمي دينهم بالتهافت .

(١٠) يعالج الجاحظ موضوعاً جانبياً الى جانب الموضوع الاساسي اي مسائل النصارى والرد عليها ، هو الاسباب التي جعلت النصارى اقرب الى المسلمين من اليهود والمجوس وغيرهم . ويعتمد الجاحظ على المعارف التاريخية والطبيعية . مما يجعل بحثه ذا قيمة رفيعة .

(١١) المدينة المنورة أو يثرب التي هاجر اليها النبي كانت موطناً لبعض قبائل اليهود . وقد نظر هؤلاء الى المسلمين نظرة ريبة ، ولم يلبثوا ان اصطدموا بهم وتواصلت العداوة منذ فجر الاسلام بين اتباع الديانتين . وتعليل الجاحظ لهذه العداوة غير كاف : ان سبها بنظره الجوار ، بينما سبها الحقيقي اختلاف العقيدة الدينية .

(١٢) يشير الجاحظ الى سبب آخر حجب النصارى الى المسلمين هو ايواء الاحباش النصارى لمهاجري الاسلام عندما اشتدت عليهم وطأة المشركين ، وهذا امر طبيعي لان الانسان يحب من يسدي اليه معروفاً او يصطنع اليه خيراً .

(١٣) من أقوى أسباب المودة بين المسلمين والنصارى الآية القرآنية ﴿ لتجدن لأشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ﴾ . وموقف الجاحظ من هذه الآية ليس صائباً . فهو يزعم ان النصارى الذين ورد ذكرهم في الآية هم اتباع بحيرا (الراهب الذي التقاه النبي في الشام قبل بعثته) وليسوا نصارى الملكانية واليعقوبية (انقسم النصارى اثر مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ثلاث فرق : الملكانية اتباع ملك الروم القائلون بالطبيعة البشرية للمسيح ، واليعقوبية اتباع مار يعقوب البرذهاني القائلون بالطبيعة الإلهية للمسيح ، والنسطورية اتباع ما نسطوروس القائلون بالتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح) .

(١٤) يجعل الجاحظ اعتناق ملوك الغساسنة والمناذرة للنصرانية قبل الاسلام من أسباب التقارب بين

ابناء الديانتين . والسبب بنظره هو أن تعظيم العرب لملوكهم انسحب على تعظيم دينهم وكان المناصرة يحكمون العراق ومركزهم الحيرة في العراق ، وكان الفساسنة يحكمون سوريا وعاصمتهم دمشق .

(١٥) يشير الجاحظ الى الحركة التجارية قبل الاسلام التي اضطلع بها العرب بين الشمال في الشام والجنوب في اليمن والحبشة . ويستند على ما جاء في القرآن حول هذا الموضوع ، ولبته توسع فيه . ويذكر ان العلاقات التجارية كانت ضعيفة بين العرب والفرس لأن كسرى لم يأنس بالعرب على عكس نجاشي الحبشة ولبصر الروم النصرانيين اللذين حبروا العرب بالجزيل وعرفوا أقدارهم على حد تعبير الجاحظ .

(١٦) يقدم الجاحظ معلومات قيمة عن انتشار النصرانية بين العرب في العصر الجاهلي ، فيذكر القبائل التي تسربت اليها المسيحية والقبائل التي ظلت في منأى عنها . او كان اثر اليهودية اضعف واقتصرت على بعض القبائل والاماكن المحصورة .

(١٧) تقدير المسلمين لعلوم النصارى ، كان النصارى متفلسفين واطباء ومنجمين على عكس اليهود . والسبب في نظر الجاحظ هو ان اليهود تروى في النظر الى الفلسفة كفسراً والكلام في الدين بدعة ، ومحصيل الطب والتنجيم زندقة . ولكن الجاحظ لا يوافق عامة المسلمين على تقدير النصارى باعتبارهم أهل علم وفلسفة لأنهم اخذوا علمهم وفلسفتهم عن اليونان الذين لم يكونوا مسيحيين امثال الفلاطون وأرسطو وبقرات .

(١٨) يعكس كتاب الجاحظ المكانة الاجتماعية الرفيعة التي تسواها النصارى في عصره مما تسترعي الانتباه ويناقض المعلومات التي اشارت الى تدني منزلتهم واحتقارهم والتضييق عليهم . لقد كان منهم الكتاب والاطباء والمطارون والصيارفة . في حين تدنت منزلة اليهود ومهتهم . وكان النصارى احسن خلقاً وانظف ثوباً من اليهود . وتجدد الانتباه الى ملاحظة الجاحظ حول تعليل ذلك . فاليهود لا يتزاورجون الا فيما بينهم على عكس النصارى ، وهذا يؤدي الى الانفلاق والمساخة بينهم .

(١٩) يشير الجاحظ الى تمتع النصارى بالحرية والمساواة مع المسلمين وإلى حياة العز والكرامة التي توافرت لهم . لقد ركبوا الخيول وتحلوا الحرس والحدم ، وارتدوا الثياب الفاخرة وتسموا باسماء المسلمين ولم يناموا على ضيم .

ويشير الجاحظ الى عقد الذمة الذي أبرمه المسلمون مع المسيحيين لصيانة حقوقهم وإلى احترام المسلمين لنبوده والتوسع فيها حتى استحال الى امتيازات لهم .

(٢٠) يتهم الجاحظ النصارى بنشر الزندقة بين المسلمين بترويج كتب المنانية والديبانية والمرقونية وهي ثلاثة مذاهب مجوسية تنسب الى مؤسسها ماني وديهان ومرقون وجميعها تقول باصليين للعالم هما النور والظلمة ويختلف في كيفية امتزاجهما . وقد ظهرت هذه المذاهب بعد مؤسس

المجوسية زرادشت الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد وقبل ظهور الاسلام .

(٢١) وينبغي التساؤل عن السبب الذي دفع النصارى الى نشر مذاهب الزنادقة بين المسلمين على الرغم من انها تخالف دينهم . ولكن الجاحظ يجيب على التساؤل بقوله ان بين دين الزنادقة ودين النصارى نسباً ويمثل هذا الاتفاق او النسب بين المسيحية والزنادقة في نظر الجاحظ بما يلي : الدعوة الى الصبح او التسامح ، ذكر السياحة ، الرغبة في اكل الحبوب وعن اكل اللحوم ، التزهيد في النكاح ، الرهبة وتعظيم رؤساء الدين . وواضح ان الجاحظ يهمل الفرق الكبير بين جوهر المسيحية والمجوسية ، ويولي اهمية للتقاليد .

(٢٢) الخصاص الذي شاع في العصر العباسي وبعده يردده الجاحظ الى نصارى الروم والخبشة فهم مصدره وهم اخذه الآخرون . وكان ينبغي على الجاحظ ان يتعمق في اسبابه الاجتماعية . وقد توسع في طرقة وانعكاساته النفسية والاجتماعية في كتاب الحيوان ، ووقف منه موقفاً انسانياً رائعاً وبين مساوئه . ولكن حكمه بان النصارى هم اصحاب الخصاص من بين جميع الأمم لا تليده المصادر التاريخية ، لانه عرف عند معظم الأمم ، ولم ينحصر في النصارى .

(٢٣) يصدر الجاحظ احكاماً تتسم بالتعصب وتنصب على امور تافهة لا تتعلق بجوهر العقيدة الدينية مثل عدم الاختسار من الجنابة واكل لحم الخنزير وجماعة الرجل زوجته في الطمث .

(٢٤) اختلاف النصارى حول طبيعة المسيح والفرقهم الى مذاهب كثيرة كالملكانية واليعقوبية والنسطورية بحيث يصعب علينا معرفة حقيقة النصرانية .

وتجدر الاشارة الى قول الجاحظ ان النصارى يزعمون ان الدين لا يخضع للقياس المنطقي ، ويقوم على التسليم بما في الكتب والتقليد للاسلاف ، وهذا لا يتفق مع وصفهم فيها سبق من الكتاب بالاهتمام بالفلسفة والعلوم والكلام .

(٢٥) مسألة كلام عيسى في المهد التي ورد ذكرها في القرآن وخلت منها الاناجيل يحملها الجاحظ بقوله ان كتاب الاناجيل الاربعة نبيوا ان يذكروها . ويسترحي انتباهنا موقف اليهود من المسيح الذين ينكرون جميع احاجيه ، ولا يرون فيه سوى ساحر ومتطبب وصياد سمك مختال .

- كما ينبغي التوقف عند شك الجاحظ بالاناجيل ، والاشارة الى ما فيها من اختلاف وتضاد .

(٢٦) مسألة نبوة المسيح المتمثل بقول النصارى : المسيح هو ابن الله يرفضها الجاحظ سواء قصدوا بها التعبير عن محبة الله اياه او حسن تربيته او لطف منزلته ، او قصدوا بها تعليل كونه لم يولد من ذكر ، كما يرفض تفسير بعض المتكلمين المسلمين ومنهم النظام تفسير ما ورد في القرآن من ان ابراهيم هو خليل الرحمن بمعنى صاحبه ، لان ذلك يؤدي الى ايجاد علاقة شبه بين الله والانسان وهذا يقود الى التشبيه ، والتشبيه ينقض مبدأ التوحيد الذي تمسكت به المعتزلة ودالمت عنه واعتبرته اساس الدين .

(٢٧) مسألة فسر الله التي ينكرها اليهود يحملها الجاحظ بسوء فهم الآية القرآنية من قبل اليهود .
فالآية " تعني ان الله فقير او يده مفلولة بل تعني ان من يحسن الى الفقير كأنه أقرض الله ،
والله سبحانه اليه ما انفق هل المحتاجون . ويحمل الجاحظ المفسرين تبعاً للاخطاء الكثيرة التي
يرتكبونها في تفسيرهم .

(٢٨) مسألة نبوة عزير يؤكدها الجاحظ على الرغم من إنكار اليهود ايهاا بقوله ان فرهاً من اليهود
يقولون ان عزيراً هو ابن الله ويوجد بعضهم في اليمن والشام وبلاد الروم ويحيط الجاحظ
اللائم عن شخصية عزير هذا فيقول انه ظهر في زمن متأخر عن مجيء موسى بالتوراة ، فوجد
ان التوراة ضاعت او درست ، فجمعها واحياها واهادها الى اليهود ، فمظموا امره وجعلوه ابن
الله تكريماً له .

(٢٩) مسألة كون عيسى روح الله وكلمته كما ورد في القرآن (النساء ، ١٧١) التي ينكرها
النصارى ، ولكنهم يقولون انها تلزم المسلمين تأييد النصارى في قولهم انه الله او ابن الله .
ويحمل الجاحظ المسألة بتفسير الروح لا بمعنى النفس او الذات ، او ان قسماً من روح الله
انفصل عنه وحل في بطن مريم ولكن بمعنى العقل هل نحو ما جاء في الآية : ﴿ وكذلك
اوحينا اليك روحاً من امرنا ﴾ يعني القرآن .

(٣٠) يكرر الجاحظ مسألة خلاف النصارى حول طبيعة المسيح ويناقش قول بعضهم بالسوية
المسيح ، وقول آخرين باجتماع الطبيعتين الإلهية والبشرية فيه .
ويهي باتهم النصارى بالقول بالتشبيه ، واستنكار هذا القول ، مع الإشارة الى ان هذا المذهب
في التشبيه لم يقتصر على النصارى ، بل فشا بين مذاهب المسلمين كالشيعة والحشوية ، كما
عم اليهود .

٥

فهرس الأعلام والفرق والأماكن

- أ
- آدم : ١٢٧ ، ١٦٩ ، ٢٥٤ .
 ابن أبي العوجاء : ١٤٦
 ابننا عفراء : ١٦٥
 ابن بفض : ١٩٧
 ابن لسان الحمراء : ٩٣
 إبراهيم : ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٢٦
 إبراهيم السندي : ٩٦
 أبوبكر : ١٦٩ ، ١٦٤ ، ١٢٩ ،
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ،
 ١٩٩ ، ٢١٧ .
 أبو جهل بن هشام : ١٩٨
 أبو دجانة : ١٦٥
 أبو الرداء : ١٦٥ ، ١٩٢ .
 أبو ذر : ١٦٥ .
 أبو سفیان : ٢١٩
- أبو هبنة : ١٦٧
 أبو كلبة : ١٥٣
 أبو الهذيل : ٨٣
 أبي بن كعب : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦٥
 أرسطو : ٢٣٦
 أحد : ١٠٣
 أحمد بن أبي داود : ١٥٦ ، ١٥٧
 الأخطل : ٦٩ ، ٧٠ .
 الأزرقى : ٥٩
 أسامة : ١٦٩ ، ١٩٦
 اسحق بن طالتوت : ١٤٦
 الأسدي : ٢٠٠
 إسرائيل : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٩ .
 الاسكندر : ٢٤٦ ، ٢٤٩
 إسلام : ١٤٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،

البكرية : ١٦٠
بلال : ١٦٥
بلال بن رباح : ١٩٩
بولس : ١٣٣

ت

الترك : ٢٤٤
تركية : ٦٩
تغلب : ٢٣٦
تهامة : ٢٣٤
التوراة : ١٤٣
تنباء : ٢٣٦

ث

أفلاطون : ٢٣٦
أقليدس : ٢٣٦
أكراد : ١٤٢
امرؤ القيس : ٢٠١
أمية : ١٢٣
انجيل : ١٤٣
الاندلس : ١١٣
الأنصار : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢٣٣ ، ١٦٧

أوس : ١٧٥
أياد : ٢٣٤

مركز تحقيق وتصوير علوم جامعة كركوك ١٥٣

ب

ج

باهلة : ٩٤
بثينة : ٦٥
البحرين : ١٣٠ ، ١٣١
بددة : ١٣٢
بدد : ١٠٣
البراء بن مالك : ١٦٥
بشر بن المعتمر : ١٠٥
البصرة : ١٣١
بطليموس : ٢٣٦
بقراط : ٢٣٦

بكر : ٢٣٤
بكر بن عبد الله المزني : ١٩١

الخوارج : ٥٩ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ،
١٥٩ .

د

داود : ١٦٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣

دغفل بن حنظلة : ٩٢

دقاق : ٧٠

الدمرية : ١٣٢ ، ١٤٨ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ .

الديصانية : ٢٤٠

دمقراط : ٢٣٦ .

الديلم : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

ذ

ذو الجدين : ٢٣٦

ر

مرکز تحقیقات کتب و اسناد
زویه : ٢٤٣

الرافضة : ٥٤ ، ٥٩ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ،

١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ٢٥٩ .

ربيعة : ٢٣٦ .

رفقى : ٢٢٩ .

الروم : ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ .

ز

الزابوقة : ٢٠٩

ح

الحارث بن كعب : ٢٣٥

حباة : ٧١

الحبشة : ١٠٣

حبشية : ٨٣

الحجاج : ٦٩ ، ٩٣

حجر بن عدي : ٢١٩

حديثي : ١٥٣

الحسن بن رباح : ٦٢

الحسن بن علي : ٦٧ ، ٦٨ ، ٢١٧

حشوي : ١٥٣

حشوية : ٦٨ ، ١٥٣ ، ٢٥٩

حفصة ابنة عبد الرحمن : ٦٧

الحكم بن مروان : ٧١

حدونة أم نصر : ٧٠

حزة : ١٣٩ ، ١٧٦

حنة : ٢٣١ .

حير : ٢٣٦ .

خ

خالد بن يزيد : ١٩٧

خالصة : ٧٠

خاقان بن حامد : ٦٢

خباب : ١٦٤

الخرومي : ١٨٨

الخزرج : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

الخزرج : ١٧٥

الخنلق : ١٠٣ .

ش

- الشام : ١٢٩ ، ١٤٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥٦
شبيب بن شيبه : ١٨٨ ، ١٩٤ .
الشعبي : ٦٨ .
الشعوية : ٢٢٥ .
شعيب : ٢٤٦ .
الشمرية : ١٦٠ .
شمعون الصفا : ٢٤٨ .
شبرويه : ١٤٢ .
الشيعة : ٥٩ ، ١٢٤ ، ١٦٤ .

ص

- الصابثون : ٢٣١ ، ٢٤٣ .
صالح : ٢٤٦ ، ٢٥٢ .
صفيين : ١٣٦ ، ٢١٧ .
الصين : ١٠٣ .

ض

- ضباة بن صمصمة : ٦٦

ط

- الطائف : ٢٣٥ .
طالوت : ١٦٩ .
طلحة : ١٢٣ ، ١٦٥ .
طي : ٢٣٣ .
طليحة : ١٦٧ ، ١٨٢ .

الزبيري : ٢٠٩

- الزبور : ١٤٣ ، ٢٤٩
الزبير : ١٢٣ ، ١٨٢
زرادشت : ١٣٣ ، ٢٤٤ .
الزندقة : ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ١٣٧ ، ٢٤١ .
الزهري : ١٩٩
زهير بن أبي سلمى : ٢٥٢ .
ذوزري : ٢٤٨
زياد الأعجم : ١٩٧
زيد : ١٢١ ، ١٢ ، ١٢٣ .
زيد بن ثابت : ١٦٥ .
زيد بن حارثة : ١٦٥ ، ١٦٩ .
الزيدية : ١٦٤ ، ١٦٧ .

س

- سارة : ٢٣١ .
سعد بن أبي وقاص : ١٢٣ ، ١٦٩ ،
١٩٢ .
سعد بن عباد : ١٧٥ ، ١٧٦ .
سعيد بن نفيل : ١٦٩ .
سكر : ٧٠ .
سلامة : ٧١ .
سليمان بن داود : ٧٣ ، ٢٤٨ .
سمية : ٢١٩ .
السندي : ٢٠٠ .
السني : ٥٤ .
سيف بن ذي يزن : ١٤٢ .

ظ

ظلم : ٧٠

ع

عائشة : ١٨٢

عائشة ابنة طلحة : ٦٨

عاتكة ابنة نفيل : ٦٧

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٦٧

عبس : ٩٤

العباس : ١٦٩

عبد الله بن أبي بكر : ٦٧

عبد الله بن أيوب : ٦٢

عبد الله بن جدعان : ٦٦ ، ٧١

عبد الله بن جعفر الطيار : ٧١

عبد الله بن خالد الزبيدي : ٦٢

عبد الله بن الزبير : ٦٧ ، ١٢٩

عبد الله بن العباس : ١٩٩

عبد الله بن عجلان : ٦٦

عبد الله بن مسعود : ١٢١ ، ١٢٢

١٢٣ ، ١٦٥

عبد الحميد : ١٥٣

عبد الرحمن بن عوف : ١٢٣

عبد القيس : ٢٣٦

عبد الملك بن صالح : ٩٦

عبد الملك بن قريش : ١٩٢

عبد الملك بن مروان : ٦٩ ، ٩٤

عبد مناف (بنو) : ١٦٦

عبد الله بن زياد : ١٧٦

عبيدة بن الجراح : ١٧٦

عتاب بن أسيد : ١٩٧

عثمان (بن عفان) : ١٢٣ ، ١٨٢

١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٧

عثمان بن مظعون : ١٦٥ ، ١٩٩

العجم : ٢٢٥

العرب : ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٧٥

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٥

٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

٢٥٠

العراق : ١٤

هريرة : ٦٦

هريرة بن الزبير : ٩٠

هزة : ٦٦

هزير : ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤

علي بن أبي طالب : ٦٧ ، ١٢٣

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٦٤

علي بن الحسين : ١٦٥ ، ١٦٧

١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢١٩ ، ٢١

عفراء : ٦٦

عكاشة بن محسن : ٩٢

عمارة : ١٦٥

عمران بن حدير : ١٩٢

عمر بن الخطاب : ٦٧ ، ١٦٥

١٦٧ ، ١٦٩

١٧٥ ، ١٧٦

١٨٢ ، ١٩٢

ف

، ٢١٧، ١٩٩

فاخته بن قرطة : ٦٨

. ٢٥٢

الفجار : ١٣٥ .

عمر بن عبد العزيز : ٧١ ، ١٨٧ .

الفرزدق : ٦٩ ، ١٩٧ .

عمرو بن سعيد : ١٩٨ .

الفرس : ١٤٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ .

عمرو بن العاص : ٢٠٧ .

فرعون : ١٤٧ ، ٢٣٠ .

عمرو بن عبيد : ١٥٩ .

فرغانة : ١٠٣ .

عمرو بن ود : ١٣٤ ، ١٣٥ .

الفضلية : ١٦٠ .

العمرية : ١٢٤ .

الفلانية : ٢٤٠ .

عنبر بن سعيد : ٩٣ .

فيروز الديلمي : ١٤٢ .

عترة : ٢٠٠ .

الفيل : ١٣٥ .

عيسى بن مريم : ١٢٧ ، ١٣٠ .

ق

، ١٣٤ ، ١٣٣

، ١٣٦ ، ١٣٥

القادسية : ١٩٢

، ١٤٧ ، ١٣٧

القبط : ١٤٣

، ١٩٨ ، ١٩٦

قحطان : ١٢٢

، ٢٣١ ، ٢٢٩

قريش : ١٤٣ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ، ٢٢٣

، ٢٤٤ ، ٢٤٣

قسامة بن زهير : ١٩٢

، ٢٥٧ ، ٢٤٨

قسطنطينة : ٧٠

. ٢٥٨

قضاة : ٢٣٥

قيدار بن اسماعيل : ٢٤٩

غ

قيس : ٦٦

الغالي : ٥٩

قيصر : ٢٣٥ .

غسان : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

ك

خطفان : ٩٤ .

كثير : ٦٩ .

الغنوي : ٢٠٠

- كسرى : ١٤٢ ، ٢٣٥
الكلام (صناعة) : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٠ .
الكلام (متكلم) : ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٩٩ ، ١٥٢ .
الكميت بن زيد : ١٩٧ .
الكوفة : ١٣١ .
- ل
- لاهازار : ٢٤٤
لبنى : ٦٦
لحمي : ٢٣٢ ، ٢٣٣
لوقش : ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
- م
- مؤتة : ١٦٩
المأمون : ٧٠
مارقش : ٢٤٤ ، ٢٤٨ .
المارقة : ٥٤ .
المانوية : ١٣٣ .
مق : ٢٤٤ .
مجنون ليل : ٨١ .
المجوس : ١٢٠ ، ١٣٢ ، ٢٣١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ .
محمد بن حماد : ٦٢ .
محمد بن خالد : ٦٢ .
محمد بن سلمة : ١٦٥
محمد بن القاسم : ١٩٧ .
- محمد بن هارون كبة : ٦٢
المدمية : ٢٢٠
المرجفة : ٥٤ ، ٥٩ ، ١٢٤
مرقش : ٦٦
المرقونية : ٢٤٠
مروم : ٢٥٣ ، ٢٥٧ .
مريم بنت عمران : ٢٣١ .
المسيح : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
٢٥٣ ، ٢٥٨
مسيلمة : ١٦٧ .
المشبهة : ٥٤ ، ١٣٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٥٩ .
مضر : ٢١٩
مصعب بن الزبير : ٦٨
المطلب بن أبي وداعة : ٦٦
المطيين : ١٣٥
معاذ بن جبل : ١٦٥ ، ١٩٦ .
معاوية (بن أبي سفيان) : ٦٨ ، ٦٩ ،
١٢٩ ، ٢١٧ .
المتزلة : ٥٤ ، ٥٩ ، ١٦٠ ، ١٢٤ ،
٢٥٠ .
المتصم : ١٥٦ ، ٢٠٢ .
معد بن عدنان : ١٢٢ .
مكة : ١٩٧ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢ .
الملكانية : ٢٣٤ ، ٢٤٢ .
المنانية : ٢٤٠ .
المنذر بن الزبير : ٦٧ .
المنصورة (أهل) : ١٣٠ ، ١٣١ .

المهلب : ١٩٤ .

المهاجرون : ١٨٢ ، ٢٠٢ .

الموالي : ٢٢٥ .

موسى : ١٣٧ ، ١٤٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

هـ

هامان : ٢٣٠

هشام بن المغيرة المخزومي : ٦٦

هند : ٦٦

الهند : ٢٤٣ ، ٢٤٤

هود : ٢٤٦

ن

نائلة بنت الفرافصة : ٢١٥ .

النايبة : ٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ،

٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥٩ .

النبي (محمد) : ٦٧ ، ٧٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ٢٠٧ ،

٢٢٩ ، ٢٥٣ .

و

وادي القرى : ٦

واصل بن عطاء : ١٨٧

ورقاء بن زهير : ٩٢

الوليد بن يزيد : ٧٢

ي

يثراب : ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

يحيى بن زكريا : ١٢٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ،

يزيد بن عبد الملك : ٧١

يزيد بن معاوية : ٧١

يزيد بن المهلب : ١٩٧

يعقوب : ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،

اليقطينية : ١٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ،

٢٤٢ .

اليمامة : ١٦٧

اليمن : ٢٥٦

اليهود : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ٢٣٠ ،

٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ .

النجاحشي : ٢٣٥ .

نجران : ٢٣٥ .

نسطوري : ١٣٠ ، ٢٤١ .

النصارى : ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٤٣ ، ٢٢٧ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٥٣ .

النظام : ٥٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،

١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

النعمان بن المنذر : ١٤٦ .

النهروان : ١٣٦ ، ٢١٧ .

نوح : ١٣٥ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة عامة	٥
مقدمة كتاب صناعة الكلام	٨
مقدمة كتاب القيان	١١
مقدمة كتاب النساء	١٣
مقدمة كتاب المسائل والجوابات في المعرفة	١٧
مقدمة كتاب حجج النبوة	٢٠
مقدمة كتاب خلق القرآن	٢٣
مقدمة كتاب إستحقاق الإمامة	٢٧
مقدمة كتابي نفي التشبيه، والرد على المشبهة	٣١
مقدمة كتاب النابتة	٣٦
مقدمة كتاب الرد على النصارى	٤٠



الرسائل الكلامية	٤٩
١ - رسالة صناعة الكلام	٥١
١ - رغبة متكلم سني في علم الكلام	٥٣
٢ - فضيلة علم الكلام	٥٣
٣ - آفات علم الكلام	٥٤
٤ - مزاعم اصحاب الرياضة في علم الكلام	٥٧

٥٧	٥ - فضل الكلام على الفتيا
٥٨	٦ - علم الكلام يشتمل على جميع الفرق
٥٩	هامش صناعة الكلام
٦١	٢ - كتاب القيان
٦٣	١ - مقدمة
٦٣	٢ - القضاء العادل
٦٤	٣ - موضوع الكتاب
٦٥	٤ - قانون السببية في الطبيعة
٦٥	٥ - كل ما في العالم مسخر للانسان
٦٥	٦ - كل ما لم يحرمه الشرع محلل
٦٦	٧ - لم يعرف العرب الحجاب
٦٧	٨ - طواف النساء بالكعبة عاريات
٦٨	٩ - عمر بن الخطاب لم يحرم السفور
٦٨	١٠ - الحسن بن علي لم يحرم النظر الى النساء
٦٩	١١ - الحشوية ليسوا على حق في تحريم النظر الى المرأة
٦٩	١٢ - الشعبي لم يحرم النظر الى النساء
٦٩	١٣ - معاوية لم يحرم النظر الى النساء
٧٠	١٤ - اخبار عبد الملك بن مروان وسواه مع الجوارى
٧١	١٥ - موقف المأمون من المرأة
٧١	١٦ - الافراط في الغيرة على المرأة رذيلة
٧١	١٧ - من الخطأ التفريق بين الحرة والجاهلة
٧٢	١٨ - الغناء
٧٣	١٩ - عناصر الغناء
٧٤	٢٠ - الغناء غير محرم
٧٤	٢١ - الحكم الجمالي
٧٥	٢٢ - تحديد الجمال

٧٥	٢٣ - النظر الى المرأة حلال وما سوى ذلك حرام
٧٦	٢٤ - المحكم على الظاهر لا على الباطن
٧٧	٢٥ - الحب والهوى والعشق
٧٨	٢٦ - اللذات التي توفرها القينة
٨٠	٢٧ - القينة لا تخلص الحب
٨٣	٢٨ - أسباب تهتك القيان
٨٤	٢٩ - المقين
٨٧	هامش رسالة القيان
٩١	٣ - كتاب النساء
٩٣	١ - الحب وأنواعه
٩٤	٢ - المرأة أهم موضوعات الحب
٩٥	٣ - المرأة أحب من الغناء
٩٧	٤ - فضل المرأة على الرجل
٩٧	٥ - حب السلطان
٩٧	٦ - حب الزوجة
٩٧	٧ - حب الولد
٩٨	٨ - حب القرابة
٩٩	٩ - الحاجة الطبيعية إلى الرئيس
٩٩	١٠ - المساواة بين الرجل والمرأة
١٠٠	١١ - درجات العشق ودوامه
١٠١	١٢ - فضل الرجل على المرأة
١٠١	١٣ - الإمام أحب من الحرائر
١٠٢	١٤ - صفات المرأة الجميلة
١٠٢	١٥ - عيوب الكتاب
١٠٤	هامش كتاب النساء

- ٤ - المسائل والجوابات في المعرفة ١٠٧
- ١ - رأي بشر بن المعتمر : المعرفة ارادية ١٠٩
- ٢ - جميع العلوم من فعل الانسان وكسبه ١١٠
- ٣ - المعرفة الحسية من فعل الانسان وإرادته ١١٠
- ٤ - معرفة الله من فعل الانسان وليست إرادية ١١١
- ٥ - رأي النظام ١١٢
- ٦ - رأي معمر ١١٢
- ٧ - فساد هذه الآراء ١١٣
- ٨ - الرد على النظام ١١٣
- ٩ - الاستطاعة والحرية ١١٥
- ١٠ - معرفة الله تتم بواسطة الرسل ١١٧
- ١١ - العلم بصدق الرسل اضطراري ١١٧
- ١٢ - تجارب الطفل غير قصدية ١١٨
- ١٣ - البالغ يعرف النبوة ضرورة ١١٩
- هامش المسائل والجوابات في المعرفة ١٢١
- ٥ - كتاب حجج النبوة ١٢٥
- ١ - موضوع الكتاب ١٢٧
- ٢ - معنى الحججة ١٢٨
- ٣ - أسباب إغفال حجج النبوة ١٢٩
- ٤ - ظهور الحجج صرف عن جمعها ١٢٩
- ٥ - صرف الله الأسلاف عن جمع الحجج ليتمتعن الأبناء ١٢٩
- ٦ - الاهتمام بضبط القراءات دون جمع الحجج ١٣٠
- ٧ - ينبغي جمع حجج النبوة كما جمعت القراءات ١٣١
- ٨ - الغرض من جمع الحجج ١٣٣
- ٩ - حاجة الناس الى الأخبار ١٣٤
- ١٠ - العقل وحده لا يكفي في تحليل المعرفة ١٣٥
- ١١ - سبب ارسال الرسل ١٣٦

- ١٢ - اختلاف طبائع الناس بسبب تنوع المهن ١٣٧
- ١٣ - سبب الرضا بالأوطان ١٣٧
- ١٤ - سبب اختلاف الأسماء ١٣٨
- ١٥ - الانسان مجبر وحر ١٣٨
- ١٦ - سبب البيم والشراء ١٤٠
- ١٧ - سبب تنوع الأذواق في الطعام ١٤٠
- ١٨ - سبب عدم تواطؤ الناس الكثيرين على تخرص الخبير الواحد ١٤١
- ١٩ - تكذيب الخبير لا يعني نفيه ١٤١
- ٢٠ - ولع الناس بالأخبار الغربية ١٤٥
- ٢١ - اعتراض على اعتبار الأخبار حجة ١٤٦
- ٢٢ - اعتراض آخر : المنجم كالنبي يخبر بالغيب ١٤٧
- ٢٣ - الدهاء المستجاب حجة على النبوة ١٥٠
- ٢٤ - عجز العرب عن معارضة القرآن حجة ١٥٣
- ٢٥ - اجتماع محامد الأخلاق في النبي حجة ١٥٦
- هامش حجج النبوة ١٥٨
- ٦ - كتاب خلق القرآن ٢٦٣
- ١ - مقدمة ١٦٥
- ٢ - مقتطفات من رسالة تلقاها الجاحظ ١٦٧
- ٣ - كتاب نظم القرآن ١٦٨
- ٤ - الأسباب التي حفزته على تأليف الكتاب ١٦٨
- ٥ - نقد من يقول أن القرآن مخلوق على المجاز ١٦٩
- ٦ - محنة خلق القرآن ١٧٠
- ٧ - الفرق بين خطأ المعتزلة وخطأ النابتة والرافضة ١٧٣
- ٨ - موقف المحدثين والمعتزلة من العامة ١٧٣
- هامش كتاب خلق القرآن ١٧٤
- ٧ - كتاب استحقاق الامامة ١٧٧
- ١ - أهم فرق الشيعة ١٧٩

- ٢ - أسس تفضيل علي عند الزيدية ١٧٩
- ٣ - أسباب عدم تولي علي الخلافة عند موت النبي ﷺ ١٨١
- ٤ - حرص علي على وحدة المسلمين ١٨٢
- ٥ - الفرق بين الزيدية والرافضة ١٧٣
- ٦ - الزيدية تميز امامة المفضول مع وجود الأفضل ١٨٤
- ٧ - الحاجة الى الإمام ١٨٤
- ٨ - درجات الامام ١٨٥
- ٩ - نسب الرسول ١٨٦
- ١٠ - آيات الرسول ١٨٦
- ١١ - رأي يقول بتعدد الأئمة ١٨٧
- ١٢ - رأي يقول أن الامامة لا تقوم على الارهاب والرهيد ١٨٨
- ١٣ - رأي يقول بوجود اعتماد الناس على أنفسهم ١٨٩
- ١٤ - رأي من يقول أن الامامة وصية ١٨٩
- ١٥ - الغرض من الكتاب وفائدته ١٩٢
- ١٦ - لا بد من إمام يجمع طماع الشر ١٩٤
- ١٧ - يجب أن يكون الامام واحداً ١٩٦
- ١٨ - صفات الإمام ١٩٧
- هامش استحقاق الامامة ١٩٩
- ٨ - رسالة في نفي التشبيه ٢٠٣
- ١ - العامة تقول بالتشبيه ٢٠٥
- ٢ - للعامة متكلمون بوجهونهم ٢٠٦
- ٣ - العامة تسقط شهادة الموحدين ٢٠٦
- ٤ - محنة العامة وقادتهم ٢٠٧
- ٥ - المشبهة يضمنون الأحاديث أو يؤولونها على هواهم ٢٠٧
- ٦ - يجب محاربة المشبهة نصره للمدين ٢٠٨
- ٧ - أهل التشبيه ما زالوا كثيراً ٢٠٨

- ٢٠٨ ٨ - أهل التشبيه يلجأون إلى الجدل عندما
يشسوا من القهر بالعوام والولاة
- ٢٠٩ ٩ - كتاب الرد على المشبهة يبين فساد آرائهم
- ٢٠٩ ١٠ - جاء الكتاب مختصراً لكي لا يمله القراء
- ٢١٠ ١١ - الطلب من أبي الوليد قراءة الكتاب ونشره بين الناس
- ٢١١ ١٢ - يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢١٣ ١٣ - أسباب توجه الجاحظ إلى أبي الوليد دون والده
- ٢٢٠ ١٤ - الرباط الذي يربط الجاحظ بابن أبي دؤاد هو التوحيد
- ٢٢٠ ١٥ - الثناء على القاضي يرجع على المعتصم
- ٢٢٢ هامش رسالة نفي التشبيه ، وكتاب الرد على المشبهة
- ٢٢٧ ٩ - كتاب الرد على المشبهة
- ٢٢٩ ١٦ - معنى التوحيد عدم تجزئة الواحد
- ٢٢٩ ١٧ - ليس موحداً من يزعم رؤية الله بالعين
- ٢٣٠ ١٨ - ليس موحداً من يقول ان الله جسم
- ٢٣٠ ١٩ - بعض المشبهة قالوا ان الله جسم ليخرجوه من العدم
- ٢٣١ ٢٠ - تأويل أصحاب التشبيه لآيات القرآن بصدد الرؤية
- ٢٣١ ٢١ - رد الجاحظ : كبار المفسرين يفسرون الآية
- ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ بمعنى الانتظار .
- ٢٣٤ ٢٢ - القرآن هو الحكم وقد استعظم الرؤية
- ٢٣٥ ٢٣ - دليل المشبهة على ان الله جسم
- ٢٥٧ ٢٤ - رد الجاحظ على دليل المشبهة الأخير



- ٢٣٩ ١٠ - رسالة النابتة
- ٢٣٩ ١ - مقدمة
- ٢٣٩ ٢ - عصر النبي وأبي بكر وعمر وبعض عهد عثمان عهد اجتماع الكلمة
- ٢٤٠ ٣ - ذبول مقتل عثمان
- ٢٤٠ ٤ - كان بوسع الثائرين تجنب مقتل عثمان

- ٢٤٠ ٥ - مواقف الناس من عثمان
- ٢٤١ ٦ - عهد علي بن أبي طالب
- ٢٤١ ٧ - اسباب اعتزال الحسن بن علي
- ٢٤١ ٨ - معاوية يحول الملك الى كسروية
- ٢٤١ ٩ - أخطاء معاوية
- ٢٤٢ ١٠ - إدعاء معاوية الخلافة كفر
- ٢٤٢ ١١ - جرائم يزيد بن معاوية
- ٢٤٣ ١٢ - يزيد يستحق اللعنة
- ٢٤٣ ١٣ - مزاعم النابتة
- ٢٤٤ ١٤ - تناقض النابتة
- ٢٤٤ ١٥ - مخازي عبد الملك بن مروان
- ٢٤٤ ١٦ - بطش عبد الملك بالوفاظ
- ٢٤٥ ١٧ - بعض آنام الأمويين
- ٢٤٥ ١٨ - النابتة تقول بالجبر والتشبيه
- ٢٤٥ ١٩ - النابتة تقول ان القرآن غير مخلوق
- ٢٤٦ ٢٠ - النابتة يتابعون الامام احمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن
- ٢٤٦ ٢١ - كفر النابتة
- ٢٤٧ ٢٢ - الشعوبية ودعواها
- ٢٤٩ هامش رسالة النابتة
- ٢٥٣ ١١ - رسالة الرد على النصارى
- ٢٥٥ ١ - بعض مبادئ المعتزلة
- ٢٥٥ ٢ - مأخذ النصارى على المسلمين
- ٢٥٥ ٣ - القول أن مريم وعيسى إلهين
- ٢٥٦ ٤ - القول أن عزيزاً ابن الله
- ٢٥٦ ٥ - القول ان فرعون طلب من هامان أن يبني له صرحاً
- ٢٥٧ ٦ - القول أن يحيى بن زكريا ليس له سمي

٢٥٧	٧ - القول أن الله لم يرسل انبياء إلا من الرجال
٢٥٧	٨ - القول أن عيسى تكلم في المهدي
٢٥٨	٩ - خطة الجاحظ في الرد على النصارى
٢٥٩	١٠ - الأسباب التي قربت النصارى من المسلمين دون اليهود
٢٥٩	١١ - نزاع الجوار بين المسلمين واليهود في يثرب
٢٦٠	١٢ - إهواء نصارى الحبشة لمهاجري المسلمين
٢٦٠	١٣ - تأويل الآية : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ﴾
٢٦٠	١٤ - تنصر بعض ملوك العرب
٢٦١	١٥ - العلاقات التجارية بين العرب ونصارى الروم والحبشة
٢٦١	١٦ - تفشي النصرانية بين قبائل العرب
٢٦٢	١٧ - ظن العرب أن النصارى أصحاب علم وفلسفة
٢٦٣	١٨ - المراتب الرفيعة التي تبوأها النصارى لدى الخلفاء
٢٦٤	١٩ - التسامح مع النصارى
٢٦٦	٢٠ - دور النصارى في نشر الزندقة والتشكيك بالدين
٢٦٦	٢١ - بعض عقائد النصارى
٢٦٧	- تفشي الخصاص بين النصارى
٢٦٨	٢٢ - بعض عادات النصارى
٢٦٨	٢٤ - الغموض حول حقيقة النصرانية
٢٦٩	٢٥ - الرد على النصارى حول مسألة كلام عيسى في المهدي
٢٧١	٢٦ - الرد على النصارى حول بنوة المسيح
٢٨٠	٢٧ - الرد على النصارى حول فقر الله
٢٨٢	٢٨ - الرد على النصارى حول بنوة حمير
٢٨٢	٢٩ - الرد على النصارى حول كون المسيح روح الله
٢٨٤	٣٠ - خلاف النصارى حول طبيعة المسيح وميلهم الى التشبيه
٢٨٦	هامش كتاب الرد على النصارى
٢٩١	فهرس الاعلام والفرق والأماكن

كشاف آثار الجاهظ



قَدْ مَرَّ لَهَا وَقُبُوبُهَا وَشَرَحَهَا
الدكتور علي أبو مسلم

منشورات
دار و مكتبة أهل البيت



تمهيد

يضم هذا الكتاب فصلين إثنيين : الأول يتناول علاقة آثار الجاحظ بشخصه وعصره ، والثاني يحصي تلك الآثار .

ويشكل الفصل الأول مقدمة عامة ، حرصت فيها على الاستفادة من آراء الجاحظ ذاته حول عصره ومعاصريه . لقد أدلى الجاحظ بآرائه تلك في تضاهيف كتبه ، وهي آراء ذات قيمة كبيرة لأنها شهادة صادقة على ما عاينه وعاناه من أحداث حركت قلبه وحفزته على تأليف العديد من كتبه .

مركز توثيق مكتبة قطر الوطنية

أما الفصل الثاني فهو تعريب لمقالة ضافية كتبها أحد المستشرقين الذين اهتموا بدراسة الجاحظ اهتماماً عظيماً ، عنيت به المستشرق الفرنسي المعاصر شارل بلا صاحب كتاب « الجاحظ ومجتمع البصرة » و مترجم العديد من كتب الجاحظ الى اللغة الفرنسية . بيد ان هذه المقالة - على أهميتها - غدت بعد مرور سبع وعشرين سنة على نشرها ، بحاجة الى إكمال ، لان العديد من كتب الجاحظ طبع وحقق بعد ذلك التاريخ .

وأرجو ان اكون بعلمي هذا قد اسديت خدمة للباحثين والقراء .

الفصل الاول

علاقة آثار الجاحظ

بشخصه وعصره

مركز تحقيقات كميوتير علوم ايسوي



علاقة آثار الجاحظ بشخصه وعصره

ان الزمان كالمكان من العوامل المؤثرة في شخصية الانسان وتفكيره . لقد عمر الجاحظ طويلا ، اذ امتدت حياته على مدى قرن من الزمان ، حفل بالاحداث العظام ، واتخذ منها ابو عثمان مدرسة تلقى فيها الدروس والعبر ، وتحرك قلمه ليسجل انطباعاتها في نفسه وخارجها .

لم تعرف بالضبط سنة ولادته ، قيل انه ابصر النور في البصرة سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٥ هـ ، وجعلها بعضهم سنة ١٥٩ هـ . وارتقى آخرون الى سنة ١٦٣ هـ أو ١٦٤ هـ أو ١٦٥ هـ . والارجح ان يكون عام ١٦٠ هـ هو تاريخ ميلاده الصحيح (١) .

واذا اختلف الدارسون في سنة الولادة ، فانهم متفقون على سنة الوفاة . لقد اجمعوا على ان الجاحظ توفي عام ٢٥٥ هـ في المدينة التي ولد فيها أي البصرة .

يلاحظ أن الجاحظ جاء الى الوجود بعهد قيام الدولة العباسية ، وأن

(١) بنلا ، الجاحظ ومجتمع البصرة ، ص ٩١ ، ونسب ياقوت الى الجاحظ قوله : انا اسن من ابي نواس بسنة ، ولدت لي اول سنة لحسين ومائة ، وولد لي آخرها . انظر ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٤ .

حياته امتدت سحابة العصر العباسي الاول ومطلع العصر العباسي الثاني . هذه الحقبة من تاريخ العرب هي ازهى الحقب واخصبها عطاء ، لانهم استطاعوا فيها ان يقطعوا اشواطاً بعيدة في مضمار الرقي ، وان ينشؤا حضارة عريقة ، وان ينجبوا نوابغ في العلوم والآداب والفلسفة .

تأسست الدولة العباسية على انقاض الدولة الاموية . واسهم الفرس اسهاماً فعالاً في بنائها ، وصبغوها بصبغتهم المميزة من الوجهتين السياسية والاجتماعية . وقد ادرك الجاحظ هذه الحقيقة وعبر عنها بقوله : « وقد يجب ان نذكر بعض ما انتهى اليها من كلام خلفائنا من ولد العباس ، ولو ان دولتهم عجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية اعرابية ، وفي اجناد شامية »^(١)

وارتقى سدة الخلافة اثر سقوط الامويين ابو العباس السفاح ، ولكن خلافته لم تدم سوى اربع سنوات ، اذ توفي عام ١٣٦ هـ ، فبويج أخبوه ابو جعفر المنصور ، فاسس بغداد وجعلها عاصمة الدولة سنة ١٤٥ هـ ، ثم بنى مدينة الرصافة لآبنة المهدي على الجانب الآخر من النهر بعد وثوب الجند عليه ، ليأمن شرهم . ويعتبر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، كان حازماً ، عاقلاً ، عالماً ، مقتصداً ، حسن التدبير ، راغباً عن اللهو ، ماكرأ ، يقظاً ، إنقض على مناوئيه ، فاحمد ثورة الراوندية الذين الهوه ، وتخلص من محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب الملقب بالنفس الزكية ، وكان هذا قد اعتصم بالمدينة واعلن نفسه خليفة . وكذلك قضى على عمه عبدالله بن علي الذي طمع الى الخلافة ودعا الى مبايعته بالشام ، فوجه المنصور اليه ابا مسلم الخراساني فحاربه حتى هزمه . واخيراً جاء دور ابي مسلم ذاته ، وكان المنصور يخاف من سطوته ونفوذه . ويروي الجاحظ حكاية المكيدة التي

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

دبرها المنصور للايقاع بأبي مسلم : دها المنصور بأبي مسلم فلما نظر
اليه داخلاً قال :

فَدِ اَكْتَفَنُكَ خَلَاتُ ثَلَاثُ جَلْبَنُ اَلِهَيْكِ مَحْدُورِ الْجِمَامِ
خَلَاؤُكَ وَاْمْتَاؤُكَ تَرْتَمِينِي وَقُوْدُكَ لَلْجِمَاهِيْرِ الْعِظَامِ

ثم وثب اليه ، ووثب معه بعض حشمه بالسيف ، فلما رأهم
وثب ، فبدره المنصور بضربه ضربة طوحه فيها ثم قال :

إِشْرَبُ بِكَاسٍ كُنْتُ تَسْقِي بِهَا أَمْرٌ فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَقِ
زَعَمْتَ اَنْ السَّيِّدِيْنَ لَا يُقْتَضَى كَذَّبْتَ فَاسْتَوْفِ اَبَا مَجْرَمِ

ثم امر فحز رأسه ، وبعث به الى أهل خراسان وهم يبابه ، فجالوا
حوله ساعة ، ثم رد من شغبهم انقطاعهم عن بلادهم ، واحاطة الاعداء
لهم ، فذلوا وسلموا له (١)

وعلى الرغم من استبداد المنصور وبطشه وغدره فان الجاحظ يراه
داهياً ، أريباً ، مصيباً في رأيه سديداً ، مقدماً في علم الكلام ، ومكثراً
من كتب الآثار ، وله كتاب في الكلام يدور في ايدي الوراقين ، (٢)

وكان المنصور بعيد النظر خبيراً بالشؤون السياسية ، إختط نهجاً
سار عليه والتزمه التزاماً دقيقاً . واذا شئنا معرفة ذلك النهج السياسي
الحكيم ، اعفانا هو مؤونة البحث عنه في كلامه الذي خاطب به بعض
انسبائه من ولد العباس ، اذ اجتمعوا عنده ، فذكروا خلفاء بني امية
وسيرتهم وتدبيرهم ، والسبب الذي به سلبوا عزهم ، فقال المنصور :

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

« اما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي ما صنع ، واما سليمان فكانت همته بطنه وفرجه ، واما عمر بن عبد العزيز فكان اصور بين عميان ، وكان فتى القوم هشام ، ولم تزل بنو امية ضابطين لما مهد لهم من السلطان ، يحوطونه ويحفظونه ، ويصونون ما وهب الله لهم ، مع تساميمهم معالي الامور ورفضهم ادانيها ، حتى افضى امرهم الى ابنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله عز وجل - جهلاً منهم باستدراجه ، وامنأ منهم لمكره ، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الله تعالى ، وحق الرياسة، وضعفهم عن السياسة . فسلبهم الله العز ، والبسهم الذل ، ونفى عنهم النعمة »^(١) .

غير ان المنصور كان يصانع كل من لا يجد فيه خطراً على دولته ، كما كان يعفو عن كل مسيء اذا توسم فيه الفائزة لملكه ، نظير صنيعة بمعن بن زائدة الذي كان يطلبه ، فلما احاط به الراوندية وهموا بقتله ، بادر معن الى نجدة المنصور ، وابلى بلاء حسناً في الدفاع عنه . وكان المنصور لا يعرفه ، فقال له : من انت ؟ اجاب معن : طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة . فقال : قد أمنك الله على نفسك واهلك ومالك ، ومثلك يصطنع . ثم انه احسن اليه وولاه اليمن^(٢) .

وخلف المهدي ابيه المنصور سنة ١٥٨ هـ . وكان يشبهه في الفطنة ، وكان حازماً في الدفاع عن الدين ، ولهذا حارب الملحدين والزنادقة حرباً لا هوادة فيها ، وكان يجلس في كل يوم لرد المظالم ، يحيط به القضاة . وفي ايامه خرج المقنع الخراساني فارسل اليه المهدي جيشاً حصره في قلعة بخراسان مدة طويلة حتى قضى عليه . وقد اشار الجاحظ الى خروج المقنع في خراسان ، وادعائه الربوبية ، وقوله

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

بالتناسخ « وكان المقنع الذي خرج بخراسان يدعى الربوبية ، لا يدع القناع في حال من الحالات . وجهل بإدعاء الربوبية من طريق المناسخة ، فادعاهما من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود ، والمؤمن والكافر ، ان باطله مكشوف كالنهار ، ولا يهرف في شيء من الملل والنحل القول بالتناسخ الا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنع كان قصاراً من اهل مرو ، وكان اصور ، الكن ، فما أدري ايهما اعجب : ادعواه بانه رب ، او ايمان من آمن به وقائل فونه ؟ . وكان اسمه عطاء (١) .

ومع ذلك كان المهدي مولعاً بالقيان وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية يقال لها جوهر اشترها من مروان الشامي ، ودخل عليه هذا الاخير يوماً وجوهر تغنيه فقال مروان :

انت يا جوهرٌ هندي جوهرة في بياض الدرّة المشتهرة
فاذا هنت فناراً أضمرت قدحت في كل عين شررة

فدبت الغيرة في قلب المهدي ، وامر بمروان فدع (*) في عنقه الى ان اخرج ثم قال لجوهر : اطربيني ، وعندما انتهت من الانشاد قال المهدي الابيات التالية التي تدل على شاعريته (٢) :

الا يا جوهرَ القلب لقد زدت على الجوهر
وقد اكملك الله بحسن الدل والمنظر
اذا ما صلت يا احسن خلقي الله بالمزهر
وغنيت ففاح السبب من ريحك بالعنبر

(١) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) المصدر عينه ، ج ٤ ، ص ٦٨ .

(*) دع : دفع (ابن منظور ، لسان العرب) .

فلا والله ما المهديّ اولى منك بالمنبر
فان شئت ففي كفك خلج ابن ابي جعفر^(١)

وخلف الهادي ابا المهدي سنة ١٦٩ هـ ، ولكنه قتل بعد سنة من ولايته بمؤامرة دبرتها امه الخيزران بسبب تضييقه عليها ، فتولى اخوه هارون الرشيد الحكم سنة ١٧٠ هـ . وكان هذا الخليفة فاضلاً عالماً ، كريماً يجزل العطاء للعلماء والفنانين ، وقد استوزر يحيى البرمكي ، ثم استعان بولديه الفضل وجعفر ، وقلدهما الوزارة ، ولكن الرشيد نكهما واستوزر بدلهما الفضل بن الربيع . وقبل موته اوصى بالخلافة لابنه الامين وبولاية العهد لابنه المأمون ، فنشب الخلاف بين الاخوين ، ووقعت الفتنة في بغداد ، وانتهت بزحف المأمون من خراسان على بغداد واحتلالها بعد معارك عنيفة ، وبمصرع الامين وبمبايعة المأمون بالخلافة سنة ١٩٨ هـ^(٢) .

كان المأمون الخليفة العباسي الاول الذي اتصل به الجاحظ ، والارجح ان يكون اتصاله به قد تم بعد اعتلائه سدة الخلافة وانتقاله الى بغداد اي في بداية القرن الثالث الهجري . وقبل هذا التاريخ كان الجاحظ بعيداً عن قصر الخلافة في بغداد ، يعيش في البصرة منصرفاً الى تحصيل العلم ، وكسب الرزق ، مغموراً يحاول شق طريقه في عالم التأليف والفكر والادب ، دون ان تلقى مؤلفاته رواجاً كما يخبرنا . واتصال الجاحظ بالمأمون يعتبر حدثاً بالنسبة للجاحظ ، اذ به ينتهي عهده الاول في البصرة : عهد التحصيل ، والفاقة ، وخمول الذكر ، ويبدأ

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٦٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ط ٢) ، ج ٩ ، ص ١٢٧ .

عهد في بغداد ، عهد العطاء ، والغنى والشهرة . في هذا العهد الذي استمر نحو نصف قرن من الزمان عاش الجاحظ مقرباً من قصر الخلافة ، حائزاً على رضا اصحاب السلطان يخدمهم بقلمه ويحظى منهم بالرعاية والمطف والاموال والهبات .

ويخبرنا الجاحظ ان المأمون امر بتأليف كتب تعالج موضوع الخلافة فاستجاب له أبو عثمان وصنف كتباً في الامامة ، فكلف المأمون اليزيدي (٢٥٥ هـ) بالنظر فيها وتقديم تقرير عنها . ويستفاد من كلام الجاحظ ان الخليفة وجد هذه الكتب على ما امر به عندما اطلع عليها ، ويبدو ان هذه الكتب كانت السبب في اتصال الجاحظ بالمأمون . وعندما صار اليه قال له مفرطاً مصنفاته تلك : وقد كان من يرتضي عقله ويصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلنا له : قد تربى الصفة على العيان فلما رأيتها رأيت العيان قد اربى على الصفة (١) .

لم يقنع المؤرخون برواية الجاحظ التي تشير الى سبب اتصاله بالمأمون ، فذهبوا الى ان معتزلة كشيامة بن اشرس وغيره هم الذين مهدوا الطريق له الى البلاط . وكانوا ذوي حظوة عند المأمون اتخذهم مستشارين له واعواناً . وقالوا ان المأمون لم يقتصر على ابداء اعجابه بكتب الجاحظ وانما عينه رئيساً لديوان الرسائل ، غير ان الجاحظ لم يمكث في منصبه الهام هذا سوى ثلاثة ايام ، اذ استعفى منه (٢) .

اصبح الجاحظ في عهد المأمون من الرجال المقربين يتردد الى اولي الامر ويجتمع بهم ويطلع عن كتب على ما يجري في اروقة الخلافة من مناظرات ولقاءات واحاديث . وقد رسم في كتبه صورة دقيقة عن ذلك الخليفة العظيم . فهو عالم متفلسف واسع الثقافة عميق المعرفة قوي

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٢ .

(٢) بالقوت ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

الحجة بارع الجدل يناظر الادباء والفلاسفة ويفوقهم علماً وقدره على
الاقناع . انه مثلاً يخطيء سهل بن هارون الذي سمعه يقول : « ان من
اصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين ان يرغبوا فيه ، وانه قد يرغب عن
بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال ، فيجيبه قائلاً : « قد يسمى
بعض الشيء علماً وليس بعلم . فان كنت هذا اردت فوجهه الذي
ذكرناه . ولو قلت : العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ذلك كان عدلاً
وقولا صدقاً ، وقد قال بعض العلماء : اقصد من اصناف العلم ما هو
اشهى على نفسك واخف على قلبك ، فان نفاذك فيه على حسب
شهوتك له وسهولته عليك . وقال ايضاً بعض الحكماء : لست اطلب
العلم في بلوغ غايته والوقوف على نهايته ، ولكن التماس ما لا يسع
جهله ولا يمس بالعاقل اغفاله . وقال آخرون : « علم الملوك النسب
والخبر وحمل العفة ، وعلم التجار الحساب والكتاب ، وعلم اصحاب
الحرب درس كتب المغازي وكتب السير ، فاما ان تسمى الشيء علماً
وتنهي عنه من غير ان يكون يشغل عما هو ارفع منه ، بل تنهي نهياً جزماً
وتأمر امرأ حتماً فلا ! والعلم بصير وخلافه العمى ، والاستبانة للشر ناهية
عنه ، والاستبانة للخير آمرة به » (١) .

يتضح من كلام المأمون مذهبه الفكري الحر . فهو يدعو الى العلم
مهما كان نوعه وموضوعه لانه بمثابة البصر ، يميز به الانسان الخير من
الشر ، ولا ينبغي ان يحرم منه احد . وهو مع ذلك يعترف بأن ادراك
غايته شيء عسير لانه بحر لا يعرف غوره . ولهذا ينبغي ان يهتم المرء
بما هو شهى على قلبه من العلوم ، كما يشير الى ضرورة التخصص في
العلم . ولا شك في ان رد المأمون على سهل بن هارون قد بلغ غاية
البلاغة . وقد اعترف ابن النديم بعلم المأمون فقال عنه « اعلم الخلفاء

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧١ .

بالفقه والكلام . . . له في الكتب كتاب الاسلام والتوحيد ، وكتاب اعلام النبوة (١) .

ثم ان المأمون خليفة المسلمين حقاً يدافع عن الاسلام ، وقد اثبت الجاحظ مناظرة طريفة جرت بينه وبين احد المرتدين ، اسلم ثم ارتد الى النصرانية. وعندما سأل المأمون عن سبب ارتداده قال : اوحشني كثرة ما رأيت الاختلاف فيكم ا فرد المأمون قائلاً : ولنا اختلافان : احدهما الاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز ، والاختلاف في التشهيد ، وصلاة الاعياد ، وتكبير التشريق ، ووجوه القراءات ، واختلاف وجوه الفتيا وما اشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ، انما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة والاختلاف الاخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا مع اجماعتنا على اصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر . فاذا كان الذي اوحشك هذا حتى انكرت من اجله هذا الكتاب ، فقد ينبغي ان يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقاً على تأويله ، كما يكون متفقاً على تنزيله ، والا يكون بين النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات . وينبغي لك ان لا ترجع الا الى لغة لا اختلاف في تأويل الفاظها . . . (٢) .

نستدل من كلام المأمون على سعة صدره وتبحره بامور الفقه والكلام ونظرة المتسامحة الى مظاهر الاختلاف بين المسلمين . لقد عزا الاختلافات الكثيرة الى سببين : الاول هو الشكل كالقراءات والتشهاد والاذان وتكبير الجنائز وصلاة الاعياد . والاخر هو التأويل الذي اعتبره ظاهرة طبيعية هائدة الى طبيعة اللغات التي لا تخلو من الفاظ مبهمة

(١) ابن النديم ، الفهرست (المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ ، د . ط .) ص ١٦٨ .

(٢) اثبت تلك المناظرة في البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٢ - ٧٤ .

تحتاج الى شرح وتفسير . وهو يرى ان هذا الاختلاف ليس ذا خطر لانه لا يتناول وجود الكتاب والسنة وانما يتعلق بفهمهما . هذا المفهوم للتأويل لا يختلف عن المفهوم الذي سنجدده عند المتأخرين امثال ابن رشد^(١) .

ان سياسة المأمون القائمة على الحرية والاقناع والحوار وفرت للناس الاسباب التي أدت الى التعبير عن آرائهم مما ادى الى كثرة الفرق وسفور الزنادقة عن وجوههم والتقلب بين المذاهب . يؤكد ذلك الحوار الذي اجراه المأمون مع احد الزنادقة واثبته الجاحظ^(٢) .

قدم المأمون اهل العلم ورجال الفكر والادب امثال الجاحظ وثمامة ابن اشرس المتكلم المعتزلي ، وبختيشوع بن جبريل وسلمويه وابن ماسويه اشهر اطباء العصر ، وسهل بن هارون وأبي العتاهية وغيرهما من الادباء والشعراء . وكان يناقشهم في المسائل العويصة وكثيراً ما يخالفهم الرأي ، ويتسامح معهم فيما يصدر عنهم من اختلاف عن رأيه . لقد هجاه دعبل الخزاعي فاخبره احدهم بذلك فاجابه : « من اقدم على هجاء ابي عباد كيف لا يهجونني ؟ ومعنى ذلك ان من اقدم على هجاء ابي عباد المعروف بحدته ونزقه ، كيف لا يقدم على هجاء المأمون بحلمه ومحبته للصفح^(٣) .

والخلاصة ان المأمون كان عالماً فطناً كريماً تميز عهده الذي استمر عشرين سنة بالأمور التالية : اهتم بالفلسفة والعلوم ، وأمر بنقل

(١) يقول ابن رشد : « ومعنى التأويل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية . فصل المقال (دار المعارف بمصر ، تحقيق محمد عمارة ، ١٩٧٢ ، د . ط .) ص ٣٢ .

(٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ .

(٣) ابن العلقمي ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٢٦ .

الكتب الأجنبية إلى العربية ، وأرسل من أجل ذلك البعثات للتفتيش عنها في مظاهها ، وأسس بيت الحكمة وجعله مركزاً للترجمة والبحث .

٢ - مال إلى المعتزلة ، وايدهم بقولهم في خلق القرآن ، وامتحان الناس في ذلك ، فاشخص الفقهاء وطلب منهم ان يعلنوا موقفهم من هذه المسألة ، واكفر من قال منهم ان القرآن غير مخلوق ، ومنهم احمد ابن حنبل .

٣ - نقل الدولة من بني العباس الى اولاد علي بن ابي طالب وامر الناس بتغيير لباس السواد بلباس الخضرة . وبرر عمله هذا بانه نظر الى اعيان البيتين المذكورين ، فلم ير فيهم اصلح ولا افضل ولا اورع من علي بن موسى الرضا ، فعهد اليه بذلك ، كتب كتاباً بخطه والزم الرضا ، فامتنع هذا ثم قبل ووقع الكتاب امثالاً للامر^(١) .

ولما توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ خلفه اخوه المعتصم ، فسار سيرته في تكريم رجال الفكر والادب ، وفي تقريب المعتزلة ، ولكنه بالغ في محنة خلق القرآن حتى انه اقدم على تجلد الامام احمد بن حنبل لرفضه القول بخلق القرآن .

كان المعتصم رجل شدة وحرب ومروءة . جرت بينه وبين الروم معارك طاحنة حالفه فيها النصر ، اشهرها معركة عمورية . واقدم على عمل كان له اخطر الاثر على مستقبل الدولة العباسية هو الاكثار من العنصر التركي في جيشه ، والاعتماد عليه دون سائر العناصر ، مما ادى الى غلبة الاثراك على العسكر واستبدادهم بالحلفاء وعيبتهم بمقدرات السلطة والشعب منذ عهد المتوكل حتى قيام الدولة البويهية عام

(١) السعدي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢٤ .

٣٣٢ هـ . وهو الذي بنى سامراء ونقل اليها الجند الاتراك بعدما ضج الناس من أذاهم في بغداد . ويروي المؤرخون خبراً طريفاً عن بنائها^(١) .

هذه المدينة التي اتخذها المعتصم مقره الثاني بعد بغداد لم تستهوَ الجاحظ فلم يذكرها الا نادراً وربما قدمها بزيارات .

اهم ما يلفت النظر في عهد المعتصم بالنسبة للجاحظ علاقته باحد الوزراء المدعو محمد بن عبد الملك الزيات الذي ترك اثراً عظيماً بتاجه . كان ابن الزيات اديباً متضلماً باللغة ، وقد رفعه ابيه الى كرسي الوزارة حسب رواية ابن الطقطقي صاحب تاريخ الدولة الاسلامية . اتخذ المعتصم الفضل بن مروان وزيراً له ، ولكن جهله ورداءة سيرته حملت المعتصم على مصادرة ماله وعزله ، واستوزر مكانه احمد بن عمار الذي كان طحاناً جاهلاً بأداب الوزارة . وقيل ان المعتصم سأله معنى كلمة كلاً الواردة في بعض الرسائل فلم يدر ، فدعا محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان احد خواصه واتباعه فسأله عن الكلاً فقال : اول النبات يسمى بقل ، فاذا طال قليلاً فهو الكلاً ، فاذا يبس وجف فهو

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ ، ابن الطقطقي ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٣١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ١٨ - ٢٢ : (لما استكثر المعتصم من المال يك ضاقت بهم بغداد وتآذى بهم الناس وزاحمهم في دورهم وتعرضوا للنساء ، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة ، فركب المعتصم يوماً فلقبه رجل شيخ ، فقال المعتصم : يا ابا اسحق ! فاراد الجند ضربه ، فمنعهم المعتصم وقال له : ما لك يا شيخ ؟ فقال : لا جزاك الله خيراً عن الجوار ا جاورتنا مدة فرأيناك شر جار ، جثتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فأسكتهم بيننا ، فايتمت بهم صبياننا ، وارملت نساءنا . واللهم لنقاتلنك بسهام السحر ، يعني الدعاء ، والمعتصم يسمع ذلك ، فدخل منزله ، ولم يبر ركباً الا في يوم مثل ذلك اليوم ، فركب وصل بالناس العيد ، وسار الى موضع سامراء فبناها ، وكان ذلك في سنة ٢٢١ هـ .

الحشيش . فقال المعتصم لاحمد بن عمار : انظر انت في الدواوين ، وهذا يعرض علي الكتب . ثم استوزره وصرف ابن عمار صرفاً جميلاً^(١) . وبقي ابن الزيات في الوزارة حتى وفاة المعتصم فلما تولى الواثق الحكم اقره في منصبه ، فلما خلف المتوكل قبض عليه وقتله بسبب سوء معاملته اياه زمن الواثق^(٢) .

اتصل الجاحظ بابن الزيات فقربه وتوثقت علاقته به ، واقطعه اربع مائة جريب في الاعالي^(٣) ، وهي مساحة تدر عليه مالاً وفيراً ، وتؤمن له عيشاً رغيداً ، هذا عدا الجوائز التي كان ينالها من الوزير علي الكتب التي كان يهديه اياها . لقد اهداه كتاب الحيوان او جزءاً منه فاجازه بخمسة آلاف دينار^(٤) .

بيد ان علاقة الجاحظ بابن الزيات لم تكن دائماً علاقة مودة وصفاء ، وانما كان يتخللها الجفاء والشحناء . يدلنا على ذلك رسالة وجهها الجاحظ الي ابن الزيات يعاتبه فيها على جفائه ، ويتهمه بتدبير حبسه وقتله ، ويسأله الرفق به . ونحن لا نعرف سبب هذه العداوة التي اظهرها الوزير للجاحظ ، والجاحظ نفسه يتجاهل سرها وان كان يلمح الي ان ابن الزيات غضب عليه لتفضيله النخل على الزرع وعدم دفع الاتاوة او تحمل الجزية . ويرفض الجاحظ ان يكون مثل هذا الذنب يستحق مثل هذه الموجدة من الوزير ، ويدعو صاحبه الي التزام جانب العدالة في احكامه والتثبت من ادلة الاتهام ، والتمييز بين الهفوة والاصرار والخطأ والعمد . ويطلب منه العفو لان العفو امثل من الانتقام ، ولان

(١) ابن الطقطقي ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٣٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ١٥٤ .

(٣) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٥٠ ط) ، ص ٦٩ .

(٤) معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ .

الجاحظ وابن الزيات من اصحاب نحلة واحدة هي الاعتزال ، وللجوار ،
ولكبر سنه ، وللخدمات الكثيرة التي اداها الجاحظ لابن الزيات في
الماضي^(١) .

ويعتبر عهد الواثق الذي خلف المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ، عهد عز
وخير بالنسبة للجاحظ وسائر المعتزلة ، اذ كانت مكانتهم عالية وعقيدتهم
محترمة ، لقد غلب عليه القاضي احمد بن ابي دؤاد قاضي القضاة ،
ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، وكلاهما معتزليان . فكان لا
يصدر إلا عن رأيهما ولا يخالفهما فيما رأياه^(٢) . وتابع والده في محنة خلق
القرآن .

ولكن الحال تغيرت بعد موت الواثق وتسلم المتوكل سدة العرش
سنة ٢٣٢ هـ . ولقد احدث المتوكل انقلاباً في سياسة الدولة ، فغضب
على الشيعة ، وضيق عليهم ، وامر بحرق قبر الحسين^(٣) . كما ابعد
المعتزلة وقرب اهل السنة الجماعة ، ونهى عن الكلام في القرآن ،
واطلق من كان مسجوناً بسبب هذه التهمة ، وكساهم « وكتب الى الافاق
كتباً ينهي عن المناظرة والجدل فأمسك الناس »^(٤) ، وغضب على أهل الذمة
وضيق عليهم^(٥) .

عملاً بهذه السياسة الجديدة نكب المتوكل ابن الزيات كما نكب
محمد بن ابي دؤاد ، فعزل القاضي من منصبه وصادر ضياعه وامواله

(١) رسالة في الجدل والهزل (ضمن رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢٣١ - ٢٧٨) .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ .

(٤) اليعقوبي ، التاريخ ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، د . ط) ج ٢ ، ص

٤٨٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ص ١٧٣ .

واحضره الى بغداد فلم يقم الا قليلاً ومات وعين مكانه اكثم التميمي المتعصب لاهل السنة^(١) .

اتصل الجاحظ بالمتوكل ، وكان سبب ذلك الاتصال انه ذكر لتأديب بعض اولاده ، فاستدعاه الى القصر ، فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه^(٢) . ومعنى ذلك أن اتصال الجاحظ بالخليفة كان عابراً ، فلم تثبت علاقته به كما تثبتت باسلافه ، اي المأمون والمعتصم والواثق . لم يبال المتوكل بالجاحظ ، بل كرهه واشمأز من بشاعته وامر بابعاده . ولا نظن ان بشاعته وحدها كانت السبب في اقصائه من قصر الخلافة ، فلا بد من اسباب اخرى أهم منها دفعت المتوكل الى ذلك الموقف من الجاحظ .

واذا لم يحالفه الحظ في التقرب من الخليفة ، فقد وفق إلى كسب ود المقرين اليه او اصحاب السلطة امثال احمد بن ابي دؤاد (٢٣٩ هـ) وابنه محمد (٢٣٩ هـ) والفتح بن خاقان (٢٤٧ هـ) وابراهيم بن عباس الصولي (٢٤٣ هـ) .

اما احمد بن ابي دؤاد فقد كان يشغل منصب قاضي القضاة منذ عهد المعتصم ، ولم يكن الجاحظ على علاقة حميمة به لانه كان منقطعاً الى ابن الزيات ، مما أوجز صدر القاضي ، فلما فتك المتوكل بابن الزيات خاف الجاحظ وهرب الى البصرة متوارياً عن انظار القاضي احمد ابن ابي دؤاد . فلاحقه رجال القاضي حتى قبضوا عليه وساقوه مكبلاً الى سيدهم في قميص سمل وفي عنقه سلسلة . فلما مثل بين يديه قال القاضي : وما علمتك الا متناسياً للنعمة كفوراً للصنعة ، معدنا

(١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان (النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٤٨ ، ط) ج ٣ ، ص

للمساويء ، وما فتني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد
طوبتك ورداءة طبيعتك وسوء اختيارك وغالب ضعفك ، فقال الجاحظ :
خفض عليك ايدك الله ، فوالله لان يكون لك الامر علي خير لي من
يكون لي عليك ، ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان
احسن فتسيء ، ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل لك من الانتقام
مني ، فقال : احمد الله ما علمتك الا كثير تزويق الكلام ، فحل عنه
الغل والقيد واحسن اليه وصدره في المجلس وقال : هات الان يا ابا
عثمان حديثك^(١) .

وانقطع الجاحظ الى القاضي منذ ذلك الحين وقدم اليه كتاب البيان
والتبيين فاجازه بخمسة آلاف دينار^(٢) . والراجح انه قدم اليه جزءاً من
هذا الكتاب الذي انتهى من تصنيفه بعد كتاب الحيوان ، وجاء بحثاً في
فلسفة اللغة والادب ولم يتعرض للمسائل الكلامية والسياسية .

غير ان القاضي اصيب بالفالج وتخلي عن منصبه لابنه محمد
فقرب الجاحظ وحظي لديه وكتب له عدة رسائل منها : رسالة « المعاد
والمعاش » ورسالة في نفي التشبيه ورسالة الفتيا .

اما الرسالة الاولى فتدور حول الآداب او الاخلاق التي اجمعت
الامم على محاسنها والتي تنفع المرء في معاشه ومعاده ، اي في دنياه
وآخريته . كتبها بأسلوب جعل من نفسه مرشداً يعظ القاضي ويدله على
معامد الاخلاق .

ولم يقف الجاحظ عند ذكر الخلال الحميدة التي ينبغي ان يتحلى

(١) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٦٩ - ٧٠ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج
١٦ ، ص ٧٩ . المرتضى ، الامالي (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، د .
ط .) ج ١ ، ص ١٩٥ .
(٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ١٠٦ .

بها المرء وانما ذهب ابعد من ذلك محاولاً سبر اغوار النفس الانسانية التي اعتبرها منبع الاخلاق . وهو يقول انسجاماً مع فلسفته العامة ان الاخلاق طباع ، كما قال ان المعارف طباع . وذهب الى ان سلوك الانسان يرد الى طابعين هما الرغبة والرغبة وعنهما تصدر جميع الصفات كالايشار والعدل والاقتصاد والصدافة والشجاعة ، التي يتكلم عنها بتوسع (١) .

واما الرسالة الثانية « في نفي التشبيه » فتتضمن تحريضاً على المشبهة وذماً لهم ، وتصدر عن رغبة في الكسب والتزلف . ونرى الجاحظ كثير التذمر من العوام الذين اشتد اذاهم على المتكلمين والخاصة ، وهؤلاء قالوا بالتشبيه فوقعوا في الائم والفحش ، وهم يتألفون من المقلدين والسفلة والطغام والذين ينطبق عليهم قول واصل ابن عطاء : « ما اجتمعوا الا ضروا ولا تفرقوا الا نفعوا » وقول علي بن ابي طالب « نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا (*) واذا تفرقوا لم يعرفوا » (٢) .

وربما عنى بهؤلاء العوام الحشوية الذين حرّموا الكلام واعتبروه بدعة حتى انهم اسقطوا شهادة المعتزلة واخافوا علماء الكلام . وبما ان التشبيه يخالف عقيدة المعتزلة الذين شددوا على التوحيد المنزه ، لهذا يدعو الجاحظ القاضي الى الضرب على ايديهم قائلاً : « وهذا المذهب ينتحل طريقنا ويسلك سبيلنا جور شديد ومذاهب قبيحة وتقرب فاحش . وليس ينبغي لديان ان يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم . فمتى اذن تزول التقية ويجب اظهار الحق

(١) رسالة المعاد والمعاش (ضمن رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٩٥) .

(٢) رسالة في التشبيه (رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢٨٣) .

* لم يملكوا : لم يجمعوا على رئيس .

والنصرة للدين والمباينة للمخالفين ؟ احين يموت الخصم ويبعد اثره ويهلك عقبه ويقل ناصره ويزول جميع الخوف ويكون على يقين من السلام ، وكيف يكون القائم حينئذ بالحق مطيعاً ولله معظماً^(١) .

ويرى الجاحظ ان واجبه كرجل فكر وصاحب عقيدة ان ينشر ما عنده من الافكار بغية اصلاح الناس وهدايتهم الى الحق : « حرام على كل متكلم عالم وفقه مطاع وخطيب مفوه ان كان عنده من الامر شيء الا ان يأتيهم به ويذكرهم بما عنده قل ذلك او اكثر . . . »^(٢) .

وبهذا الدافع ، اي بصفته ملتزماً بمبدأ ، صنف الجاحظ كتابه في التشبيه سائلاً القاضي ان ينشره بين الناس ليفيدوا منه وليطلعوا عليه . ان هذه الرسالة خطيرة الشأن تبين لنا جملة حقائق اهمها :

- ١ - اشتداد الصراع بين المعتزلة من جهة واهل السنة من جهة ثانية .
- ٢ - التزام الجاحظ بالاعتزال واندفاعه لنشره والدفاع عنه والنضال في سبيله ، واللجوء الى مختلف الوسائل لبلوغ غايته بما في ذلك تحريض السلطة على الخصوم .

واما رسالة الفتيا فليست سوى كلمة اهداء يقدم بها القاضي محمد ابن ابي دؤاد كتاباً صنفه في موضوع الفتيا لم يصل اليها . وموضوعه كما يقول الجاحظ ليس كلاماً في الطفرة والمداخلة ولا في الجوهر ، بل هو بحث في الكتاب والسنة . وهو يرى ان اكثر الكتب نفعاً واحسنها موقعاً كتب الله ، التي تنطوي على الرحمة والهدى والاخبار عن كل عبرة ، والتعريف لكل حسنة وسيئة^(٣) .

بعد وفاة القاضي محمد بن ابي دؤاد سنة ٢٣٩ هـ ، راح الجاحظ

(١) المصدر عينه ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٢) رسالة في التشبيه (رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

(٣) رسالة في الفتيا (رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢١٦) .

يفتش عن سند آخر من أولي الامر يفيء الى ظله ويساوي اليه في الملمات ، فوجد ذلك السند متمثلاً بشخص الفتح بن خاقان الذي وزر للمتوكل وقتل معه سنة ٢٤٧ هـ . كان الفتح اديباً شاعراً ذكياً مهتماً كالجاحظ بجمع الكتب شغوفاً بمطالعتها^(١) ، وكان له مكتبة عامرة ، وترك مصنفات عديدة اهمها كتاب اختلاف الملوك وكتاب الروضة والزهر وكتاب الصيد والجراح .

اهدى الجاحظ الفتح بن قاخان كتاب « مناقب الترك وجماعة جنود الخلافة » . وهو يرمي ، كعادته من اهداء الكتب الى التقرب من الفتح ونيل انعامه باعتباره من اصل تركي . الرسالة تدور كما يتضح من عنوانها حول مناقب الترك ، ولكنه لم يبخص سائر العناصر التي يتكون منها المجتمع العباسي من خراسانيين وعرب وبنويين حقوقهم . فاثبت مناقب كل عنصر منهم ، وركز على الخلة التي اشتهر بها الاتراك وهي الفروسية التي اسهب في شرحها والتنويه بها . وقد زعم ان عنايته في تصنيف هذا الكتاب هي التأليف بين قلوب هذه الشعوب ان كانت مختلفة ، وزيادة اللفة بينهم ان كانت مؤتلفة ، والاخبار عن اتفاق اسبابهم لتجتمع كلمتهم^(٢) .

ويصرح انه لا يريد ان يببالغ في المديح او يسرف في الهجاء لان الكتاب اذا شابه الكذب والتزيد بدا عليه التكلف واضحى كلامه ممجوجاً مستكراً . ويرى ان انفع المدح للمدح والممدوح واحسنها هي تلك التي تباعد عن الكذب وتوافق الواقع . وفي هذا المبدأ خالف الجاحظ سنة الشعراء المداحين الذين اسرفوا في التملق والكذب .

ويخبرنا انه كتب هذه الرسالة ايام المعتصم ولكنها لم تصل الى

(١) المرتضى ، الامالي ، ج ١ ، ص ١٩٤

(٢) مناقب الترك (رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢٩) .

الخليفة لاسباب لم يذكرها بطول شرحها بزعمه . فرأى مناسباً ان يهديها الى الفتح بن خاقان لان الحاجة اليها لا تزال ماسة . والجاحظ في ذلك يصدر عن منهجه السياسي الذي اعتمده طيلة حياته ولم يحد عنه ، وهو يقضي بالتقرب الى الدولة ورجالها وعدم الابتعاد عنهم او مهاجرتهم . وبما ان المعتصم هو الذي قدم العنصر التركي واكثر منه في جيشه فقد ألف الجاحظ هذا الكتاب الذي يرضي نزعة المعتصم ويؤيد سياسته ، وبما ان الفتح بن خاقان تركي الاصل فقد وجد صاحبنا من الملائم اهداءه هذا الكتاب ايضاً .

ونستطيع بناء على هذا ان نفسر الدافع الذي حمله على تصنيف رسالتين هامتين اخريين في هذا العهد هما : « رسالة في ذم الكتاب » و « رسالة في الرد على النصارى » . فالمؤرخون يخبروننا ان المتوكل قد سخط على الكتاب ونكبهم وراح يستبدل الواحد منهم بالآخر . وقال لاسحق بن ابراهيم : انظر لي رجلين ، احدهما لديوان الخراج والآخر لديوان الضياع فقال : هما عندي : يحيى بن خاقان وموسى بن عبد الملك بن هشام . وكان يحيى محتجوساً مثل اسحق باموال كان يطلب بها في ولاية فارس ، وموسى محتجوساً ايضاً . فاحضرهما فولى يحيى بن خاقان ديوان الخراج وموسى ديوان الضياع . وعندما سخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع عين مكانه عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٤٧ هـ) ، وكذلك سخط على نجاح بن سلمة الكاتب لانه كان يتنسخ باموال الناس فقبض عليه وسلمه الى موسى بن عبد الملك بن هشام صاحب ديوان الخراج والى الحسن بن مخلد بن الجراح صاحب ديوان الضياع فعذبه الاول اياماً حتى توفي وصودرت ضياعه ودوره وامواله (١) .

(١) (اليقطيني ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ - ٤٩٢ .

ومجارة لسخط الخليفة الف الجاحظ رسالته الشهيرة في ذم اخلاق الكتاب . وفيها يشن عليهم حملة لا تترك لهم محمداً ولا تستر عيباً . يستعرض تاريخهم فيجده حافلاً بالمخازي . منهم اول مرتد في الاسلام عبدالله بن سعد بن ابي سرح . ومنهم معاوية بن ابي سفيان الذي استكتبه النبي خلفاً لعبد الله المذكور فكان اول من غدر في الاسلام بامامه وقضى على الايمان بأمامه . ومنهم زياد ابن ابيه الذي كان شر ناشئ . في الاسلام اذ نقضت في دعوته السنة وظهرت في عهده الجبرية . ثم استكتب الخليفة عثمان بن عفان مروان بن الحكم فخانه في خاتمه واشعل الرعية حرباً عليه . وكتب سالم لهشام بن عبد الملك فكان اشد الناس غلظاً واضعفهم رأياً ، وكتب عبد الحميد لبني مروان فتعامل على نصر بن سيار حتى ثارت به خراسان وزالت دولة الامويين . وكتب عبدالله ابن المقفع لبني العباس فاخبر بهم عبدالله بن علي فظن له وقتل وهدم البيت على صاحبه . (١)

بعد هذه الصفحة التاريخية السوداء يتقل الجاحظ الى صفحة اخلاق الكتاب فيجد طبائعهم لثيمة ، فهم ييغضون بعضهم البعض ، وهم قاصرو الثقافة ضيقوا افق التفكير بحيث ان احدهم « اذا صارت الدواة امامه وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم ملحه ، وروى لبزرجمهر ولاردشير عهده ولعبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع اديه وصير كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر كليله ودمنة كنز حكمته ، ظن انه الفاروق (*) الاكبر في التدبير ، وابن عباس في العلم والتأويل ، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام ، وعلي بن ابي طالب في الجرأة على القضاء والاحكام ، وابو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة ، وابراهيم بن سيار

(١) رسالة في ذم اخلاق الكتاب (رسائل الجاحظ ، ج ٢ ، ص ١٨٩ وما بعدها) .

(*) الفاروق : لقب الخليفة عمر بن الخطاب .

النظام في المكائنت والمجانسات ، وحسين النجار في العبادات والقول
بالاثبات ، والاصمعي وابو عبيدة في معرفة اللغات والعلم
بالانساب . . .» (١) .

وهو يرميهم بتهمة خطيرة هي الزندقة فهم يطعنون على القرآن في
تأليفه ، ويزرون عليه تناقضه ، ويكذبون الاخبار ، ويهجون ناقلها « ولم
ير كاتب قط جعل القرآن سميره ولا علمه تفسيره ولا التقية في الدين
شعاره ولا الحفظ للسنن والاثار عماده » (٢) .

والغريب هو ان المعتزلة يشاطرون الجاحظ رأيه في الكتاب . فهو
يخبرنا ان ثمامة بن اشرس سئل يوماً عن عمرو بن مسعدة فأجاب : « ما
رأيت قوماً نفرت طبائهم عن قبول العلوم وصغرت هممهم عن لطائف
التمييز ، فصار العلم سبب جهلهم ، والبيان علم ضلالتهم ، والفحص
والنظر قائد عينهم ، والحكمة معدن شبههم اكثر من الكتاب » .

ثم يذكر الجاحظ رأي احد شيوخ المعتزلة ، ابي بكر بن
الاصم (٢٣٧ هـ) ، في ابن المقفع حيث يقول : ما رأيت شيئاً الا
وقليله اخف من كثيره الا العلم ، فانه كلما كثر خف محمله . وقد رأيت
عبد الله بن المقفع في غزارة علمه وكثرة روايته كما قال الله عز وجل
ذكره : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ قد اوهنه علمه واذهله حلمه وأصمت
حيرته بصيرته (٣) . ويعقد شيوخ المعتزلة اجتماعاً يضم بشر بن المعتمر
والمردار وثمامة والعلاف وآخرين ، فيتذاكرون العوام واستحواذ الفتنة
عليهم في التقليد ، وعدم اقرارهم بالحقيقة ، وتعلقهم بالظواهر ،

(١) رسالة في ذم اخلاق الكتاب (رسائل الجاحظ ، ج ٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢) .

(٢) المصدر عينه ، ج ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) المصدر عينه ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

ويتهون الى الاجماع على القول ان الدليل على ندالة طبع العوام هو اكبارهم للكتاب^(١).

ويبلغ من حقد الجاحظ على الكتاب انه ألف رسالة ثانية طويلة في واحد منهم هو احمد بن عبد الوهاب اسمها « رسالة التربيع والتدوير » ويهزأ فيها منه ويصوره تصويراً كاريكاتورياً . فهو مربع مدور ولكنه جاهل احمق لا يفهم شيئاً ويدعي معرفة كل شيء ثم يطرح عليه مائة مسألة في الفلسفة والطبيعيات والتاريخ واللغة فلا يجد جواباً .

وهكذا يمكن ان نعزو نقمة الجاحظ على الكتاب الى الاسباب التالية :

- ١ - مجازاة المتوكل في سخفه على الكتاب .
- ٢ - التأثير بموقف المعتزلة وظنهم السيء بهم .
- ٣ - عامل شخصي يعود الى تجربة الجاحظ في مطلع حياته مع الكتابة في الديوان . لقد جعله المأمون رئيس الديوان ، ولكنه استعفى من منصبه بعد ثلاثة ايام لانه على الأرجح لم يطق حياة الدواوين وما تفرض من رصانة ووقار ومهابة وهو الانسان القبيح المنظر الضاحك المزاج .

اما رسالة الجاحظ في الرد على النصارى فتعكس ايضاً سياسة الدولة في عهد المتوكل . لقد غضب هذا الخليفة على اهل الذمة فضيق عليهم وامر النصارى سنة ٢٣٥ هـ بان يلبسوا ثياباً مميزة عسلية اللون ، ومنعهم من ركوب الخيل والبراذين والاقنصار على ركوب البغال والحمير بركب^(*) الخشب والسروج ذات الأكر ، كما امر بان يضعوا على ابوابهم

(١) المصدر عينه ، ج ٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(*) الركب جمع ركاب وهو ما يعلق بالسرج الذي يوضع على ظهر الدابة لتجعل فيه الرجل (ابن منظور ، لسان العرب) .

خشباً فيها صور الشياطين^(١) .

لم يكن المتوكل اول من اصدر تعليمات خاصة بشأن لباس اهل الذمة وركوبهم . فلقد سبقه هارون الرشيد الذي امر بأن يؤخذ اهل الذمة في مدينة السلام بمخالفة هيتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم ، فأخذوا بأن يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط ، وبأن تكون فلانسهم مضربة ، وان يجعلوا شركاء نعالهم متينة ، وان يتخذوا على سروجهم في موضع القرايس مثل الرمانة من خشب ، وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ، ولا يركبن نصراني ولا يهودي على سرج بل على اكاف^(٢) .

ويشير الجاحظ الى ان العادة هي ان يلبس الذمي ثياباً مرقطة ويعطى براءة ذمة لدفعه الضريبة المفروضة عليه تعلق في عنقه او تختم بها عنقه ، وان يحمل اسماً مميزاً مثل ميشا او شلوما او آذين^(٣) .

بيد ان هذه الاوامر المتشككة لم تشر إلا قليلاً كما يقول آدم متز ، وقد كان اهل الذمة يابون الخضوع لها بشجاعة^(٤) .

غير ان حرية العقيدة كانت مصانة ، فلم يكره المسلمون اهل الذمة على التخلي عن عقيدتهم او على اعتناق الاسلام . وقد كرس ذلك بعدة عهود صدرت عن الخلفاء اولها العهد الذي قطعه عمر بن الخطاب لاهل القدس الذميين .

(١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ ، تاريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ١٧٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٧١٣ .

(٣) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٤) آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (دار الكتاب العربي ، بيروت ،

١٩٦٧ ، د . ط . ص .) ج ١ ، ص ١٠٣ .

يهاجم الجاحظ النصارى ويعتبرهم خطراً على الاسلام لاسباب عدة ، منها قولهم ان القرآن باطل وامر المسلمين فاسد ، وحثهم في ذلك هي ان القرآن تضمن معلومات عن النصرانية غير صحيحة ككلام المسيح في المهد ، وقول المسيح للناس اتخذوني وامي من دون الله إلهين^(١) .

ومنها ترويجهم كتب الزندقة بين المسلمين ، ويتم ذلك على ايدي اطباء النصارى ومنجميهم ومتكلميهم الذين يغترون اغنياء المسلمين وظرفاءهم ومجانهم بمطالعتها والنظر فيها^(٢) . وقد اصبح النصارى منبت الزندقة لان اكثر من قتل في الزندقة ممن كان يتحلل الاسلام ويظهره هم الذين اباؤهم وامهاتهم نصارى^(٣) .

ويعتبرهم ، فوق ذلك ، اشد خطراً على الاسلام من اليهود والمجوس والصابئين ، وذلك لانهم يعمدون الى المتناقض من احاديث المسلمين والضعيف الاسناد عن الروايات والمتشابه من الآيات ثم يسألون عنها عوام المسلمين وضعفاءهم^(٤) .

ويهزأ الجاحظ من بعض عقائد النصارى التي يشبهون فيها الزنادقة . ويركز على تضارب آرائهم حول طبيعة المسيح على نحو ما نرى عند طوائف الملكانية واليعقوبية والنسطورية . ويتهمهم بالقول بالتشبيه والتجسيم ، ويساويهم في ذلك باليهود والرافضة والحشوية

(١) رسالة في الرد على النصارى ، ص ١٠ .

(٢) المصدر عينه ، ص ٢٠ .

(٣) المصدر عينه ، ص ١٧ .

(٤) المصدر عينه ، ص ١٩ .

واذا رد النصارى على الجاحظ واتهاماته قائلين له : السنا نحن اصحاب الكتاب الذي ذكره القرآن وتحدث عنا وعن معتقداتنا ، فلم لا تؤمن بكتابنا وما جاء فيه ؟ اجاب الجاحظ : ان هذا حق ، ولكن القوم - اي النصارى - اتوا من قلة المعرفة بالكلام ومن سوء الترجمة . والمشكلة في رايه انما نتجت عن التفسير والتأويل لآيات القرآن . ويقول ان النصارى لم يفهموا اللغة العربية جيداً وبالتالي لم يفسروا القرآن تفسيراً صحيحاً ، وينهي بحثه قائلاً : « وقد تعلم ان مفسري كتابنا واصحاب التأويل منا احسن معرفة واعلم بوجوده الكلام من اليهود ومتأولي الكتب ، ونحن قد نجد في تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صنعه ولا عند المتكلمين في مقاييسهم ولا عند النحويين في عربيتهم . . . » (٢).

ويورد أبو عثمان مثلاً على خطأ التفسير ، وهو تفسير ابراهيم بن سيار النظام لكلمة خليل الرحمن الواردة في القرآن . لقد فسر النظام وسائر المعتزلة هذه الكلمة بالحبيب والولي والناصر . اما الجاحظ فيرى التفسير خاطئاً ، ويعتقد « أن الخليل في هذا الموضع من الخلة والاختلال لا من الخلة والاختلال . وان ابراهيم الخليل حين صار في الله مختلاً اضافه الله الى نفسه وابانه بذلك عن سائر اوليائه . . » (٣).

وهناك شخصية ثالثة اتصل بها الجاحظ في هذا العهد هو ابراهيم بن العباس الصولي الذي اهدى اليه الجاحظ كتاب الزرع والنخل (٤) ونال جائزة سنية عليه .

(١) المصدر عينه ، ص ٣٨ .

(٢) رسالة في الرد على النصارى ، ص ٢٩ .

(٣) المصدر عينه ، ص ٣١ .

(٤) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ .

وكان الصولي كاتباً بليغاً ومجيداً كما يقول المسعودي تكسب في باديء الامر بالشعر وكان يميل الى آل علي ويراهم احق بالخلافة من غيرهم ، وانتهى الى ان ولي ديوان الضياع ، وتوفي في خلافة المتوكل سنة ٢٤٣ هـ (١) .

على اثر مصرع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ تولى الخلافة ابنه محمد المنتصر الذي عرف بعقوقه وقسوته . لقد اشترك في المؤامرة التي اودت بوالده وكان سفاكاً للدماء ، غير ان خلافته لم تستمر سوى ستة اشهر اذ قتله القواد الاتراك بالسسم ونصبوا مكانه احمد بن محمد بن المعتصم الملقب بالمستعين ، وكان هذا ضعيف الرأي والتدبير .

فكثرت الفتن في ايامه واغتاله الجند بعد اربع سنوات من توليه الحكم ، فخلفه المعتز بالله الذي كان احكم رأياً . ولكن القواد الاتراك اصبحوا منذ عهد المتوكل الحكام الحقيقيين واغتصبوا السلطة من الخليفة فكان في يدهم كالاسير ان شاؤوا ابقوه في الحكم وان شاؤوا خلعوه وان شاؤوا قتلوه . ويروي المؤرخون خبراً طريفاً يدل على ما انتهت اليه الخلافة من وهن فيقولون ان المعتز « عندما جلس على سرير الخلافة قعد خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة ؟ وكنان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ! فقالوا له : فكم تقول انه يعيش ، وكم يملك ؟ قال : مهما اراد الاتراك . فلم يبق في المجلس الا من ضحك . وصدق ما توقعه هذا الظريف بشأن المعتز اذ سرعان ما ثار به الاتراك وطلبوا منه مالا فاعتذر اليهم وقال : ليس في الخزائن شيء . فانفقوا على خلعهم وقتله ، فحضروا الي بابيه وقالوا له : اخرج الينا . فاعتذر بأنه شرب دواء ، فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وحرقوا قميصه

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

واقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع الاخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ثم جعلوه في بيت وسد عليه حتى مات بعد ان اشهدوا عليه انه خلع نفسه وذلك سنة ٢٥٥ هـ (١) .

هذه صورة واضحة عن حالة الخلفاء العباسيين منذ عهد المتوكل ، انهم العوبة بيد القواد الاتراك ، معظمهم خلع او قتل ، لا يملكون من الامر شيئاً . ونشير هنا ان صاحبنا الجاحظ مات في السنة التي قتل فيها المعتز وخلف المهدي اي سنة ٢٥٥ هـ . وبذلك يكون قد عاصر اثني عشر خليفة اولهم المهدي وآخرهم المهدي .

غير ان الجاحظ الذي شهد شباب الدولة العباسية وعنفوانها او عهد الخلفاء الاقوياء كالرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، عندما رأى نجم الخلافة يميل الى الاقلول واحس بسواد الضعف تسري في عروقها أثر ان يتعد عن العاصمة بغداد ، فتركها قبل مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ وعاد الى مسقط رأسه البصرة حيث قضى السنوات القليلة الباقية من عمره منصرفاً الى التأليف . وقد تمكن خلالها من اكمال كتاب الحيوان الذي كان قد بدأه ببغداد في عهد المعتصم واتم تصنيف كتاب البيان والتبيين بعد فراغه من كتاب الحيوان وكان قد بدأه في عهد المتوكل .

ومما يلفت النظر طبيعة هذه المؤلفات . لقد غلب عليها الطابع العلمي والادبي وضعف فيها الكلامي . وكان الجاحظ تعب من الجدل والخصومات المذهبية فاوى الى بيته في موطنه الاول بالبصرة مبتعداً عن السياسة والمباحكات الكلامية منصرفاً الى الابحاث العلمية ، وقد المح الى ذلك في مطلع الجزء السابع من كتاب الحيوان (٢) .

(١) ابن الطقطقي ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٤٣ .

(٢) الحيوان ، ج ٧ ، ص ١٠ .

وقد بأخذنا المعجب من نشاط الجاحظ ومشايرته على الانتاج رغم شيخوخته ومرضه ، واذا كان كتابا الحيوان والبيان والتبيين يعتبران قمة نتاجه حرنا بشأن هذا الانسان الذي اعطى خيرا ما عنده في سن الهرم والضعف . ولكن هجنا وحيرتنا يتبددان اذا ما علمنا انه الف القسم الاوفر من هذين الكتابين في بغداد قبل اصابته بالمرض ، وان ما انجزه في البصره او في السنوات الاخيرة من عمره الطويل يشكل القسم الاصغر المتبقي .

لقد مات الجاحظ مصاباً بمرضين هما الفالج والنقرس اللذان الما به . ولا ندري بالضبط تاريخ اصابته بهما . ويورد صاحب كتاب عيون الانبياء في طبقات الاطباء خبر اصابته بالفالج ويعزو ذلك الى جمعه بين اللبن والسّمك . وقد يكون من المفيد ايراد الخبر : « ونقلت من خط المختار بن حسن بن بطلان ان ابا عثمان الجاحظ ويوحنا بن ماسويه قد اجتمعا بغالب ظني على مائدة اسماعيل بن بلبل الوزير ، وكان في جملة ما قدم مضيرة بعد سمك . فامتنع يوحنا من الجمع بينهما . قال له ابو عثمان : ايها الشيخ لا يخلو ان يكون السمك من طبع اللبن او مضاداً له . فان كان احدهما ضد الاخر فهو دواء له ، وان كانا من طبع واحد فلنحسب انا قد اكلنا من احدهما الى ان اكتفينا . فقال يوحنا : والله ما لي خبرة بالكلام ولكن كل يا ابا عثمان وانظر ما يكون في غد . فاكل ابو عثمان نصرة لدعواه ففلج في ليلته ، فقال : هذه والله نتيجة القياس المحال . والذي ضلل ابا عثمان اعتقاده ان السمك من طبع اللبن . ولو حسبناهما من طبع واحد لكان لامتزاجهما قوة ليست لاحدهما »^(١) .

ان الذين ترجموا للجاحظ اشاروا الى مرضه . ويذهب ابن خلكان

(١) ابن ابي اصيعة ، هيون الانبياء في طبقات الاطباء (مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، د . ط .) ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

الى ان اصابته بالفالج حدثت في آخر عمره ، وهذا مخالف لرواية ابن ابي اصيبعة السالفة الذكر ولرواية المسعودي^(١) . ونقل عنه قوله في مرضه : « اصطلحت على جسدي الاضداد ، ان اكلت بارداً اخذ برجلي ، وان اكلت حاراً اخذ براسي » وكان يقول : « أنا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرص ما علمت به ، ومن جانبي الايسر منقرس فلو مر به الذباب لالمت ، ولي حصاة لا ينسرح لي البول معها ، واشد ما علي ست وتسعون سنة »^(٢) .

وهذا الكلام يدل على مرض ثالث عانى منه ابو عثمان هو الرمل او تجمع الحصى في المجاري البولية الى جانب المرضين الاخرين اعني الفالج والنقرس . فاذا اجتمعت هذه الامراض مع ثقل السنين الست والتسمين ، كما يقول ، اعطتنا شيخاً ضعيف الجسم مسترخي العضلات ، شاحب اللون ، سائل اللعاب ، مائل الشدق ، عاجزاً عن الافصاح عن افكاره متخاذل الاعضاء فاسد الاخلاط كما وصف نفسه في مقدمة كتاب البغال الذي ألفه في اخريات ايامه^(٣) وفي الحالة التي اصطلاح على تسميتها بارذل العمر . وكان هذه الامراض لم تكن كافية لاماتته ، وانما لقي حتفه من انهيار اكداش الكتب عليه وهو جالس بينها^(٤) .

(١) نقل المسعودي عن لسان يموت بن المزرع ابن اخن الجاحظ قوله : انا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف ، واعظمتها نيف وسبعون سنة ، يعني عمره . انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٧١ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، المرتضى ، الامالي ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٣) البغال ، (رسائل الجاحظ ، ج ٢ ، ص ٢١٥) .

(٤) آدم متر ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ؛ ابن النديم ، الفهرس ، ص ١٦٩ .

الفصل الثاني

محاولة كشف نتاج الجاحظ

Essai d'inventaire de
l'œuvre Guhizienne

ان كثرة مؤلفات الجاحظ دفعت الباحثين الى محاولة احصائها .
وقد قام ابو عثمان ذاته بوضع اللائحة الاولى بها في مقدمة كتابه
« الحيوان » ، ضمت نحو ٣٦ كتاباً .

ثم عقبه ابن النديم فوضع ثانياً بها يناهز ١٢١ كتاباً . واورد له
ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء نحو ١٢٣ كتاباً .

وفي العصر الحديث اهتم السندوي بهذه الناحية فوضع قائمة
بمؤلفات الجاحظ اعتمد فيها بصورة اساسية على ياقوت الحموي . وضمن
تلك القائمة كتابه « ادب الجاحظ » .

وعقبه بروكلمان في كتابه « تاريخ الادب العربي » فاورد حوالي
١٧٦ كتاباً . اعتمد فيها على الذين سبقوه كياقوت والسندوي .

وكانت المحاولة الاخيرة بهذا الصدد تلك التي اضطلع بها شارل
پلا بعنوان « محاولة كشف نتاج الجاحظ » وهي مقالة نشرها في مجلة
« ارايكا » العدد الثالث سنة ١٩٥٦ . وقد استفاد فيها من المحاولات
السابقة - عدا فهرست ابن النديم - وبشكل خاص من بروكلمان كما
يعترف هو ذاته .

اما الكشف الذي نضمه الآن فهو تعريب لعمل پلا مضافاً عليه ابن

النديم^(١) والطبعات الجديدة لكتب الجاحظ ، وقد جعله فهرساً مرتباً حسب الحروف الابجدية يضم نحو ١٩٣ كتاباً . وقد اورد بعد اسم الكتاب المعلومات التالية :

أ - تاريخ تأليف الكتاب .

ب - الكتب القديمة التي اشارت الى عنوانه .

ج - الكتب الحديثة التي اشارت الى عنوانه .

د - حجم الكتاب كاملاً او ناقصاً .

هـ - الطبعات الكاملة .

و - الطبعات الجزئية او المنتخبات الواردة في كتب مطبوعة .

ز - الترجمات الكاملة او الناقصة للكتاب .

ح - الابحاث المختلفة حوله .

ط - ملاحظات .

اذا وضعت نجمة واحدة امام اسم الكتاب ففي ذلك دلالة على ان قسماً من الكتاب حفظ فقط . واذا وضعت نجمتان امامه فهذا يعني ان الكتاب حفظ كله .

وقد اعتمد المصادر التالية :

ابو الفداء : مختصر تعريف البصرة ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ، ٤ مجلدات .

البغدادي ، الفرق : كتاب الفرق بين الفرق ، طبعة م . بدر ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

البغدادي ، الخزائنة : خزائنة الادب ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، اربع مجلدات .

(١) ابن النديم ، الفهرست ، مطبعة دانشگاه ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ٢١١ -

البيان : الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، طبعة عبد السلام هارون ،
القاهرة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ / ١٩٤٨ - ١٩٥٠ في جزأين .
برلين : المختار من كلام ابي عثمان الجاحظ مخطوطة برلين (اهلورث
٥٠٣٢ ، لامبرج ، ٨٢٨) . . .

م . ب ١١٢٩ (١) : مختارات فصول الجاحظ ، مخطوطة المتحف
البريطاني ، ١١٢٩ . والمخطوطة نسخة عن مخطوطة القاهرة التي
اعتمد عليها ناشر المنتخبات المثبتة على هامش الكامل للمبرد
وهي : الحاسد ، المعلمين ، اللواط ، الرد على النظام ،
التربيع ، مدح النبيذ ، المغنين ، النساء ، الترك ، النبوة ، خلق
القرآن ، النصارى ، العثمانية ، مسائل وجوابات ، المعاد ،
الجد ، الوكلاء ، البلدان ، البلاغة ، الظن ، النبل ، المودة ،
استحقاق الإمامة ، الوعد ، النطق ، فضيلة الكلام ، التجار ،
الشارب ، جوابات في الامامة ، الزيدية ، أثبتت عناوين
الكتب ، ولكن تسيطر الفوضى على المنتخبات ، ولذا يجب
اخضاع النصوص لنقد صارم .

داماد (٢) : مجموعة من رسائل الجاحظ ، مخطوطة داماد ابراهيم باشا
٩٤٩ . وقد اوردت النصوص كاملة وهي : الترك ، الاخلاق
المحمودة ، السر ، المعاد ، السودان ، الجد ، التشبيه ،

(١) طبعتها عبد السلام هارون بعنوان «رسائل الجاحظ» في جزأين ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة سنة ١٩٧٩ .

(٢) طبعتها عبد السلام هارون بعنوان «رسائل الجاحظ» ، القاهرة وبغداد ، ١٩٦٥ في
جزأين .

رسالة في الفتيا ، رسالة الى أبي الفرج ، العداوة ، القواد ،
النابتة ، الحجاب ، الجوارى ، القيان ، الكتاب ، البغال ،
الحنين الى الاوطان .

(٣) رسائل : ج . فنكل ، ثلاث رسائل لابي عثمان بن بحر الجاحظ
(١٨٦٩) القاهرة ١٩٢٦ هذه الرسائل تضم : النصارى ،
الكتاب ، القيان .

منتخبات : أوريشر ، منتخبات من الجاحظ ، ستوتغارت ، ١٩٣١ ، هذا
المؤلف يضم ترجمات لعدد كبير من كتابات الجاحظ .

الجمهرة : احمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ٤ ، القاهرة ،
١٩٣٧/١٣٥٦ ينشر الكتاب مقتطفات مختلفة مستقاة من
العقد ، والحصري وابن نباتة ، ورسالتين مقتبستين من
البخلاء .

الغزولي : مطالع البدور في منازل السرور ، القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٠ ،
جزآن .

مركز تحقيقات كويت علوم ودراسات

الحيوان : الجاحظ ، كتاب الحيوان ، طبعة عبد السلام هارون ،
القاهرة ، طبعة ثانية ، ٧ أجزاء يقدم الجاحظ في بداية الجزء
الاول قائمة بالمؤلفات التي صنفها قبل كتاب الحيوان ،
وتصنيف هذا الكتاب الاخير سبق موت ابن الزيات
٢٣٢/٨٤٧ (١) .

(١) ان الجاحظ بدأ تصنيف « الحيوان » قبل موت ابن الزيات وقد اهداه بعض اجزاء
منه ونال جائزته ، ولكنه اكمل تأليف الكتاب بعد موت ابن الزيات اي بعد
اعتلاله وانتقاله الى البصرة . وقد صرح هو في اماكن من الحيوان بانه كتب قسماً
ابان مرضه . وفي المقدمة اشارة الى انها كتبت بعد نشر الكتاب او قسم منه : فهو
يقول لمن انتقد كتبه : انه قد عابه في كتاب الحيوان بكذا وكذا . . وهذا دليل على
ان الكتاب كان معروفاً ومتداولاً عندما كتبت المقدمة . وعلى هذا الاساس لا يمكن

- الخياط : كتاب الانتصار ، طبعة نيبرج ، القاهرة ، ١٩٢٥ .
- العقد : ابن عبد ربه ، العقد ، القاهرة ، ١٣٤٦/١٩٢٨ ، ٤
اجزاء .
- الاربلي : كشف الغمة (لم يره) .
- الارشاد : ياقوت ، ارشاد الارب الى معرفة الاديب ، طبعة
مرغليوت ، لندن . يقدم ياقوت واحدة من اللائحتين
الاكثر اكتمالاً لمؤلفات الجاحظ .
- الكامل : المبرد ، الكامل ، القاهرة ١٣٢٤ ، مع منتخبات من الجاحظ
مثبتة على الهامش .
- الكتبي : عيون التواريخ ، مخطوطة رقم ١٥٨٨ في المكتبة الوطنية
بباريس . تتضمن ترجمة الجاحظ لائحة شبيهة بلائحة ياقوت .
- مجموع : ب . كراوس ومحمد طه الحاجري ، مجموع رسائل
الجاحظ ، القاهرة ، ١٩٤٣ هذه المجموعة تحتوي على :
المعاد ، السر ، العدوأة ، تكوير علوم سدي
- الموصل : داود جليبي الموصل ، كتاب مخطوطات الموصل ، بغداد ،
١٩٢٧/١٣٤٦ . بعض المخطوطات الهامة كانت محفوظة في
الموصل ، ولكن اهمها بقي ضائعاً بسبب موت صاحبها الذي
بعثت مكتبته .
- النهج : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ ، ٤
اجزاء . ينشر المؤلف بعض صفحات كتب الجاحظ ، ولا سيما
من كتاب العثمانية ، وقد نشرها السندوي دون ذكر المصدر .
- النصوص : شارل هلا ، نصوص جاحظية غير منشورة . مجموعة من

= اعتبار المقدمة قد كتبت كما يقول هلا قبل موت ابن الزيات ، وبالتالي لا يمكن
اعتبار اللائحة التي اثبتت في المقدمة تتضمن فقط الكتب التي ألفها قبل موت ابن
الزيات .

الرسائل الصغيرة والمقتطفات غير المنشورة .

الرسائل^(١) : حسن السندوبي ، رسائل الجاحظ ، القاهرة ،
١٩٣٣/١٣٥٢ . هذه المجموعة تحتوي على : العثمانية
(مع نقض الاسكافي) ، هاشم ، النبوة ، الحجاب ،
التربيع ، استحقاق الامامة ، النساء ، مدح النبيذ ، بنو
امية (الذبثة) العباسية ، المودة ، النظام ، ورسائل
خاصة ، يصرح السندوبي ان هذه النصوص مستخرجة من
كتب الجاحظ وكتب اخرى . ولكنه ، تبعاً لعادته ، لا
يشير الى المصادر ، وسنشير الى بعضها عرضاً .

١١ رسالة : إحدى عشرة رسالة ، القاهرة ، ١٩٠٦/١٣٢٤ . هذه
المجموعة تحوي : الحاسد ، الترك ، السودان ، التربيع ،
التجار ، العشق ، الوكلاء ، الشيعة ، المغنين .

السندوبي : حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، القاهرة ،
١٩٣١/١٣٥٠ . يقدم الكاتب لائحة بكتب الجاحظ
مطابقة للائحة ياقوت .

سرح : ابن نباتة ، سرح العيون ، بولاق . دون تاريخ .
صفدي : الوافي ، مدريد ١٩١٤ .

١ xx - رسالة الى ابي الفرج ابن نجاح الكاتب : (٢)

د (داماد ، ٩٤٩)

هـ (طبع داود جليبي ، في لغة العرب ، ٨ ، ٣٢ - ٣٥ .

ط (انظر رقم ٨٧ .

(١) هذه الرسائل - عدا العثمانية ، والتربيع ، والعباسية ، والنبيذ ، وبإضافة الفيان -
نشرها عمر ابو النصر في بيروت ، مطبعة النجوى ، سنة ١٩٧٩ ، تحت عنوان
« آثار الجاحظ » .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ : « رسالة الى ابي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الاولياء »

- ٢٠ - رسالة الى ابي حاتم السجستاني .
 ب (العقد ، ٢ ، ١٩٩ .
 و) العقد ، ٢ ، ١٩٩ ، نشر في الجمهرة ، ٤ ، ٥٧ ،
 (سطران) .
- ٢١ - رسالة الى ابي النجم وجوابه (١)
 ب (الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٤ ب .
 ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٥ ، سندوبي ، رقم ٤ .
 ط) يعني بابي النجم هلالا الانباري ، مولى بني سليم ، كاتب
 بغدادي .
- ٢٢ - ابناء السراري والمهرات .
 ا) قبل ٢٤٠ هـ .
 ب) البيان ، ١ ، ٣٤ .
 ط) بيدوان الكاتب يبحث في الاسماء والشهرة .
- ٢٣ - كتاب الادب .
 ب (العقد ، ٢ ، ٣٨ (٢)
 و) العقد ، ٢ ، ٣٨ (طبعة ١٩٤٠ ، ٢ ، ٣٣٦) .
 ط) يضم عناصر الادب .
- ٢٤ - اديان العرب .
 ب) فخر الدين الرازي ، المناظرات ، كمصدر للشهرستاني (هامش
 فصل ابن حزم) ٣ ، ٢١٥ ، في الفصل الذي عنوانه : آراء العرب
 في الجاهلية) .
- ٢٥ - افعال الطبائع :
 ب (الخياط ، ٩٢ .
-
- (١) ابن النديم ، ٢١١ .
 (٢) عنه ، ٢١١ (عناصر الادب) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ، ١٦ ، السندويي رقم ٢٤ .

٨ x - كتاب الاخبار وكيف تصح .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، ، الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ ب) الخياط ، ٢٢ ، ١٥٥ (تصحيح مجيء

الاجبار) ، صفدي ، ١٣٤ (١)

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١٤ ، السندويي رقم ٨ .

و) احمد بن يحيى ، المنية والامل ، ٢ ، ١٨٧ ، نشر من جديد

في مجلة لغة العرب ٩ ، ١٧٤ - ١٨٠ .

ز) منتخبات ريشر ، ٥٥٢ - ٥٦٢ .

اخلاق ، انظر الكتاب ، التاج ، الوزراء .

رسالة في الاخلاق المحمودة والاخلاق المذمومة . انظر المعاد .

كتاب اخلاق الملوك ، انظر التاج (٢) .

xx كتاب تهذيب الاخلاق

هـ) طبعة كرد علي في مجمع اللغة العربية ، ٤ ، ١٣٤٢/١٩٢٤ .

ط) هذه النسبة خطأ صححه كرد علي جزئياً في ملحق (عدد ٥٩ -

٦٠) ثم في تعريف حكماء الاسلام للييهقي (٩٧ ، رقم ١) ،

والكتاب ينسب الى ابي زكريا يحيى بن عدي .

و) منتخبات ريشر ٢٥٧ - ٢٦٢ .

٩ - كتاب الاخطار والمراتب والصناعات :

ب) الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ أ . (٣) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٤ ، السندويي رقم ٩ .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٢) عينه ، ٢١١ .

(٣) عينه ، ٢١١ .

ط (يتساءل بروكلمان عما إذا لم يكن هو عينه الكتاب الذي يحمل عنوان
غش انصناعات .

١٠ - كتاب الرد على من الحد في كتاب الله عز وجل .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ الكتبي ١٥٤ ، الصفدي ، ١٣٤ (١) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٧ ، رقم ٢٢ ، السندوي ، رقم ٧٧ .

١١ × - رسالة في الأمل والمأمول .

ب (الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١١٥٥ (٢) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣٨ ، السندوي ، رقم ٣٢ .

كتاب الامصار وعجائب البلدان ، انظر : بلدان .

١٢ - كتاب الامثال .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ١٥٥ أ . (٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٥ ، السندوي ، رقم ٣٠ .

ط (انظر الكتاب التالي :

مائة من امثال علي .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٩٢ ، السندوي ، رقم ٣٠ .

د (برلين ، ٨٤٢٢ ، ٨٦٥٦ .

هـ (صيدا ١٣٤١ ، نصوص .

هناك شك ينجم على نسبة هذه المجموعة . هذا ما تدل عليه

مقارنة سريعة بين الحكم التي جمعت والكلام المنسوب الى علي والذي

يرده الجاحظ في كتبه .

(١) هـ ، ٢١١ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ . طبعته دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، تحقيق

شحن . الأرجح أنه منحول

(٣) هـ ، ٢١ .

اقسام فضول الصناعات ، انظر الصناعات .

١٣ - كتاب الاسد والذئب .

(ب) ارشاد ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ١٥٥ (١) .

(ج) بروكلمان ٢٤٦ ، رقم ٧٨ ، السندويي ، رقم ١٨ .

١٤ - كتاب الاسماء والكنى والالقب والانباء .

(أ) قبل ٢٤٠ هـ .

(ب) البيان ، ١ ، ٣٤ .

١٥ - كتاب الاصنام .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٥ ، ارشاد ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ٥٤

(ب) ، الصفدي ، ١٣٤ (٢) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ١ ، السندويي رقم ٢٠ ، الالوسي ،

البلاغ ، ٢ ، ٢١٢ .

(ط) الحيوان ، ١ ، ٥ .

« وهبني بكتاب الاصنام وبذكر اعتلالات الهند لها وسبب عبادة العرب إياها ،

وكيف اختلفا في جهة العلة مع إتفاقهما على جملة الديانة ، وكيف

صار عباد البداوة والتمسكون بعبادة الاوثان المنحوتة والاصنام

المنجورة اشد الديانين الفأ لما دانوا به وشغفاً بما تعبدوا له واظهرهم

جداً » .

رسالة في فضائل الاتراك . انظر الترك .

١٦ - كتاب اطعمة العرب .

(ب) الميداني ، ٢ ، ٧٣ .

(١) هينه ، ٢١٢ .

(٢) هينه ، ٢١٠ .

ج) بروكلمان، ٢٤٥، رقم ٤٨ .

ط) من الممكن ان يكون الميداني قد اعطى هذا العنوان للفصل
الاخير من كتاب البخلاء الذي كرسه الجاحظ للكلام عن اطعمة
العرب القدامى .

١٧ - كتاب الاوقاف والرياضات .

أ) قبل ٢٣٢ . هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٧ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣٦ ، السنديوي ، ٣٥ .

ط) الحيوان ، ١ ، ٧ ، وعبتي بكتاب الاوقاف والرياضات .

١٨ - كتاب حكاية قول الاباضية والصفرية والازارقة والنجدية .

أ) قبل ٢٣٢ . هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٢ . وقد حكينا في كتابنا قول الاباضية

والصفرية كما حكينا قول الازارقة والزيدية (اقرأ النجدية) ولكن لا

نعرف اذا كان ذلك يعني مؤلفاً مستقلاً .

ط) نص الحيوان هو التالي :

وعلى هذه الاركان الاربعة بنيت الخارجية الخ ...

كتاب الابل .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٥ ، ١٠٨ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٧ ، رقم ٨ ، السنديوي ص ١٤٥ .

ط) ذكر ياقوت انه منقول .

كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن ، انظر قرآن .

كتابه احالة القدرة على الظلم ، انظر قدرة .

١٩ - كتاب الاخوان :

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ . أ . (١)

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٩ ، السندوبي ، رقم ١٣ .
٢٠ - الاخوانيات

ب) الحيوان ، ١ ، ٧ : وعبثي برسائلي وبكل ما كتبت له الى
اخواني وخلطائي من مزح وجد ، ومن افصح وتعريض ، ومن
تغافل وتوقيف ، ومن هجاه لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح لا
يزال اثره نامياً ، ومن ملح تضحك ومواعظ تبكي .
و) رسائل ، ٣٠٣ - ٣١٦ .

ط) من الممكن وجوب التمييز بين كتاب الاخوان وبين
المراسلات الخاصة التي نشر السندوبي نماذج منها .
٢١ - كتاب اصحاب الالهام .
أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، الخياط ، ١٧٢ ، ارشاد ، ١٠٧/٧٦/٦
(الرد على اصحاب الالهام ، الكتبي ، ١٥٣ ب (١))
ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٩ ، رقم ١٠٩ .
يستفاد من البيان والتبيين ، ٣ ، ٣٧٤ ، ان الجاحظ كتب في مطلع حياته
الادبية (حوالي ٨١٦/٢٠٠) ابحاثاً حول الامامة . هذه هي العناوين
التي حفظت :

٢٢ x - اثبات امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

ب) اربلي ، الكشف .

ج) اربلي ، نبد . جلبي ، في لغة العرب ، ٩ ، ٤٩٧ - ٥٠٠ .
ط) مع تصويب علي ، ليس عجيباً ان يكتب الجاحظ كتباً في
نصرة الخليفة علي ، في زمن لم يكن العباسيون قد انسلخوا

(١) عينه ، ٢١٠ ، (الرد على اصحاب الالهام) .

عن العلويين ، وحيث ينبني التركيز على فساد الامويين (١)

٢٣ - امامة ولد بني العباس .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب ،

المسعودي ، مروج الذهب ، ٦ ، ٥٤ (٢) .

(ح) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣٢ ، السندوبي ، رقم ٢٨ .

(ط) يعتقد السندوبي ان هذا الكتاب هو كتاب العباسية ذاته . وعلى

كل حال بهم الكاتب ان يرر وصول العباسيين الى الحكم .

٢٤ x - امامة معاوية بن ابي سفيان .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب ،

المسعودي ، مروج الذهب ، ٦ ، ٥٧ (٣) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ٩ ، السندوبي ، رقم ٢٧ .

(ط) كتب . جويدي في R.S.O. ١٣ ، ٢٣٣ . « انه ورد في

مروج الذهب اسم كتاب امامة امير المؤمنين معاوية بن ابي

سفيان ، وانه يؤيد فيه بني امية ضد الشيعة » . ونحن يمكننا

ان نكون فكرة عن موقف الجاحظ تجاه الامويين من قسم من

الناطقة . وقد وصلتنا رسالة للجاحظ من يد السيد م . عبد

الوهاب (تونس) ، يمكن ان تكون قسماً من كتاب امامة

معاوية ، يمدد فيه المؤلف حجج انصار معاوية ويبدأ بنقضها

في المنتخبات الباقية . وسيظهر هذا القسم في المشرق (انظر

رقم ١٥) .

(١) هذه الفكرة بحاجة الى ايضاح ذلك ان العلاقة بين العباسيين والعلويين مرت

بفترات مختلفة ففي بدء الثورة العباسية كان ثمة امتزاج تام بين العباسيين

والعلويين ، ثم انفرد العباسيون بالحكم وحاربوا العلويين حتى عهد المأمون الذي

قرب العلويين وفي عهد المتوكل عاد الخلاف بينهم الى سابق عهده .

(٢) ابن النديم ، ٢١٠ ، (امامة بني العباس) .

(٣) هينه ، ٢١٠ .

أ) المسعودي : « كتاب امامة امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان
في الانتصار له من علي بن ابي طالب (ارضه) وشيعته
الرافضة ، يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بني امية
وغيرهم » .

٢٥ - كتاب الدلالة على ان الامامة فرض .

ب) الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (١)

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٠ ، السندوي ، رقم ٦٧ .

ح) ضمن وجوب الامامة .

٢٦ - كتاب الامامة على مذاهب الشيعة .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ٥٣ ، الصفدي ،

١٣٤ (٢)

ج) بروكلمان ، السندوي ، رقم ٢٦ .

ح) يمكن التساؤل مع السندوي عما اذا لم يكن هذا الكتاب هو
عين الكتيب المعروف بعنوان بيان مذاهب الشيعة .

٢٧ X - كتاب الجوابات في الامامة .

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١٢ .

د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

و) النصوص .

ح) ضمن رقم ٤٦ .

كتاب استحقاق الامامة ، انظر شيعة ، .

٢٨ - كتاب وجوب الامامة .

ب) الحيوان ، ١ ، ١٢ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،

الكتبي ، ١٥٤ ، الصفدي ، ١٣٤ .

(١) حبه ، ٢١٠ .

(٢) ابن النديم ، ٢١٠ ، (الامامة على مذهب الشيعة) .

ج) السندوي رقم ١٥٦ (١).

ح) النصوص تميز كتاب الدلالة على ان الامامة فرض وكتاب وجوب الامامة ، هذا ما يقوله الجاحظ بهذا الصدد : « فهلا عبتني بحكاية مقالة من ابي وجوب الامامة ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذي زعموا ان ترك الناس سدى بلا راع عليهم وهملا بلا رادع لهم ، واجدر ان يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة الأجل ، وان تركهم نشرا لانظام لهم ابعدهم من المفاسد واجمع لهم على المرشد » .

رسالة في امتحان عقول الاولياء ، انظر عقول .

٢٩ - كتاب الانسان .

أ) قبل عام ٢٤٠ هـ .

ب) البيان ، ١ ، ١٨٦ .

٣٠ - كتاب الرد على من زعم ان الانسان جزء لا يتجزأ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ٩ ، بالكتبي ، ١٥٤ ، (٢).

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٣ ، السندوي ، رقم ٧٨ .

٣١ - كتاب الاسم والحكم .

أ) قبل عام ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٣٠٦ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٣ .

ح) ضمن كتاب الاسماء ، لكن يجري الكلام هنا عن نعوت

حكيمية .

٣٢ - كتاب الاستبداد والمشاورّة في الحرب .

أ) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٩ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ ، (٣).

(١) عينه ، ٢١٠ (وجوب الامامة) .

(٢) عينه ، ٢١١ .

(٣) ابن النديم ، ٢١١ .

- ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٦ ، السندوبي ، رقم ١٤ .
 كتاب استحقاق الوعد ، انظر وعد .
 ٣٣ - كتاب الاستطاعة وخلق الافعال .
 ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١١٥٤ ^(١))
 ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ١٦ ، السندوبي ، رقم ١٥ .
 xx ٣٤ - رسالة في الاستعفاف .
 ب (سرح العيون ، ١٧٦ .
 و (جمهرة ، ٦ ، ٥٠-٥٢ .
 ٣٥ - كتاب استطالة الفهم على العجز .
 ب (الخفاجي ، الطراز ، ١٠٨ .
 ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٧ ، السندوبي ، رقم ١٦ .
 د (برلين ، ٨٧٢٧ ، الموصل ، ٣٠ .
 و (الحصري ، الجمع ، ٩١ .
 ح (مؤلف معروف لابن مسكويه الذي اكتشف وجوده جاود ان هيرد
 الذي قرظ الجاحظ ، انظر *الجمهرة* ، ١٩٢٩ ، ١٢٩ .
 كتاب الاعتزال وفضله (عن الفضيلة) .
 ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ ب ^(٢)) .
 ج (السندوبي ، رقم ٢٢ .
 ط (انه كتاب آخر عنوانه فضيلة المعتزلة .
 ٣٦ - كتاب احدوثة العالم .
 ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٤ ا ^(٣))
 ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ١٤ ، السندوبي ، رقم ٧ .

(١) عينه ، ٢١١ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

(٣) عينه ، ٢١١ .

- ح) يجب قراءته هكذا : حدوث .
رسالة في بني امية ، انظر نابغة .
٣٧ - كتاب امهات الاولاد .
- ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٧ / ١٦ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ، أ .
ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥١ ، السندوي ، رقم ٣٣ .
٣٨) كتاب الانس والسلوك .
- ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٧ / ١٦ ، ١٠٩ ، الكتبي ١٥٤ ب (٢) .
ج) بروكلمان ، ٢٥٤ ، رقم ٣٩ ، السندوي ، رقم ٣٤ .
٣٩ - مقالات في اصول الدين .
- ب) ابن خلكان ، ٢ ، ١٠٨ ، اليافعي ، الجنان ، ٢ ، ١٦٢ .
٤٠ x - رسالة في البلاغة والايجاز .



- ج بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٨ .
د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ (٣) .
و) نصوص .
- رسالة في بني امية ، انظر النابغة ، نسخة مخطوطة
كتاب بصيرة غنام المرتد ، انظر غنام .
٤١ x - رسالة في تفضيل البطن على الظهر .
ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٧ .
د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
و) نصوص .
- رسالة في بيان مذاهب الشيعة ، انظر شيعة .
٤٢ xx - كتاب البيان والتبيين .
أ) قبل ٢٤٠ هـ .

(١) ص ٢١١ .

(٢) ص ٢١١ .

(٣) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٤ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

ب) ارشاد، ٦، ١٦/٧٦، ١٠٦ العسكري : الصناعتين ،
٥ . البغدادي ، الخزانة ، ١ ، ٣٤ ، نهج البلاغة ، ٣ ،
١٨٤ .

ج) بروكلمان ، ٢٤١ ، ١٥٩ ، السندوي ، رقم ٣٩ .
د) انظر بروكلمان .

هـ) طبعة م . افندي الفاكهاني ، القاهرة ، ١٣١١ -
١٨٩٣/١٣١٣ - ١٨٩٥ . جزآن ، طبعة محب الخطيب ،
القاهرة ، ١٩١٤/١٣٣٢ ، رقم ٣ ، اجزاء .

طبعة حسن السندوي ، القاهرة ، ١٩٢٦ - ٢٧ ، ٣ اجزاء
(طبعة ثالثة ١٩٤٧/١٣٦٦) .

طبعة ع . س . هارون ، القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨/٦٠ - ٥٠ ، ٤
اجزاء (١) .

و) منتخبات البيان والتبيين ، القسطنطينية ، ١٨٨٣/١٣٠١ ،
القاهرة ، ١٩١٠ .
ز) منتخبات ريشتر ، ٢٢ - ٤٠ .

xx ٤٣ - كتاب القول في البغال (ومنافعها)

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٦ .

د) داماد ، ٩٤٩ ، موصل ٢٦٥ .

هـ) طبعة هلا ، القاهرة ، ١٩٥٥/١٣٧٥ (٢)

xx ٤٤ - كتاب البخلاء .

أ) حوالي ٢٤٥ - ٢٥٠ هـ . على الرغم من ذكره في الحيوان ،
٤ ، ١ .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ . طبعة دار الفكر للجميع ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ٤ اجزاء .

(٢) طبعة عبد السلام هارون (ضمن رسائل الجاحظ) الجزء الثاني ، ٢١٥ - ٣٧٨ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ (١) .

ج) بروكلمان ٢٤٢ ، السندوي ، رقم ٣٦ .

د) انظر بروكلمان

هـ) طبعة فان فلوتن ، ليدن ، ١٩٠٠ ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٣ ،

طبعة القاهرة ، ١٣٢٥ ، طبعة دمشق ١٣٥٧/١٩٣٨ ، طبعة

على عبد الكريم واحمد العوامري ، القاهرة ، ١٣٥٧ -

١٩٣٨/٥٨ - ٣٩ في جزاين ، طبعة طه الحاجري ،

القاهرة ، ١٩٤٨ ، (٢) ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥ ، في

جزاين ، طبعة دمشق ١٩٥٥ .

و) الجمهرة ، ٤ ، ٧٥ - ٩٨ (رسالة أبي العاص) ، ٩٨ - ١٣٧

(رسالة ابن التوام) ، طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ،

١٠٩ - ١٢٤ .

ز) منتخبات ريشر ، ٢٦٦ - ٤٨٤ ، ترجمة بيلا الفرنسية ،

باريس ١٩٥١ ، وارايبكا ، ٢/١٩٥٥ ، وترجمة ايطالية

جزئية بقلم ف . كبريالي في ر . ل أيسار - حزيران ،

١٩٥١ .

ح) و . مارسيه ، تأملات ، في Melanges رينه ماسيه ، ٢ ،

باريس ، ١٩٢٥ ، ٤٣١ - ٦١ ، م . مبارك ، فن القصص

في كتاب البخلاء ، دمشق ١٣٥٨/١٩٤٠ .

× ٤٥ - كتاب البلدان .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ب ،

ياقوت ، البلدان ، ٢ ، ٥٩٣ . المسعودي ، التنبه ، طبعة

الصاوي ، ٤٩ ، نفسه ، مروج الذهب ، ١ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ،

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) طبعة الحاجري الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

المقدسي ، ٢٤١/٣^(١) .

ج (بروكلمان ، رقم ٩٠ ، ٢٤٤ ، رقم ٥٩ ، ٢ ، ١٥٨ ،

السندويي رقم ٣١ ورقم ٣٨ .

د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

و (نصوص ، اعتماداً على المتحف البريطاني ، ١١٢٩ ،

وياقوت ، المعجم الخ . .^(٢)

ط (عنوان الكتاب يطرح موضوعاً لا يبدو من الصعب معالجته .

يميز بروكلمان بين كتاب البلدان وكتاب الامصار وعجائب

البلدان ، وعبد الوهاب يلجأ الى التمييز ذاته في طبعة كتاب

التبصر بالتجارة ، ٣٢٤ ، بينما يعتبر السندويي ان الجاحظ لم

يكتب سوى بحث واحد تحت هذا العنوان عن خصائص

المدن والبلدان . ونأمل في نشر الصفحات التي استطعنا

جمعها بالاضافة الى منتخبات المتحف البريطاني قريباً .^(٣)

٤٦ - كتاب البرهان . مركز تحقيق التراث والدراسات الإسلامية

ب (ابن حزم ، الفصل ، ٤ ، ١٩٥ .

ط (هذا ما يقوله ابن حزم : (ورأيت للجاحظ في كتابه البرهان :

لو ان سائلاً سأله وقال : ايقدر الله على ان يخلق الدنيا دنيا

اخرى ، فجوابه : نعم ، بمعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق

هذه فتكون مثل هذه .

كتاب تعبير الرؤيا .

ب (حاجي خليفة ، ١ ، ٢٢٢ .

ط (يوجد هنا التباس ، او نسبة خاطئة .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) طبع في مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

(٣) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٤ ، ص ١٠٩ - ١٤٧ . (الاولطان

والبلدان)

٤٧ - كتاب التفكير والاعتبار .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤)^(١) .

ج (السندوبي ، رقم ٤٧ .

ط (على عكس الدلائل والاعتبار ، يبدو هذا العنوان حقيقياً . وذكر
الكتبي كتاب التفكير وكتاباً آخر هو الاعتبار .

xx - كتاب التاج في اخلاق الملوك .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ، الصفدي
١٣٤ .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ١ ، السندوبي ، ص ١٤٥ - ١٥٢ .

د (انظر بروكلمان والطبعات .

هـ (طبعة احمد زكي باشا ، القاهرة ، ١٩١٤)^(٢) .

ز (ترجمة فرنسية ، هلا ، باريس ، ١٩٥٤ .

ح (منتخبات ريشر ، ٢٦٣ - ٦٦ ، ف . كبريالي ، في ر . س .

أ ، ١١ ، ٢٩٢ - ٣٠٥ .

ط (رغم حجج الناشر ، النص مزور بالتأكيد .

كتاب تهذيب الاخلاق ، انظر اخلاق .

٤٨ - كتاب تخزين (تخزين ٩) الاموال .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦ / ٧٧ ، ١٩ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ ، أ .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٠ ، السندوبي ، رقم ٤١ .

هـ . كتاب التمثيل .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤)^(٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٧ ، رقم ٣ ، السندوبي ، رقم ٤٨ .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) وطبعة فوزي عطوي ، بيروت ، ١٩٧٠ .

(٣) ابن النديم ، ٢١١ .

- كتاب تنبيه الملوك والمكائد .

ج (بروكلمان ، ٢٤٧ ، رقم ٣ ، السندوي ، ص ١٥٢ .

د (كوبرلي ، ١٠٦٥ .

ح (ر . أ . أ . د . ٩ ، ٢٤١ ، بين احمد زكي باشا ٢٢١ - ٢٢٦ في

طبعته التاج ان هذا الكتاب منسوب للجاحظ^(١) .

xx ٤٩ - كتاب التبريع والتدوير .

أ (بين ستي ٢٢٧ - ٢٣٠ .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ١٥٤ ب ،

الصفدي ، ١٣٤^(٢) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٦٤ ، السندوي ، رقم ٤٢ .

د (الزاهرية ، ١٢٥ .

هـ (طبع على هامش الكامل للمبرد ، ١ ، ٤٠ - ٩٧ ، اوسكولا

(فلوتن) ٨٦ - ١٥٧ ، رسالة ، ٨٢ - ١٤٧ ، طبعة م .

مسعود ، القاهرة ، ١٣٢٤ ، رسائل ، ١٨٧ - ٢٤٠ طبعة هلا

دمشق^(٣) .

و (طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ٨٨ - ٩٩ .

ز (منتخبات ريشر ، ٢١٢ - ٢٣٥ .

ح (م . بهنني ، في الثقافة المغربية ، ايلول ، ١٩٤١ .

x رسالة في الترجيح والتفضيل .

ب (الاربلي ، الكشف .

(١) تبين لي من قراءة المخطوطة المصورة في الجامعة الامريكية ببيروت ان الكتاب منحول

لان اسلوبه يختلف عن اسلوب الجاحظ ، ولانه يتحدث عن رجال عاشوا بعد

عصر الجاحظ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

(٣) وطبعة فوزي عطوي ، دار الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦٩ .

(و) نفسه .

ظ (النص نفسه المعروف بعنوان فضل هاشم علي عبد شمس ، انظر لغة العرب ، ٩ ، ٦٣٣ (١) .

٥٠ - رسالة في نفي التشبيه الى ابي الوليد محمد بن احمد بن ابي دؤاد .

(أ) نحو سنة ٢٢٠ هـ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ٦ .

(د) داماد ، ٩٤٩ ، موصل ، ٢٦٥ .

(و) طبعة بلا في المشرق ، ١٩٥٣ (٢) .

(ط) انظر مشبهة .

كتاب في تفصيل حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل لصوص الليل .

(ب) البخلاء ، ١ .

(ط) انظر كتاب اللصوص .

كتاب تصويب علي ، انظر علي .

٥١ - كتاب المخاطبات (الخطاب) في التوحيد .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ب ، الصفدي ، ١٣٤ (٣) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٥ ، السندوبي ، رقم ١٢٤ .

XX ٥٢ - كتاب التبصر بالتجارة (٤) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٤ ، ٢ ، ١٥٩ .

(هـ) طبعة . ح . ح . عبد الوهاب ، في ر . أ . أ . د . ،

١٢ ، ٣٢٦ - ٣٥٧ .

(١) ونشرت في آثار الجاحظ ص ١٩٣ - ٢٤٠ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، طبعة عمر ابرو

النصر ، بعنوان فضل هاشم علي عبد شمس .

(٢) في رسائل الجاحظ ، الجزء الاول ص ٢٨٣ - ٣٠٨ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٤) الأرجح انه منحول .

ز) ترجمة فرنسية، بلا في ارايكا ، ١٩٥٤ / ٢ ، ١٥٣ - ١٦٥ .
ح) ر . أ . د . ، ١٣ ، ٢٨ - ٩٥ ، ١٤ ، ٢٣ - ٢٥ .
٥٣ - كتاب التفاح .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٤ ب^(١) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨١ ، السندوبي رقم ٤٤ .

٥٤ x - رسالة في مدح التجار (التجارة) وذم عمل السلطان .

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٧ ، السندوبي ، رقم ١٢٥ .

د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

و) طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٤٦ - ٢٥١ ، ١١ رسالة ،

١٥٥ - ١٦١ .

ز) منتخبات ريشر ، ١٨٦ - ١٨٨ .

ط) في الطبعة ، نجد النص مقطعاً وممزوجاً برسالة في المعلمين

ضمن السلطان .

xx ٥٥ - رسالة في مناقب الترك (فضائل الاتراك) وعامة جند الخلافة ،

الى الفتح بن حياقان بن بطيخ

أ) بين ٢١٨ - ٢٢٧ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٨^(٢) .

بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ١٨ ، السندوبي ، رقم ١٤٥ .

د) باريس ٦٠١٣ ، داماد ، ٩٤٩ ، المتحف البريطاني

١١٢٩ ، الموصل ، ٢٦٤ .

ه) طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ١٦٦ - ٢٧٥ ، اوبسكولا

(فلوتن) ١ - ٥٦ ، طبعة ابراهيم مويحي ، القاهرة ،

١٨٩٨ ، ١١ رسالة ٢ - ٥٣ ، طبعة جديدة بدور

التحضير^(٣) .

(٢) عينه ، ٢١١ .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٣) طبعة عبد السلام هارون ضمن رسائل الجاحظ الجزء الاول ، ص ٨٦ - ٥ .

(ز) منتخبات (ريشر) ، ٢٠٧ - ٢١٠ ، ترجمة تركية في ترك
بردي ، ١٣٢٩ ، ٣ ، ٨١٤ ، ترجمة انكليزية ، ت ،
هرلي - ولكر ، في ، ١٩١٥ ، ٦٣ - ٩٧ ، ترجمة المانية
ار - ريشر في اوريان فركن ، ١٩٢٥ ، ترجمة فرنسية
بطور الاعداد .

(ج) ريشر ، في عالم الشرق ، ١٩٢٥ ، ١٣٤ ، ملانج بيروت ،
٥٢٩ ، ٥ .

٥٦ - كتاب الرد على الجهمية (في الادراك) .

(أ) قبل عام ٢٣٢ . هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ١٠ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٨ ، السندوبي ، رقم ٧٣ .

٥٧ - كتاب جمهرة (جمهرة) الملاك .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ بالكتبي ، ١٥٤ (١) .

(ج) بروكلمان ، رقم ٣٣ ، السندوبي ، رقم ٤٩ .

٥٨ - كتاب الجوابات .

(أ) قبل ٢٣٢ . هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٩ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٢ ، السندوبي ، رقم ٥٠ .

(ط) ضمن المعرفة ، يمكن ان يكون كتاب الجوابات في المعرفة .

كتاب جوابات كتاب المعرفة ، انظر معرفة .

xx ٥٩ - كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ، ابو

الفداء ، تاريخ ، ٢ ، ٥١ (٢) ، الغزولي ، مطامع ، ١ ،

(١) ابن النديم ، ٢١١ (جمهرة الملوك) .

(٢) عينه ، ١٢٠ (الجوارى) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٢ ، السندوبي ، رقم ٥٢ .

د) داماد ، ٩٤٩ ، موصل ، ٢٦٥ .

هـ) نصوص^(١) .

٦٠ - كتاب الجوارح .

أ) بعد كتاب البيان الذي الف قبل ٢٤٠ هـ .

ب) البيان ، ١ ، ٩٤ . ط) من الممكن تقريب هذا العنوان من

ذوي العاهات وكتاب العرجان . وهذا هو النص الوارد في

البيان : « وهذا الباب (صغر الرأس وصغر الكف) يقع في

كتاب الجوارح مع ذكر البرص والعرج والعسر والادر والصلع

والجدب والقرع وغير ذلك من علل الجوارح . وهو وارد عليكم

ان شاء الله بعد هذا الكتاب .



xx ٦١ - رسالة في الجد والهزل .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتيبي ، ١٥٤ أ^(٢) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٩ ، السندوبي ، رقم ١٢٩ .

د) الموصل ، ٢٦٥ ، داماد ، ٩٤٩ ، برلين ، ٣٢ ، ٥ (انظر

اوريان ، ١٩٥٤ ، ٨٦) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

هـ) مجموع ، ٦١ - ٩٨^(٣) .

ط) رسالة معروفة ايضاً بعنوان المزح والجد .

(١) وطبعة عبد السلام هارون ضمن رسائل الجاحظ الجزء الثاني ، ص ٩١ - ١٣٧ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ (المزاح والجد) .

(٣) وطبعها عبد السلام هارون ، ضمن رسائل الجاحظ ، الجزء الاول ، ص ٢٣١ -

٢٧٨ . وطبعها محمد علي الزهبي بعنوان فلسفة الجد والهزل مع المعاد والمعاش ،

وكتمان السر وحفظ اللسان ، ولصلى ما بين العداوة والحسد ، بيروت ،

منشورات حمد ، دون تاريخ .

كتاب نوادر الجن .

ب (الكتبي ، ١٥٤ ب .

ط (يمكن ان يكون الاسم ناتجاً عن قراءة خاطئة ، انظر نوادر
الحسن .

٦٢ - فرق ما بين الجن والانس .

أ (قبل ٢٣٢ هـ .

ب (الحيوان ، ١ ، ٦ .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٢ ، السندوبي ، رقم ١٠٤ .

ط (الحيوان ، ٦ ، ٤٩٦ ينص على فضل الانس على الجن ،
الحيوان ، ١ ، ٦ : « وكتاب فرق ما بين الجن والانس وفرق ما
بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة الهدى واستطاعة
الغريب . وفي الذي كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك
العلم ، وما تأويل قولهم كان عنده اسم الله الاعظم » .

انظر أيضاً فضيلة الملاك على الانسان .

رسالة الى المعتصم (المشوكل) في الحث على تعليم اولاده ضروب
العلوم وانواع الادب ، انظر القواد .

كتاب الحجر والبنوة .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ أ (والفتوة) .

ج (السندوبي ، رقم ٥٧

ح (من الممكن ان تكون تقريباً « الرسالة ذات العنوان » « حجج
النبوة » .

رسالة الحلبة ، انظر الحلبة

٦٣ XX - رسالة الحنين الى الاوطان .

ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٩ السندوبي ، ص ١٥٣ .

د (الموصل ، ١٣٦ ، ٢٦٥ ، داماد ، ٩٤٩ .

هـ (طبعة طاهر الجزائري ، القاهرة ١٣٣٣ (١)) .

ز (منتخبات (ريشر) ٤٨٨ - ٤٩٧ .

ط (يشك السندوي في هذه الرسالة . ولكن ينبغي اعتبارها

صحيحة حتى يثبت العكس .

٦٤ - حانوت عطار .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتيبي ١٥٤ (٢)) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٨ ، السندوي ، رقم ٥٤ .

٦٥ - كتاب نوادر الحسن .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتيبي ، ١٥٤ ب (نوادر

الجن) (٣) .

ح (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ١٠ ، السندوي رقم ١٥٤ .

ط (من المسموح به التساؤل اذا كان هذا العنوان صحيحاً ، اذا كان

ينطبق على الحسن البصري .

٦٦ - رسالة في الحاسد والمحتود .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٨ ، بالكتيبي ، ١٥٤ ب ، الصفدي

١٣٤ (٤) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٠ ، السندوي ، رقم ٥٣ .

د (ازهار ، ادب ، ١٠٤٦ ، متحف بريطاني ١١٢٩ .

هـ (هامش الكامل ، ١ ، ٢ - ١٧ ، ١١ رسالة ، ١ - ١٣ .

ز (منتخبات (ريشر) ١٨٠ - ١٨٢ .

(١) وطبعة عبد السلام هارون ، ضمن رسائل الجاحظ ، الجزء الثاني ٣٨٣ - ٤١٢ .

ط/الارجح انه منحول

(٢) ابن النديم ، ٢١١ ،

(٣) عينه ، ٢١١ .

(٤) عينه ، ٢١١ .

xx ٦٧ - كتاب الحيوان .

(١) قبل ٢٣٢ هـ .^(١)

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٥ ، ١٠٦ ، البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ ،
الخ . .^(٢)

(ج) بروكلمان ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، نفسه ، ١٥٩ ، السندوبي ، رقم
٦٣ .

(د) انظر بروكلمان .

(هـ) طبعة القاهرة ، ١٣٢٣ - ١٣٢٥/١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، ٧ ،
اجزاء ، طبعة ع . س . هارون ، القاهرة ، طبعة ثانية ، ٧ ،
اجزاء .

(و) الروائع ، رقم ١٨ - ٢٠ ، الرفاعي ، عصر المأمون ، ٣ ،
٨٤ - ١٢٧ .

(ح) انظر بروكلمان ، اصف مدام دي لاسال ، الجاحظ ،
القزويني والدميري في كتبهما حول الحيوانات ، في الثريا ،
رقم ١ ، كانون الاول ، ١٩٤٣ .

(ط) عدل عبد اللطيف البغدادي خلاصات عن هذا الكتاب
(انظر ابن ابي اصيبعة ، ٢ ، ٢١٢) وابن سناء الملك
(ارشاد ، ٧ ، ٢٣٦) .

(١) بدأ تأليفه قبل ٢٣٢ هـ . ولكنه لم يكمله إلا حوالي سنة ٢٥٠ هـ .

(٢) ابن النديم ، : والحيوان في سبعة اجزاء ، اضاف اليه كتاب النساء او الفرق بين
الذكر والانثى وكتاب البغال ، ورأيت هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن
سليمان ويكنى ابا يحيى وراق الجاحظ ، وقد اضيف اليه كتاب الابل وهو ليس من
كلام الجاحظ (ص ٢٠٩) . وذكر الجاحظ في صدر كتاب البغال أنه عمل نسق سائر
اجزاء الحيوان . ولهذا ينبغي بنظري ان يضم الى كتاب الحيوان ليشكل الجزء الثامن
منه .

ان نص الطبعة الاخيرة قيم في مجمله ، ويمكن ان يحسن
بفضل المخطوطة المشهورة (تاريخها ١٠٢٤هـ) التي اشار
اليها أو . اوفقرين . . . ، اوبسيلا لينبرغ ١٩٤٦ .

٦٨ - كتاب الحزم والعزم .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٤ ب (١) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤١ ، السندوي ، رقم ٥٨ .

٦٩ x - كتاب الحجاب وذمه .

ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٤٢ ، السندوي ، رقم ٥٥ .

ب (الخفاجي ، الطراز ، ٧٢ - ٩٧ .

د (الموصل ، ٢٦٥ ، داماد ، ٩٤٩ .

و (الخفاجي ، اعلاه ، رسائل ، ١٥٥ - ١٨٦ .

ز (منتخبات ، ٥٣٣ - ٥٥٠ .

ط (يشك السندوي في حقيقته (٢) .

٧٠ - رسالة في الحلبة .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ أ

(الحلبة) (٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٧٦ ، السندوي ، رقم ٦٠

(الحلبة) .

ح (لا نعرف اذا كان يجب ان نقرأ حلبة او حلية .

كتاب ما بين الحيل والمخارق . انظر نبي .

٧١ - كتاب الحجفة في تثبيت النبوة ، انظر نبوة .

٧٢ - كتاب خصومه (خصام) العول (الحول) والعود (الاعور) .

(١) عينه ، ٢١١ .

(٢) وطبعة عبد السلام هارون ضمن رسائل الجاحظ ، الجزء الثاني ، ص ٢٩ - ٨٥ .

ولا داع للشك في نسبه للجاحظ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٢ .

- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتيبي ، ١٥٥ ب^(١)) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٧ (اورد خطأ القول والمور) ،
السندوبي ، رقم ٦٥ .
- ٧٣ - كتاب خبر الواحد .
- ب (الباقلاني ، ٢ ، ١٤٤ .
- ٧٤ - رسالة في الخراج الى ابي النجم .
- أ (قبل ٢٣٢ هـ .
- ب (الجد والهزل ، ٦١ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ب^(٢)) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ١٩ ، السندوبي ، رقم ٦٤ .
- ح (مجموع ، ٦١ .
- ٧٥ - كتاب الموازنة بين حق الخوذة والعمومة .
- أ (قبل ٢٣٢ هـ .
- ب (الحيوان ، ١ ، ٥٢ .
- ج (بروكلمان ، رقم ٦١ .
- xx - كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٧ ، رقم ٥ ، ٢ ، ١٥٩ ، السندوبي ، ص ،
١٥٣ .
- د (المتحف البريطاني ، ٦٨٤ .
- هـ (طبعة م . راغب الطبايع ، حلب ، ١٩٢٨/١٣٤٦ .
- ح (كرنكوفي ر . أ . أ . د . ٩ ، ٥٥٨ - ٥٦٢ .
- ط (هذا الكتاب واضح النحل ، ويعتقد السندوبي انه ينبغي نسبته
الى المحاسبي ، انظر العبر .
- كتاب الدلالة على ان الامامة فرض ، انظر الامامة .

(١) عينه ، ٢١٢ .

(٢) عينه ، ٢١١ .

٧٦ x - كتاب فصل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور
والاناث^(١) .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٤ .

(ج) بروكلمان ٢٤٥ ، رقم ٤٦ ، السندوبي ، رقم ١٠٨ .

(د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

(هـ) رسائل ، ٢٦٦ - ٢٧٥ (النساء)^(٢) .

(ح) من المحتمل ان الصفحات المطبوعة مع رسالة في العشق
بعنوان العشق والنساء تنتمي الى هذا الكتاب الذي قال عنه
الجاحظ (الحيوان ، ١ ، ٤) :

« وعبثني بكتاب فصل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور
والاناث وفي اي موضع يغلبن ويفضلن ، وفي اي موضع يكن
المغلوبات والمفضولات ، ونصيب ايهما في الولد اوفر ، وفي
اي موضع يكون حقهن اوجب ، واي عمل هو بهن اليق ، واي
صناعة هن فيها ابلغ^(٣) »

٧٧ - كتاب الزرع والنخل والزيتون والاعناب .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٤ ، البيان ، ١ ، ٢٣٠ ، ارشاد ، ٦ ،

١٦/٧٦ ، ١٠٦ ، الجد ، ٦١ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٠ ، السندوبي ، رقم ٨٢ .

(١) آثار الجاحظ ، ص ١٠٠ - ١٠٦ .

(٢) يقول ابن النديم ص ٢٠٩ ، ان كتاب النساء هو نفسه كتاب الفرق بين الذكر
والانثى .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ .

ح) اهدى هذا الكتاب الى ابراهيم بن عباس الصولي الذي اجاز
الجاحظ بخمسة آلاف دينار .

٧٨ - كتاب في ذم الزمان .

ب) العقد ، ١ ، ٣١٦ (طبعة ١٩٤٠ ، ٢ ، ١٧٥) .

و) العقد ، اعلاه ، رسائل ، ٣١٠ - ٣١١ ، الجمهرة ، ٤ ، ٥٣ -

٥٥ الرفاعي ، عصر المأمون ، ٣ ، ٨٠ - ٨٢^(١) .

ز) ترجمة فرنسية في ت أم ، الجزائر ، ١٩٤٧ .

معارضات الزيدية .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ .

ج) السندوبي ، رقم ١٣٧ .

ح) الحيوان ، ١ ، ٩ ، يشير الى موقف سياسي ديني ، لا الى

عنوان كتاب :

« وعبت معارضتي للزيدية وتفضيلي الاعتزال على كل نحلة » .



٧٩ - كتاب حكاية قول اصناف الزيدية .

أ) قبل ٢٣٢ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، بالكتبي ١٥٣ ب ، الصفدي

١٣٤^(٢) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ١٨ ، السندوبي ، رقم ٥٩ .

٨٠ x - كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة .

أ) قبل ٢٣٢ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٢ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،

الكتبي ، ١٥٣ ب ، الصفدي ١٣٤^(٣) .

(١) وآثار الجاحظ ، ص ١٦٩ - ١٧ .

(٢) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٣) عينه ، ٢١٠ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ٥ ، السندوبي ، رقم ٦٨ .
د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
و) طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٩١ - ٣٠١ .
٨١ - كتاب ذم الزنا .

ب) ارشاد ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتيبي ١٥٦ (١) .
ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٢ ، السندوبي ، رقم ٧٠
سلوة الخريف في المناظرة بين الربيع والخريف .
ب) الصفدي ، ١٣٤ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٧ ، ٤ ، السندوبي ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .
د) انظر بروكلمان .

هـ) طبعة القسطنطينية ، ١٣٠٢/١٨٨٤ ، طبعة بيروت ١٣٢٠ .
و) شيخو ، علم الادب ، ١ ، ١٩١٤ ، ٢٤٤ - ٢٤٦ .

ط) بما ان الجاحظ كتب مناظرة بين الصيف والشتاء (انظر شتاء) .
فهذه يمكن بسهولة ان تنسب اليه . ان العنوان وحده يكفي ،
بقافيته ليظهر صفة التحل .
كتاب سر البيان .

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٦٠ .
د) كوبرلي ، ١٢٨٤ .

ط) هذا النص هو عمل الجاحظ الصغير .

XX ٨٢ - كتاب كتمان السر وحفظ اللسان .

ب) ارشاد ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٥ (٢) .

ج) بروكلمان ٢٤٣ ، رقم ٣٧ ، السندوبي ، رقم ١٢٠ .

د) داماد ، ٩٤٩ ، الموصل ، برلين ٥٠٣٢ (انظر اوريان

١٩٥٤ ، ٨٥)

(١) بن النديم ، ٢١١

(٢) عينه ٢١١ . (رسالة في كتمان السر)

(هـ) مجموع ، ٣٧ - ٦٠ (١)

٨٣ xx - كتاب فخر السودان على البيضان .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ، ب ،

الصفدي ١٣٤ ؛ المسعودي ، مروج ، ١ ، ١١ (٢)

(ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ١٩ ، السندوبي ، رقم ١٠٠ .

(د) داماد ، ٩٤٩ ، الموصل ٢٦٥ ، هـ .

(هـ) اوبسكولا (فلوتن) ٥٧ - ٨٥ ، ١١ رسالة ، ٥٤ - ٨١ (٣)

(ز) منتخبات (ريشر) ٢١٠ - ٢١٢ ، ترجمة المانية بقلم أو .

ريشر في اوريان مجلن ، ٢ ، ١٤٦ - ١٨٦ .

مفاخرة السودان والحرمان .

(ح) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٦ ، السندوبي ، رقم ١٤١ .

(ط) يستنتج من الصفحة المثبتة ادناه (انظر المرحاء) انه لا

ينبغي ان نرى هناك مؤلفاً مستقلاً .

رسالة في اثم السكر

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ١٥٥ (٤)

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٤ ، السندوبي رقم ٣ .

٨٥ - كتاب السلطان واعمال اخلاق اهله .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (٥)

(ج) بروكلمان ٢٤٥ ، رقم ٥٧ ، السندوبي ، رقم ٨٣ .

٨٦ - كتاب شرائع المروة .

(ج) الالوسي ، البلوغ ، ٢ ، ١٨٧ .

(١) رسائل الجاحظ ، الجزء الاول ص ١٣٥ - ١٧٢ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ ، (فضل السودان على البيضان) .

(٣) المصدر عينه ، ٢١١ ، رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ١٧٣

(٤) عينه ، ٢١١ .

(٥) عينه ، ٢١١ .

- ٨٧ × - رسالة في الشارب والمشروب .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ب^(١) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٥ ، السندويي ، رقم ٨٤ .
- د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
- و (طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٥١ - ٢٦٩ ، رسائل ، ٢٧٦ - ٢٨٤^(٢) .
- ز (منتخبات (ريشر) ١٦٣ - ١٦٨ .
- ٨٨ × - رسالة في بيان مذاهب الشيعة .
- ب (العقد ، ١ ، ٣٥٤ .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٢ ، السندويي ، رقم ٤٠ .
- د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
- و (١١ رسالة ، ١٧٨ ، ١٨٥ .
- ط (ان قسم الرسالة المطبوع تحت هذا العنوان يوجد في مخطوطة المتحف البريطاني مع العناوين : استحقاق الامامة ومقالة الزيدية . وهذا يعني التأكيد ان الكتاب واحد .
- الشهاب في الشيب والشباب .
- هـ (طبعة اسطنبول ، ١٣٠٢ .
- ز (منتخبات (ريشر) ٤٩٨ - ٥٢٧ .
- ط (العنوان وحده يظهر ان الكتاب مزيف .
- كتاب الشعر والشعراء .
- ب (البغدادي ، الخزانة ، ١ ، ٣٤ .

(١) عينه ، ٢١٠ .

(٢) آثار الجاحظ ، ص ١١٤ - ١٢٤ .

ط (يذكر البغدادي في عداد مصادره البيان وكتاب المحاسن
وكتاب الشعر والشعراء للجاحظ ، ولكن من المحتمل انه يريد
الكلام على كتاب ابن قتيبة .

٨٩ - كتاب افتخار الشتاء والصيف .

ب (الجواربي (١٦٤ ب = ٦ من طبعتنا التي هي قيد
التحضير)^(١) . ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤

ب .

ج (السندوبي ، رقم ٢٣ .

٩٠ - كتاب اخلاق الشطار .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥)^(٢) .

ج (بروكلمان ، ٢٥٤ ، رقم ٦٧ السندوبي ، رقم ١٠ .

٩١ - كتاب الشعبية .

ب (البخلاء (اريكيا ، ٢/١٩٥٥ ، ٣٢٣) .

٩٢ - كتاب الصوالة . مركز تحقيق وتوثيق علوم اسلامی

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤)^(٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٧٤ ، السندوبي ، رقم ٨٧ .

القول في الفرق بين الصدق والكذب .

أ (قبل ٢٣٢ .

ب (الحيوان ، ١ ، ٤ .

ط (الحيوان : والقول في الفرق بين الصدق اذا كان ضاراً في

العاجل والكذب اذا كان نافعاً في الاجل ، ولم جعل الصدق

ابداً محموداً والكذب ابداً مذموماً .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٢) ابن النديم ، ٢١٢ .

(٣) عينه ، ٢١١ .

من المحتمل انه لا يعني مؤلفاً مستقلاً ، بل يعني الاشارة فقط الى
صفحة من كتاب البخلاء حول الصدق والكذب .

٩٣ - كتاب غش الصناعات .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٢ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ،
١٥٥ أ ، البغدادي ، الفرق ، ٦٣ ، الاسفراييني ، ٩٩ (١) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٣ ، السندوبي ، رقم ٩٩ .

(ط) هذا ما قاله عنه الاسفراييني : « ومن كتبه ما صنفه في غش
الصناعات افسد بذلك على المفجدين (التجار) اموالهم وحث
بذلك الناس على الغش والخيانة » .

كتاب صناعة الكلام ، انظر كلام .

٩٤ - اقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٤ ، ٤ ، ارشاد ، ٥٧ ، السودان ، ٥١٠ ، ٣ ، ٤ ، ١ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (٢) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٢ ، السندوبي ، رقم ٢٥ .

(ط) انظر الزرع .

٩٥ - كتاب الصرحاء والهجناء .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٤ ، ٤ ، ١ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (٢) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٥ ، السندوبي ، رقم ٨٥ .

(ج) الحيوان ، ٣ ، ٥١٠ : « فاما الهجناء والمدح ومفاخرة السودان

(١) عينه ، ٢١٢ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

والحمران فان ذلك كله مجموع في كتاب الهجاء والصرحاء .

٩٦ - نقض الطب

- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ب ، ابن
ابي اصيعة ، ١ ، ٣١٦ ، ٢ ، ٢٢ ، ابن القفطي ، ٤٣٨^(١) .
ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٧٢ ، السندوي ، رقم ١٥٣ .
ح (هيرشفلد ، ٢٠٢ ، وستنفلد ، ارتز ، ٤٥ ، رقم ٦٠ .
ط (نقض من قبل ابي بكر الرازي وابن مندويه (ابن ابي اصيعة
وابن القفطي ، اعلاه) .

٩٧ - كتاب الطفيليين .

- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الصفدي ١٥٤^(٢) .
ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٤ ، السندوي ، رقم ٨٩ .
٩٨ x - كتاب العباسية .
أ (قبل ٢٣٢ هـ .
ب (الحيوان ، ١ ، ١٢ ، الخياط ، ١٧٢ ، الخياط ،
النهج ، ٤ ، ٩٧ - ٩٨ .
ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ١٧ ، السندوي ، رقم ٩١ .
و (النهج ، ٤ ، ٩٨ - ٩٩ ، رسائل ، ٣٠٠ - ٣٠٣ .
ط (من المحتمل ان يكون مؤلفاً يحمل عنوان امامة ولد (بني)
العباس .

الحيوان ، ١ ، ١٢ : « عتني بكتاب العباسية ، فهلا عتني
بحكاية مقالة من أبي وجوب الامامة الخ » . . .

(١) عينه ، ٢١١ .

(٢) عينه ، ٢١١ .

- ×× ٩٩ - كتاب فضل ما بين عبد شمس وبني هاشم .
 أ) قبل . ب . ارشاد ، ٦ ، ٧٦ / ١٦ ، ١٠٧ الكتبي
 . ب . ١٥٤ .
- ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣ ، السندوبي رقم ١٠١^(١) .
 ×× ١٠٠ - رسالة في فصل ما بين العداوة والحسد .
 ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٤١ .
 د) الموصل ، ٢٦٥ ، داماد ، ٩٤٩ .
 هـ) مجموع ، ٩٩ - ١٢٤^(٢) .
- ١٠١ - رسالة في العفو والصفح .
 ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٨ (١٦ ناقصة) ، الكتبي ، ١٥٥ أ ،^(٣) .
 ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٨ ، السندوبي ، رقم ٩٧ .
 ١٠٢ - كتاب ذوي العاهات .
 ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٨ / ١٦ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ أ^(٤) .
 ط) ضمن الجوارح والمرجان .
 عالم ، انظر احذوثة العالم .
- ×× ١٠٣ - كتاب تصويب علي في تحكيم الحكيم .
 ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٦ / ١٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب
 (تصويب علي في امر . .)^(٥) .
 ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١٥ ، السندوبي ، رقم ٤٣ ،
 ZDMG ، ١١٤ ، ٧٧ .
 د) انظر سنتاريو امري ، ١ ، ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(١) نشر في « آثار الجاحظ » ، ص ١٩٣ - ٢٤٠ .

(٢) رسائل الجاحظ ، الجزء الاول ، ص ٣٣٧ - ٣٧٣ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٢ .

(٤) هينه ، ٢١١ .

(٥) ابن النديم ، ٢١٠ .

هـ (نصوص^(١)) .

و (السندويي ، ص ١٢٨ (عشرة اسطر) .

ح (غريفيي ، في سنتاريو ميشال امري ، ١ ، ٤٠٣ - ٤٠٤
(في الحكمين وتصويب امير المؤمنين علي بن ابي
طالب) ، لغة العرب ، ٩ ، ٤٩٧ - ٥٠١ (في اثبات امير
المؤمنين ...) .

ط (قدم السندويي ، ١٢٨ ، منتخبات دون ذكر المصدر ،
ومن الممكن ان تكون المخطوطة المذكورة تحت رقم ٧٠
التي تحوي قسماً من كتاب امامة معاوية ، منتخبات من
تصويب علي ، انا نتوخى بهذا الصدد التفتيش عن اوسع
الايضاحات .

١٠٤ - كتاب العالم والجاهل .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥^(٢)) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٢ ، السندويي ، رقم ٩٠ .
ذم عمل السلطان ، انظر كتاب السلطان .

١٠٥ - رسالة في من يسمى من الشعراء عمراً .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥^(٣)) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٩ ، السندويي ، رقم ١٤٦ .

ط (يعتقد بروكلمان انه يوجد التباس مع الكتاب الحامل للعنوان
ذاته لصاحبه م . بن داود بن الجراح (انظر بروكلمان ، ١ ،
٢٢٥) ولكن ليس من المستحيل ان يكون الجاحظ الذي
يسمى عمراً قد الف هذا الكتاب .

(١) نشرت في مجلة المشرق ، ١٩٥٨ ، تحقيق شارل بلا .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

(٣) عينه ، ٢١١ .

١٠٦ - كتاب التسوية بين العرب والمعجم .

أ) قبل ٢٣٢ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٥ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٨ ،
الكتبي ، ١٥٤ ب^(١) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٩ ، السندويي ، رقم ٩٣ .

ط) النص الوارد في الحيوان ، ١ ، ٥ ، يظهر ان هذا الكتاب
يختلف عن التالي : « وعيتني بكتاب العرب والمعجم ،
وزعمت ان القول في فرق ما بين العرب والمعجم هو القول في
فرق ما بين الموالي والعرب ، ونسبتني الى التكرار والترداد ،
والى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل وحمل الناس
المؤن » .



١٠٧ - كتاب العرب والموالي .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٥ ، العقد ، ٢ ، ٢٦٢ ، البغدادي ،
الفرق ، ١٦٢ (فضل العرب على الموالي) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٨ ، السندويي ، رقم ٩٤ .

و) العقد ، ٢ ، ٢٦٢ .

ط) الحيوان ، ١ ، ٥ : « وعيتني بكتاب العرب والموالي وزعمت
اني بختت الموالي حقوقهم كما اني اعطيت العرب ما ليس
لهم .

وفي النابتة : « كتبت كتباً في رد الموالي الى مكانهم من الفضل
والنقص ، والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من
الشرف ، وارجو ان يكون عدلاً بينهم وداعية الى صلاحهم .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

- ١٠٨ - رسالة في وصف العوام .
- ب (الخفاجي ، الطراز ، ٢ ، ١٧٥ - ١٧٦ .
- و (الخفاجي ، الطراز ، ٢ ، ١٧٥ - ١٧٦ .
- و (نفسه .
- ز (منتخبات (ريشر) ٥٥٠ - ٥٥٢ .
- xx كتاب العبر والاعتبار .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١١ .
- ح (انه عنوان آخر للكتاب المنحول المدعو بالدلائل والاعتبار ، ولكن بروكلمان يميز بينهما تمييزاً لا مبرر له^(١) .
- ١٠٩ - كتاب فضل العلم .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتيبي ١٥٤ ب^(٢) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٩ ، السندوبي ، رقم ١٠٩ .
- xx باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٥ .
- د (ليد ، ١٢١٠ .
- هـ (طبع ك . انستراتسف ، في زايشي الفرع الشرقي سنأرسبول ، ١٨ ، سان بترسبورغ ، ١٩٠٧ .
- ز (ترجمة روسية ، نفسه .
- ط (هذا المؤلف واضح النحل .
- ١١٠ - كتاب العرس والعروس .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢١ .
- x ١١١ - رسالة في العشق .

(١) ابن النديم ، ٢١١ (التفكير والاعتبار) .

(٢) عينه ، ٢١١ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٥ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ،
الصفدي ، ١٣٤ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٠ ، السندوبي ، رقم ٩٦ .

د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

و) هامش الكامل ، ١ ، ٣٠ - ١٦٦ ، ١١ رسالة ، ١٦١ -

١٦٩ ، رسائل ، ٢٦٦ - ٢٧٥ (كتاب في النساء) ،

المستطرف ، ٢ ، ٢١٧ .

ز) منتخبات (ريشر) ، ١٨٨ - ١٩٤ .

ط) ان كاتب الاصل المعتمد من قبل مختلف الناشرين مزج

بوضوح عدة رسائل ، وبصورة خاصة الرسالة في العشق

والرسالة في النساء اللتين كانتا مستقلتين (انظر رقم

١٤٦) .

كتاب عصام المرید (انظر غنام المرتد) .

ذم العلوم ومدخلها .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٤ .

د) الفاتح ، ٣٨٩٨ .

هـ) طبعة بلا في المشرق ١٩٥٦ .

ط) الامر بكل تأكيد نسبة خاطئة .

١١٢ - رسالة الى ابي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الاولياء .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ١٥٥ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٠ ، السندوبي ، رقم ٢٩ .

١١٣ x - كتاب المرجان والبرصان والقرعان .

أ) قبل ٢٤٠ .

ب) البيان ، ٣ ، ٧٤ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ٢٠٧ ،

- السيوطي ، البغية ، ٣٦٥ (١) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٣ ، السندويي ، رقم ٩٥ .
- ط (ضمن الجوارح (٢) .
- ×× ١١٤ - كتاب (مقالات) العثمانية .
- أ (قبل ٢٣٢ هـ .
- ب (الحيوان ، ١ ، ٢ ، وارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،
- الكتبي ، ١٥٣ ب ، ابن قتيبة ، مختلف ، ٧١ ، النهج ، ٣ ،
- ٢٥٣ ، المسعودي ، مروج ، ٤ ، ٥٦ ، (٣) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ٨ ، السندويي ، رقم ٩٢ .
- د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ ، كوبرلي ، ٨١٥ .
- هـ (طبعة ع . س . هارون ، القاهرة ، ١٣٧٤/١٩٥٥ .
- و (النهج ، اعلاه ، رسائل ، ١ - ١٢ (مع نقض الاسكافي
- المستخرج من النهج) .
- ط (انظر ارابيكا ٣/١٩٥٦ - اثر نقدي .
- ١١٥ - كتاب مسائل العثمانية .
- ب (المسعودي ، مروج ، ٦ ، ٥٧ .
- ج (السندويي ، رقم ١٣١ .
- ط (انه تنمة للكتاب السابق . يقول المسعودي : « يذكر فيه ما
- فاته ذكره ونقضه عند نفسه من فضائل امير المؤمنين علي
- ومناقبه فيما ذكرنا (اقرأ : كما ذكرنا) .
- ١١٦ - كتاب الرد على العثمانية .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب ،

(١) ابن النديم ، ٢١٠ (المرجان والبرصان) .

(٢) طبع في دار الاعتصام للنشر ، القاهرة ١٩٤٥ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ (العثمانية) .

الصفدي ١٣٤ (١)

ج (السندوبي ، رقم ٧٩ .

١١٧ - كتاب بصيرة غنام المرتد .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب (الحيوان ، ١ ، ٩ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ (عصام

المريد) ، الكتبي ، ١٥٣ ب (عصام المرتد) (٢)

ج (بروكلمان ٢٤٥ ، رقم ١٧ ، السندوبي ، رقم ٣٧ .

ط (انه مرتد حرق في عام ٨٣٩/٢٢٤ ، انظر R. S. O. ، ١٣ ،

١٤٤ ، الحيوان ١ ، ٩ ، ثم عبت انكاري بصيرة غنام

المرتد وبصيرة كل جاحد وملحد وتفرقي بين اعتراض الغنم

وبين استبصار الحق .

١١٨ - القول في الفرق بين الغيرة واضاعة الحرمة .

ب (الحيوان ، ١ ، ٤ .

ط (ان نص الحيوان الذي ذكرت فيه هذه الدراسة حول الغيرة ورد

بعد ذكر كتاب البخلاء حيث يعالج بالتأكيد هذا الموضوع

ولكن دون ان يعطيه التوسيع الذي يفترضه ما يلي : « الفرق

بين الغيرة واضاعة الحرمة وبين الافراط في الحمية والانفة

وبين التخصير في حفظ حق الحرمة وقلة الاكتراث لسؤ القلة ،

وهل الغيرة اكتساب وعادة الخ » . ويمكن ان نفكر بوجود

مؤلف مستقل .

كتاب مفاخرة الغلمان والجواري ، (انظر الجواري) .

كتاب غش الصناعات ، انظر صناعات .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٢) عينه ، ٢١٠ (غنام المرتد) .

١١٩ - كتاب فضل الفرس على الهملاج .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٥^(١)) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٧٧ ، السندويي ، رقم ١١٠) .

ط (في الارشاد ، الذي اورد . كتاب فضل الفرس . كتاب على

الهملاج ، يجب ان نقرأ الفرس ونحذف كلمة كتاب .

كتاب فرط جهل الكندي (انظر كندي) .

١٢٠ - كتاب في الفرق الاسلامية .

ب (ابو الفداء ، التاريخ ، ١١ ، ٥٠) .

١٢١ - كتاب الفتيان .

ب (الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتيبي ١٥٤) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، السندويي ، رقم ١١) .

ط (في كتاب التاج ، انظر ترجمة بلاء ، ١٣ ، ٢٨ ، اشارة الى كتاب

اخلاق الفتيان وفضائل البطالة ، وهو لا يزال موضع شك .

١٢٢ × - رسالة في فنون شتى مستحسنة .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٦١) .

د (انظر بروكلمان) .

١٢٣ - كتاب اصول الفتيا (والاحكام)

أ (قبل ٢٣٢ هـ) .

ب (الحيوان ، ١ ، ٩ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،

الكتيبي ، ١٥٤ ب . البغدادي ، الفرق ، ١٦٢^(٢)) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٤ ، السندويي ، رقم ٢١) .

ط (الحيوان ، ١ ، ٩ : وعبثي كتابي في القول في اصول

(١) ابن النديم ، ٢١٢ .

(٢) عنه ، ٢١١ (الفتيا) .

الفتيا والاحكام « البغدادي ، ١٦٢ : « وهو مشحون بطعن
استاذ النظام على اعلام الصحابة » .

× × ١٢٤ - رسالة الى ابي عبدالله احمد بن ابي دؤاد الايادي ، يخبره فيها
بكتاب الفتيا .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٤٠ .

(د) داماد ، ٩٤٩ ، الموصل ، ٢٦٥ .

(هـ) طبعة د . جليبي ، في لغة العرب ، ٨ ، ٦٨٦ - ٦٩٠ (١) .

× ١٢٥ - كتاب القحطانية والمدنانية .

(أ) قبل ٢٣٢ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٤ ، النابتة ، ترجمة هلا ، ٣٢٥ ، ارشاد ، ٦ ، ٧٦ /

١٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ، البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٧ ، السندوي ، رقم ١١٤ .

(ط) السودان ، ٨٥ ، أوردت العنوان التالي : كتاب مفاخر القحطانية

والكنانية وسائر المدنانية . ونقرأ في الحيوان ١ ، ٤ - ٥ : « وهبني

بكتاب القحطانية (وكتاب) المدنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت

أني تجاوزت فيه حد الحمية الى حد العصبية ، وإني لم أصل الى تفضيل

المدنانية إلا بنقص القحطانية » .

وجاء في كتاب النابتة : « كتبت كتاباً في مفاخرة قحطان وفي تفضيل

عدنان » . وهذا ما يشير افتراضاً بأن الجاحظ هو مؤلف عدة كتب حول

هذا الموضوع (٢) .

١٢٦ - رسالة في الرد على القولية .

(١) رسائل الجاحظ ، الجزء الاول ، ص ٣٠٩ - ٣١٩ وهي رسالة الى احمد بن ابي دؤاد
يخبره فيها بكتاب الفتيا .

(٢) بن النديم ، ٢١١ (فخر القحطانية والمدنانية)

- (ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦ / ٧٨ ، ١١٠ (١) .
- (ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢١ ، السنديوي ، رقم ٧٤ .
- ١٢٧ - كتاب في القحاب .
- (ب) البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ ، اسفراييني ، ٤٩ ب .
- (ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤٧ ، السنديوي ، رقم ١١٣ .
- (ط) انظر كتاب .
- ١٢٨ x - رسالة القيان (٢) .
- (ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥١ ، السنديوي ، رقم ١١٨ .
- (د) داماد ، ٩٤٩ ، الموصل ، ٢٦٥ .
- (هـ) ٣ رسائل (فنكل) ٥٣ - ٧٥ (٣) .
- (ز) منتخبات (ريشر) ، ٧٨ - ١٠٠ ، ترجمة فرنسية قيد الاعداد .
- ١٢٩ - كتاب احالة القدرة على الظلم .
- (ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦ / ٧٧ ، ١٠٨ ، الكتيبي ، ١٥٤ (١) .
- ١٣٠ - كتاب في القضاة والوزراء والولاة .
- (ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦ / ٧٨ ، ١١٠ ، الكتيبي ، ١٥٥ (٥) .
- (ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٥٥ ، السنديوي ، رقم ١١٥ .
- (ط) ضمن اخلاق الوزراء .
- ١٣١ - كتاب القرآن .
- (ج) السنديوي ، رقم ١٣٣ .
- (ط) انظر مسائل القرآن .
- ١٣٢ - كتاب آي القرآن .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٣) رسائل الجاحظ ، ١٤٣ - ١٨١ ، آثار الجاحظ ، ٦٦ - ٩٤ .

(٤) ابن النديم ، ٢١١ .

(٥) عينه ، ٢١٢ .

(أ) قبل ٢٣٢ .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤^(١) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ١٢ ، السندويي ، رقم ١٢ .

(ط) الحيوان ، ٣ ، ٨٦ : وولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن لتعرف بها فصل ما بين الایجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الایجاز والجمع للمعاني الخ

× ١٣٣ - كتاب خلق القرآن .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٩ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤ ، ٢ ، ١٥٩ ، السندويي ، رقم ٦٦ .

(د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

(و) نصوص^(٢) .



١٣٤ - كتاب مسائل القرآن^(٣) .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب .

(ط) يمكن ان يكون كتاب المسائل . انظر اعلاه .

١٣٥ - كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن .

(هـ) (أ) قبل ٢٣٢ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦ / ٧٦ ، ١٠٧ ، فهرست ٥٧ ،

الباقلاني ، ٦ ، ٦ ، الكتبي ١٥٣ ، ب ، الخياط ، ٢٢ ، ١٥٤ ،

(٤) .

(١) عينه ، ٢١١ (الفضاة والولة) .

(٢) آثار الجاحظ ، ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ (كتاب المسائل في القرآن) .

(٤) ابن النديم ، ٢١٠ (نظم القرآن) .

ج) بروكلمان ٢٤٤ ، رقم ٥ ، السندويي رقم ٦ .
ط) أنظر ما قاله الباقلاني : « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم
يزد فيه على مقاله المتكلمون قبله ، ولم يكتشف عما يلبس في أكثر هذا
المعنى » .

وجاء في الحيوان ١ ، ٩ : « عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن
وغريب تأليفه وبديع تركيبه ^(١) »

١٣٦ - كتاب مفاخرات قریش .

ب) النهج ، ٣ ، ٢٣ .

و) نفسه .

ط) من المحتمل أن يكون هو المؤلف ذو العنوان : كتاب فضل هاشم على
عبد شمس .



xx ١٣٧ - رسالة في صناعة القواد .

أ) قبل ٢٢٢ و ٢٢٧ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الحصري ، الجمع ، ١٤٢ -
١٤٨ ^(٢) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٣ ، السندويي ، رقم ١١٧ .

د) داماد ، ٩٤٩ .

(١) في آثار الجاحظ ، ص ٢٦٤ - ٢٧٠ . نجد بعض أفكار الجاحظ حول الاحتجاج
لنظم القرآن ، وهو يعتبر نظم القرآن معجزة ودلالة على النبوة . كما نجد الجاحظ
يذكر هذا الكتاب في سياق كتاب « خلق القرآن » : « فلم ادع فيه مسألة لرافضي
ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مباد ولا لمنافق مفسوع ولا لاصحاب النظام ولن
نجم بعد النظام ومن يزعم ان القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس
ببرهان ولا دلالة » .

(٢) ابن السديم ، ٢١٠ (القواد) ، اورد الحصري رسالة الجاحظ الى المتصم في
الحظ على تعليم اولاده ضرور العلم وانواع الاداب في ذيل زهر الاداب
(المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٥٣ هـ) ص ١١٦ - ١٢٠ .

و) الحصري ، أعلاه ، رسائل ، ٢٦٠ - ٢٦٥ ، د . جلي ، في لغة العرب ، ٩ ، ٢٦ - ٢٨ .

ز) منتخبات (ريشر) ، ٥٢٧ - ٥٣٣ .

ط) الكتيب نفسه يحمل العناوين التالية : ذم القواد ، طبائع القواد ، ورسالة الى المعتصم في الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب (أنظر بروكلمان ، ٢ ، ١٥٩) .

١٣٨ - كتاب فضيلة (فضل) الكلام .

ب) الصفدي ، ١٣٤ ، ابن أبي أصيبعة ، ١ ، ٣١٦ ، ابن القفطي ، ٢٧٤ (١) .

ج) السندوبي ، رقم ١١٢ .

ح) نقض من قبل أبي بكر الرازي كما أشار ابن أبي أصيبعة وابن القفطي .

١٣٩ - كتاب صناعة (صياغة) الكلام .

ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٦ / ١٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ، أ ، المسعودي ، مروج ، ٨ ، ٤٣١ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، السندوبي ، رقم ٤٥ ، ورقم ٨٦ .

د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

و) هامش الكامل ، ٢ ، ٢٣٨ - ٢٤٦ .

ز) منتخبات (ريشر) ١٥٩ - ١٦٣ .

ط) ان الحيوان ، ١ ، ٧ ، يذكر الرسائل الهاشمية دون أن يتمكن من

تثبيت محتواها . بينما يعلن المسعودي ، ٨ ، ٤٣١ ، أن كتاب الجاحظ

في تفصيل صناعة الكلام معروف باسم الرسائل الهاشمية .

(١) عينه ، ٢١٠ (صناعة الكلام) .

١٤٠ - رسالة في الكرم الى ابي الفرج بن نجاح .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ (١) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٣ ، السندوي ، رقم ١٢١ .

في R.S.O. ، ١٢ ، ٤٤٥ - ٤٥١ ، إن الرسالة المطبوعة تحت هذا الإسم

ليست رسالة في الكرم وإنما هي طلب جوائز (أنظر رقم ٣ أعلاه) .

١٤١ - كتاب الكبر المستحسن والمستفيع .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٤ ب (٢) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٤ ، السندوي ، رقم ١١٩

ط (من المتحمل ان يكون هذا عنواناً آخر للكتيب المشار اليه في

الرقم ١٢٨ .

١٤٢ - كتاب الكلاب

ب (البغدادي ، الفرق ١٦٢ ، الإسفراني ، التبصير ، ٤٩ ب .

ج (السندوي ، رقم ١٢٢ .

ط (البغدادي يقول : « كتبه في القحاب والكلاب واللاطة » .

١٤٣ - كتاب (كتمان) الكيمياء

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتيبي ، ١٥٥ أ ، الصفدي ،

١٣٤ (٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٧١ ، السندوي ، رقم ١٢٣ .

١٤٤ - رسالة في فرط جهل يعقوب بين اسحق الكندي .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٥ أ ، الصفدي ، ١٣٤ (٤) .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) هينه ، ٢١١ .

(٣) هينه ، ٢١١ (رسالة في كميات الكيمياء) .

(٤) هينه ، ٢١١ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ١٠٢ ، السندويي رقم ١٠٣ .
ط) يعني الفيلسوف الكندي .

انظر رسالة في كتمان السر ، انظر سر .

١٤٥ - رسالة في ذم اخلاق الكتاب .

ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٨ / ١٦ ، ١٠٩ . الكتبي ، ١٥٥ أ ، عبدالله
البغدادي الحجاب كتاب الحجاب ، طبعة سورول ، في B.E.O ، دمشق
١٤ ، ١٩٥٢ - ١٩٥٤ (١٢٤) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٠ ، السندويي ، رقم ٦٩ .

د) داماد ، ٩٤٩ ، الموصل ٢٦٥ .

هـ) هامش الكامل ، ٣ رسائل (فنكل) ٤٠ - ٥٢ (٣) .

ز) منتخبات (ريشر) ٦٧ - ٧٧ ، ترجمة فرنسية ، يسلا ،
في هسبري ، ١٩٥٦ ، ٢٩ - ٥٠ .

ح) لغة العرب ، ٩ ، ٦٢٠ - ٦٢١ .

ط) النص الذي انتهى الينا لا يمثل الرسالة الأصلية ، إنه مقتطفات لا يوجد
منها سوى بضع صفحات للجاحظ .
١٤٦ - رسالة في مدح الكتاب :

ب) ارشاد ، ٦ ، ٧٨ / ١٦ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ أ (٣) .

ج) السندويي ، رقم ١٢٦ .

رسالة في فضل اتخاذ (مدح) الكتب .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) رسائل الجاحظ ، ٢ ، ١٨٣ - ٢٠٩ .

(٣) ابن النديم ، ٢١١ .

- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩)^(١) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٥ ، السندويي ، رقم ١٠٧)
- د (افكاف ، ٣٤٤٨ .
- ط (انه مجرد منتخبات من كتاب الحيوان ، ١ ، ٣٨ .
- ١٤٧ - رسالة في الكلام .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٧ ، السندويي ، رقم ١١٦ .
- ١٤٨ - رسالة الى كليب المغربي .
- ب (سرح ، ١٧٥ .
- و (نفسه ، الجمهرة ، ٤ ، ٥٧ - ٥٨ (٤ اسطر) .
- ١٤٩x - رسالة في ذم اللواط .
- ب (البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٣ .
- د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
- ه (هامش الكامل ، ١ ، ٣١ - ٣٢ ، نصوص) .
- ز (منتخبات (بشر) ١٠٨ - ١١١)^(٢) .
- كتاب الفرق في اللغة .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٧ .
- د (قرويين ، ١٢٦١ .
- ط (يوجد خطأ ، الكاتب هو ثابت بن ابي ثابت .
- ١٥٠x - كتاب حيل اللصوص
- أ (قبل ٢٣٢ هـ .
- ب (الحيوان ، ٢ ، ١٥٦ ، البخلاء (في تصنيف حيل لصوص

(١) عنه ، ٢١١ ، (رسالة في فضل إيهاد الكتب) .

(٢) يوجد صفحة من هذه الرسالة ضمن رسالة المعلمين التي نشرها عبد السلام هارون (رسائل الجاحظ ج ٣) .

النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل) ، ارشاد ، ٦ ،
١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب ، البغدادي ، الفرق ،
١٦٢ ، الإسفراييني ٤٩ أ ، ياقوت ، البلدان ، ٤ ،
٢٣١ (١) .

ح) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٥ ، السندوبي ، رقم ٦١ .

د) الموصل (حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياه) .

و) البيهقي ، المحاسن ، ٥٢١ - ٥٢٣ ، ياقوت ، البلدان ،
٢ ، ٦٨٠ .

هذا ما يقوله الاسفراييني : « كتاب حيل اللصوص يعلم
اللصوص فيه الحيل التي يتوصلون بها الى الفساد ،
يمدحهم بالشطارة ويزعم انها من مروتهم ، ويمدحهم
باختبارهم الغلمان على النسوان ويسانهم يلعبون بالنرد
والشطرنج ، ويحثهم على القمار ويزعم انه من المروءة ومن
الآداب المرضية ومن هذه الرغادة والشطارة في المروءة وزينها
وحت عليها ، فقد خالفنا الشريعة والمروءة لان المسلمين
اطبقوا على ان من كانت هذه طريقته كان مذموماً في
الشريعة والمروءة » .

xx ١٥١ - رسالة المعاد والمعاش في الادب وتدبير الناس ومعاملاتهم .

أ) التحرير الاول بعنوان في الاخلاق المحموده ، قبل ٢٣٢ هـ ،

التحرير الثاني بعنوان المعاد والمعاش بعد هذا التاريخ .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ أ (٢) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٦ ورقم ٣٨ ، السندوبي ، رقم

١٣٥ .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ (اللصوص) .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ ، (المعاد والمعاش) .

(د) الموصل ، ٢٦٥ ، داماد ، ٩٤٩ ، برلين ٥٠٣٢ (انظر
اوريان ١٩٥٤ ، ٨٥) ، المتحف البريطاني ١١٢٩ .

(هـ) مجموع ، ١ - ٣٦ (١)

١٥٢ - كتاب المعادن .

(ا) قبل ٢٣٢ هـ .

(ب) الحيوان ، ١ ، ٦ ، .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ رقم ٧٩ ، السندوبي ، رقم ١٣٦ .

(ط) الحيوان ، ١ ، ٦ ، : « وعبتي بكتاب المعادن والقول في
جواهر الارض وفي اختلاف اجناس الفلز والابخار عن ذائبها
وجامدها ومخلوقها ومصنوعها وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها
ويبطيء عن بعضها وكيف صار بعض الالوان يصبغ ولا
ينصبغ . وبعضها لا يصبغ وينصبغ وما القول في الاكسير
والتلطيف » .

١٥٣ - كتاب المعارف .

(ب) البغدادي ، الفرق ، ١٣٣ ، ١٨٢ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٤ .

١٥٤ - كتاب المضاحك

(ب) البغدادي ، الفرق ، ١٥٨ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٩ ، السندوبي ، رقم ١٣٤ .

xx - كتاب المحاسن والاضداد والمعائب والفرائب .

(ب) البغدادي ، الخزانة ، ١ ، ٣٤ .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٢ ، السندوبي ، ص ١٥٥ - ١٥٨ .

(د) المتحف البريطاني ١١٢٨ ، مراد ملا ، ١٨٤٢ .

(١) رسائل الجاحظ ، الجزء الأول ص ٨٧ - ١٣٤ ، (بعنوان المعاش والمعاد) .

هـ) طبعة ج ، فان فلوتن ، ليد ، ١٨٩٧ ، طبعة الخانجي ،
القاهرة ، ١٩٠٦/١٢٣٤ .

ز) منتخبات (ريشر) ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ترجمة المانية أو . ريشر ،
١ ، القسطنطينية ، ١٩٢٦ ، ٢ ستوتغارت ، ١٩٢٢ (انظر مجلة
افريقية ، ١٩٢٣ ، ١٦٨ - ١٧٥) .
ط (منحول .

كتاب مكاييد الملوك ، انظر تنبيه الملوك .

كتاب فرق ما بين الملائكة والجن .

ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٣ ، السندوبي ، رقم ١٠٥ .

ط) النص السوارد في الحيوان ، ١ ، ٦ ، (حول الجن) يبحث
على التفكير بأنه لا يجب كما فعل السندوبي وبعده بروكلمان

التمييز بين كتابين واحد عن الجن والناس والآخر عن الجن والملائكة .

كتاب في فضيلة الملاك على الانسان والانسان على الجن .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١٧ ، ٦٥ ،

ط) يحتمل ان يكون مطابقاً لرقم ٥٠ .

١٥٥ - كتاب المعرفة .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، الارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٦ ،

الكتبي ، ١٥٣ ، ب ، الصفدي ، ١٣٤^(١) .

ج) السندوبي ، رقم ١٣٨ .

١٥٦ - كتاب مسائل المعرفة .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ، ب ،

الصفدي ، ١٣٤^(٢) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٦ ، السندوبي ، رقم ١٣٢ .

١٥٧ × - كتاب جوابات كتاب المعرفة .

(١) ابن النديم ، ٢١٠ .

(٢) عنه ، ٢١٠ (مسائل كتاب المعرفة) .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٣ ب ،
الصفدي ، ١٣٤ .
ج) السندوبي ، رقم ٥١ .
د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .
و) نصوص .
١٥٨ - كتاب المسائل .
أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، البخلاء ، ٤ .
ج) بروكلمان ٢٤٦ ، رقم ٩٣ ، السندوبي ، رقم ١٣٠ .
ط) من الممكن ان يكون الجاحظ قد كتب كتاب المسائل
والجوابات في المعرفة بعد كتاب المعرفة ، وان يكون ثمة
كتابان بدل اربعة . ولكن نقرأ في الحيوان ، ١ ، ٩ : « عبث
جملة كتبي في المعرفة »

كتاب الموالي والعرب ، انظر : العرب والموالي .
كتاب في فضل الموالي على العرب .

ب) البغدادي ، الفرق ١٦٢ .
ط) تحقيق واحد ، عند محقق لا يجب الجاحظ ، لعنوان غير
معقول .

رسالة في المودة والخلطة .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٢٨ .
د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .
و) هامش الكامل ، ٢ ، ١٩٩ - ٢٢١ . رسائل ٣٠٣ - ٣١٠ (١)
١٦٠ - رسالة في موت ابي حرب الصفار البصري .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ (٢)
ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣٤ ، السندوبي ، رقم ١٤٧ .

(١) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ، ص ١٩١ - ٣٠٤ .
(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

(د) برلين ٣٢ ، ٥ (ادار اوريان ، ١٩٥٤ ، ٨٥) .
(هـ) طبعة الحاجري ، في الكاتب المصري ، ٣ ، ٩ ، حزيان
١٩٤٦ ، ٣٨ - ٤٤ .

كتاب احتجاج صاحب المعز والضأن .

(ب) الجوارى ، ٦ .

(ط) بدون شك ، انه تلميح بسيط لنص وارد في الحيوان ، وليس
كتاباً مستقلاً .

١٦١ - رسالة في الميراث .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ (١) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٦ ، السندوي ، رقم ١٤٨ .

١٦٢ - رسالة في مفاخرة المسك والرماد .

(ب) الصفدي ، شرح لامية المعجم .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٢ ، السندوي ، رقم ١٤٢ .

١٦٣ × - كتاب المعلمين .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ، ب ،

الابشيهي ، ٢ ، ٣١٨ (٢) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥٢ ، السندوي ، رقم ١٣٩ .

(د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

(و) هامش الكامل ، ١ ، ١٧ - ٣١ ، نصوص .

(ز) منتخبات (ريشر) ١٠١ - ١٠٨ .

(ح) هيرشغلو ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ر . ر . بشه ، ١٠٠١ حكاية ، ٢ ،

١٥٩ - ١٦٠ ، بلا الوسط البصري ، ٦٢ (٣) .

١٦٤ × - رسالة في طبقات المغنين .

(أ) في بغداد عام ٢١٥ .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) عينه ، ٢١٠ .

(٣) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٣ ، ص ٢٧ - ٥١ .

- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ ، أ ،
اسفرايني ، ٤٩ ب^(١))
- ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٩ ، السندويي ، رقم ٨٨ .
د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .
- و (هامش الكامل ، ١ ، ١٢٠ - ١٣٠ ، ١١ رسالة ، ١٨٦ -
١٨٩ .
- ز (منتخبات (ريشر) ٢٠٤ - ٢٠٦ ^(٢)) .
- × ١٦٥ - (هجاء) محمد بن الجهم البرمكي .
د (برلين ٥٠٣٢ (ادار اوريان ، ١٩٥٤ ، ٨٥) .
هـ (طبعة الحاجري في الكاتب المصري ، شباط ١٩٤٧ ، ٥٥ -
٦٢ .
- ١٦٦ - كتاب حويل المكدين .
ب (البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ ، الاسفرايني ، ٤٩ ب .
ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٦ ، السندويي ، رقم ٦٢ .
ط (يمكن ان يكون فصلاً مخصصاً للمجتالين في البخلاء ، ضمن
البيهقي ، المحاسن ، ٦٢٢ - ٦٢٧ .
- ١٦٧ - كتاب إلى ابراهيم بن المدبر في المكاتبه .
ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ ب^(٣)) .
ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٨٤ ، السندويي ، رقم ١ .
١٦٨ - كتاب الملح والطرف .
أ (قبل ٢٣٢ .
ب (الحيوان ، ١ ، ٣ .
ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ١٠٠ ، السندويي ، رقم ١٤٣ .

(١) حينه ، ٢١٢ ، (المغنين) .

(٢) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٣ ، ص ١٣١ - ١٣٦ .

(٣) ابن النديم ، ٢١١ .

ط (الحيوان ، ١ ، ٣ - ٤ : « وعبثني بكتاب الملح والطرف وما
حر من النوادر وبرد ، وما عاد حاراً لفرط برده حتى امتع باكثر
من امتاع الحار .

١٦٩ - الملوك والامم السالفة والباقية .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥)^(١) .

ج ، بروكلمان ٢٤٥ ، رقم ٣٥ ، السندوبي رقم ١٤٤ .

كتاب أخلاق الملوك . انظر تاج .

١٧٠ - كتاب المغنين والغناء والصفة .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤)^(٢) .

ط (بما ان ياقوت والكتبي يذكران بعد قليل كتاب طبقات المغنين

يبدو من الضروري عدم تصحيح المقينين بالمغنين ، واعتبار

الجاحظ مؤلف كتاب حول ملاك العبيد المغنين (المقينين)

الغناء والموسيقى .

١٧١ - كتاب الرد على المشبهة .

(أ) نحو ٢٢٠ هـ . مركز تحقيق التراث ، بيروت

ب (الحيوان ، ١ ، ٤ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،

الكتبي ، ١٥٣ ، ب ، الخياط ، ٢٢ ، الصفدي ، ١٣٤)^(٣) .

ج (بروكلمان ، ٢٤ ، ٢ ، ١٥٩ ، السندوبي ، رقم ٨٠ .

ط (انظر تشبيهه .

١٧٢ - كتاب فضيلة المعتزلة .

(أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب (الحيوان ، ١ ، ٩ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ،

(١) هـ ، ٢١٢ .

(٢) هـ ، ٢١١ .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ .

الكتبي ، ١٥٣ ب ، الخياط ، ١٠٣ (١) .

ج) بروكلمان ، السندوبي ، رقم (الاعتزال وفضله) ، رقم
١١١ .

ط) كتب نيسرج في مقدمة طبعة الخياط (٢٣-٢٤) : « ويظهر ان مثل
هذه التجارب مما دعا عمرو بن بحر الجاحظ احد رؤسائهم
واعيانهم الى وضع كتابه الذي اسماه فضيلة المعتزلة ، فان
الفرض الذي رمى اليه الجاحظ بتأليفه لم يكن الثناء على
المعتزلة وحد فضائلها فقط ، بل قصد ايضاً الى الرد على
الرافضة والسطن فيهم ووصف فضائلهم كما هو مبين من
جدول ابواب الكتاب الذي نقله الخياط في كتاب الانتصار .
ضمن كلام ابن الراوندي وكما يلوح من القطع الباقية منه لفظاً
او معنى الواردة في المناقشة بين الخياط وابن الراوندي ، وكان
السطن في الرافضة من اهم ما كلفت المعتزلة نفسها به منذ
ابتداء امرها . . . وكان الجاحظ عالماً كبيراً وكاتباً بليغاً مليحاً
اديباً ، فلا بد وان يكون كتابه هذا توجهت اليه ابصار الخاصة
والعامّة وصار له بلا شك نفوذ وتأثير في الرأي العام ، فكان
من المحتم ظهور ردود عليه من جهة الرافضة ، ولقد ظهر
جواب ذلك ، وهذا الجواب هو كتاب فضيحة المعتزلة لاحمد
ابن يحيى الراوندي الذي كان قد انتسب الى المعتزلة وتعرف
بمذاهبهم ثم انتقل الى الرافضة وصار من انصارهم .

رسالة في المزاح والجد ، انظر جد .

١٧٣ - كتاب فرق (فصل) ما بين النبي والمتنبي .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ١٠ ، ٤ ، ٣٧٨ ، ارشاد ، ٦ ، ٧٣ ،

(١) حنه ، ٢١٠ .

١٦/٧٥ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، الكتبي ، ١٥٣ ، ب ، الصفدي ،
١٣٤ (١) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٩ ، السندوبي ، رقم ١٠٦ .
ط) لا مجال لتمييز هذا الكتاب عن كتيب آخر عنوانه فرق ما بين
الحيل والمخاريق وهذا ما يظهر في النص التالي (الحيوان ،
١ ، ١٠) : « وكتاب فرق ما بين النبي والمتنبي والفرق ما بين
الحيل والمخارق وبين الحقائق الظاهرة والاعلام الباهرة ، ثم
قصدت الى كتابي هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه
والاعتراض على لفظه والتحقيق لمعانيه ، فزريت علي نحته
وسبكه كما زريت على معناه ولفظه ، ثم طعنت في الغرض
الذي اليه نزعنا والغاية التي اليها قصدنا على انه كتاب معناه
أنه من اسمه وحقيقته أتق من لفظه الخ . » ويظهر ذلك بشكل
خاص من هذه السطور القليلة (الحيوان ٤ ، ٣٧٨) : « وقد
كتبنا قصة (اي قصة مسيلمة) وقصة ابن النواحة في كتابنا
الذي ذكرنا فيه فصل ما بين النبي والمتنبي ، وذكرنا جميع
المتنبيين وشأن كل واحد منهم على حدته ، وبأي ضرب كان
يحتال ، وذكرنا جملة احتمالاتهم والابواب التي تدور عليها
مخاريقهم ، فان اردت ان تعرف هذا الباب فاطلب هذا
الكتاب فانه موجود . »

١٧٤ - كتاب في ذم النبيل .

ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ١٥٥ (٢) .

ج (بروكلمان ، ٢٤٣ ، السندوبي ، رقم ٧١ .

(١) عنه ، ٢١٠ .

(٢) ابن النديم ، ٢١١ .

١٧٥ - رسالة في مدح النبيذ وصفة اصحابه .

(أ) قبل ٢٣٥ .

(ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ ، أ ،
الفهرست ، ٢٢ ، (١) .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٤ ، السندوي ، رقم ١٢٧ .

(د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ ، برلين ٥٠٣٢ (انظر اوربان ،
١٩٥٤ ، ٨٦) .

(و) طبع على هامش الكامل ، ١ ، ٩٧ - ١٢٠ ، رسائل ، ٢٨٥ -
٢٩١ .

(ز) منتخبات (ريش) ، ١١١ - ١١٢ .

١٧٦ × رسالة في النابتة .

(أ) نحو ٢٢٥ .

(ب) ابن قتيبة ، مختلف الحديث ، ٩٥ ، تاج العروس .

(ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ٧ ، السندوي (في بني امية) .

(د) داماد ، ٩٤٩ . *مرکز تحقیقات کتب و تاریخ اسلامی*

(هـ) طبعة ج . فان فلوتن ، المجلد ١١ من باريس ١٨٩٩ ،

١١٥ - ١٢٣ ، طبعة د . جلي في لغة العرب ، ٨ ، ٩٢ -

٣٩ ، طبعة الرفاعي ، في عصر المأمون ، ٣ ، ٧٢ - ٨٠ ،

الجمهرة ، ٤ ، ٦٠ - ٧٥ ، رسائل ، ٢٩٢ - ٢٩٩ (٢) .

(ز) ترجمة فرنسية ، هلا ، في AIEO الجزائر ، ١٩٥٢ ، ٣٠٢ -

٣٢٥ .

(ح) فان فلوتن ٩٩ - ١١٥ ، ج ليفي دلا فيدا ، في RSO ، ٨ ،

٢٩٦ - ٢٩١

(١) هينه ، ٢١١ . (رسالة في مدح النبيذ) .

(٢) ورسائل الجاحظ ، الجزء الثاني ، ص ٧ - ٢٣ .

- ط (ان جميع الطبقات الشرقية تحمل عنوان : في بني امية .
رسالة في نفي التشبيه . انظر تشبيه .
١٧٧ - كتاب النعل .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٥ ، ١٠٦ .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٧٣ ، السندوبي ، رقم ١٥٢ .
١٧٨ - كتاب الرد والشطرنج .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١١٠ ، الكتبي ، ١٥٥ (١) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٧٥ ، السندوبي ، رقم ١٥٠ .
١٧٩ - كتاب الناشر والمتلاشي .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (٢) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٦ ، السندوبي ، رقم ١٤٩ .
١٨٠ xx - كتاب الرد على النصارى واليهود .
- أ (قبل ٢٣٢ .
- ب (الحيوان ، ١ ، ٩ ، ٤ ، ٢٨ ، ارشاد ، ٤ ، ٧٢ ،
١٦/٧٦ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، الباقلاني ، ٢ ، ١٤٤ (٣) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١٣ ، السندوبي ، رقم ٧٥ .
- د (المتحف البريطاني ١١٢٩ .
- هـ (طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ١٤٨ - ١٩٩ ، ٣ رسائل
(فنكل) ١٠ - ٣٨ .
- ز (منتخبات (ريشر) ٤٠ - ٦٧ ، ترجمة انكليزية بقلم فنكل
في (١٩٢٧) ، ٣١١ ، ٣٣٤ ، ترجمة فرنسية بقلم ا .
س . ألونش في اسبري ١٩٣٩ ، ١٢٩ - ١٥٥ (٤) .

(١) ابن النديم ، ٢١٢ .

(٢) عنه ، ٢١١ (العاشق الناشر والمتلاشي) .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ ، (الرد على النصارى) .

(٤) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٣ ، ص ٣٠٣ - ٣٥١ .

ط (يدوانه لا يجب ان نعتبر آخر اسمه كتاب على النصارى
واليهود ، كما فعل بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٥ ،
والسندويي ، رقم ١٥١ .

١٨١ - كتاب النواميس .

ب (البغدادي ، الفرق ، ١٦٢ .

ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٥ ، السندويي ، رقم ١٥٥ .

ط (اليك ما يقوله البغدادي : « وهي فرقة للمحتالين يمتثلون بها
ودائع الناس وأموالهم » .

- كتاب في نظم القرآن . انظر القرآن .

١٨٢ - كتاب الرد على ابي اسحق النظام .

ج (بروكلمان ، ٢ ، ١٥٩ .

د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

ح (هيرشفلد ، ٢٠٠ .

و (نصوص .

رسالة في النساء . انظر رجال *مركز تحقيقات كويت* ، ص ١٥١ .

١٨٣ - كتاب في النبيل والتنبيل وذم الكبر .

ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، رقم ٤٦ .

د (المتحف البريطاني ، ١١٢٩ .

و (نصوص .

ط (ان النصر يدهو الى الظن بانه الكتيب الذي يحمل العنوان :

الكبر المستحسن والمستقبح (اعلاه ، رقم ٨٨) (١) .

١٨٤ x - كتاب الحجة في تثبيت النبوة .

أ (قبل ٢٣٢ .

ب (الحيوان ، ١ ، ٩ ، ٤ ، ٢٠٠ ، ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٣ ،

(١) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٤ ، ص ١٦٩ - ١٨٨ بعنوان

« النبيل والتنبيل ودم الكبر » والعنوان ينطبق على المحتوى . وظن بلا ليس في محله .

٢١٠١ (دلائل النبوة) ٤ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ (الحجر والنبوة) (١) .

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، السندوي ، رقم ٥٦ .

د) المتحف البريطاني ، ١١٢٩ ، برلين ٥٠٣٢ (انظر اوريان ، ١٩٥٤-٨٦) .

و) طبع على هامش الكامل ، ١ ، ٢٧٥-٢٠٦ ، ٢ ، ١-٤٨ ، رسائل ١١٧-١٥٤ (٣) .

ز) منتخبات (ريشر) ١١٢-١٥٩ .
كتاب النبوات .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ٤ ، ١٦٤ .

ط) يبدو انه الكتاب السابق او الكتاب المسمى فرق ما بين النبي والمتنبي .

١٨٥ x - رسالة في تفضيل النطق على الصمت .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣١ ، السندوي ، رقم ٤٦ .

د) المتحف البريطاني ١١٢٩ .

و) طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٢٧-٢٣٨ ، ١١ رسالة ، ١٤٨-١٥٤ .

ز) منتخبات (ريشر) ١٨٢-١٨٦ (٣)

كتاب الهدايا .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ١٥٤ ب (١) .

(١) ابن النديم ، ٢١١ .

(٢) آثار الجاحظ ، ص ٢٤١-٢٧٥ ، بعنوان «حجج النبوة» .

(٣) ابن النديم ، ٢١١ ، (منحول) .

(٤) طبعة عبد السلام هارون ، رسائل الجاحظ ، ج ٤ ، ص ٢٢١-٢٤٠ .

ج) السنديوي ، ص ١٥٨ .
ط) اشار ياقوت الى انه منحول .

١٨٦ - كتاب فضل هاشم على عبد شمس (لفرق ما بين هاشم وعبد
شمس) .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٦ ، النهج ، ٣ ، ٢٥٢ - ٢٩٩ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٢ ، رقم ١٠ ، السنديوي ، رقم ١٠٢ .

و) طبعة د . جلبي في لغة العرب ، ٩ ، ٤١٤ - ٤٢٠ ، رسائل ،

٦٧ - ١١٦ ، محتمل انه اعتمد على النهج ، ويمدان ابن ابي

الحديد اكمل نص الجاحظ ، فان السنديوي لم يحذف

الاشارات الى الاعمال اللاحقة .

الرسائل الهاشميات . انظر كلام .



كتاب الهجاء والصرحاء ، انظر صرحاء .

١٨٧ × - رسالة في استحقاق الوعد .

ج) بروكلمان ، ٢٤٣ ، رقم ٣٢ ، السنديوي ، رقم ١٧ .

د) المتحف البريطاني ١١٢٩ ، برلين ، ٥٠٣٢ (انظر اوريان ،

١٩٥٤ ، ٨٥) .

و) طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٢٠ - ٢٢٧ ، ١١ رسالة ،

١٧٣ - ١٧٧ .

ز) منتخبات (ريشر) ١٩٥ - ١٩٧ .

١٨٨ - كتاب الوعد والوعد .

أ) قبل ٢٣٢ هـ .

ب) الحيوان ، ١ ، ٩ ، العداوة ، ٩ (فصل الوعد) ، ارشاد ،

(١) وفي آثار الجاحظ ، ص ١٩٣ - ٢٤٠ .

- ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٨ ، الكتبي ، ١٥٤ (١) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٣٧ ، السندوبي رقم ١٥٧ .
- ١٨٩ - رسالة في مدح الوراق (والوراقة) .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ (٢) .
- ج (بروكلمان ، السندوبي ، رقم ١٢٨ .
- هـ - رسالة في ذم الوراق (الوراقة) .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتبي ، ١٥٥ .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٦٩ ، السندوبي ، رقم ٧٢ .
- ١٩٠ × - رسالة في الوكلاء والموكلين .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٦ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ (٣) .
- ج (بروكلمان ، ٢٤٤ ، السندوبي ، رقم ١٥٨ .
- د (المتحف البريطاني ١١٢٩ .
- و (طبع على هامش الكامل ، ٢ ، ٢٢٠ - ٢٢٧ ، ١١ رسالة ، ١٧٠ - ١٧٢ .
- ز (منتخبات (ريشر) ١٩٤ - ١٩٥ .
- ١٩١ - كتاب اخلاق الوزراء .
- ب (العداوة ، ٩٩ .
- د (برلين ، ٥٠٣٢ ، (انظر اوريان ، ١٩٥٤ ، ٨٦) .
- ١٩٢ - كتاب الرد على اليهود .
- ب (ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٧ ، ١٠٧ ، الكتبي ، ١٥٤ ،
- الصفدي ، ١٣٤ (٤) .

(١) ابن النديم ، ٢١١ (الوعيد) .

(٢) عنه ، ٢١١ ، (رسالة في مدح الوراقين) .

(٣) ابن النديم ، ٢١٠ ورسائل الجاحظ ، ج ٤ ، ص ٩٥ - ١٠٥ .

((٤)) عنه ، ٢١١ .

ج) بروكلمان ، ٢٤٥ ، رقم ٢٤ ، السندوبي ، رقم ٨١ .
ط) ضمن الرد على النصارى التي بشكل معها بدون شك كتاباً واحداً ،
ونقرأ مع ذلك في الحيوان ، ١ ، ٩ ، ١ « كتابي على
النصارى واليهود » .

١٩٣ - الرسالة اليتيمة .

ب) ارشاد ، ٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٠٩ ، الكتيبي ، ١٥٥ أ .
ج) بروكلمان ، ٢٤٦ ، رقم ٩٨ ، السندوبي ، رقم ١٥٩ .

حاولنا في الصفحات السابقة تنظيم كشف كامل حسب الامكان
بآثار الجاحظ ، ولكن لائحتنا تشمل ايضاً على اخطاء وثرغرات (وتكرار
بدون شك) ، لانه يستحيل معرفة جميع مصنفات كاتبنا الخصب بشكل
صحيح . ومن بين مايتي عنوان مرقمة اعتماداً على تحقيقات ليست اكيدة
ابداً - اذ نجد المؤلف الواحد يذكر مرات عديدة تحت عناوين مختارة
بصورة اعتباطية - ثلاثون منها فقط تنطبق على مؤلفات او رسائل محفوظة
بمجمليها وخمسون منها كتابات حفظت جزئياً ، وما بقي منها يعطي فكرة
عامة عن محتواها ، اما الباقي كله فيسندهي منا دراية عظيمة طالما ان
مخطوطات جديدة لم تكتشف بعد .